التربية الاقتصادية فى الاسلام

تأليف

دكتور عبد الغنى عبود

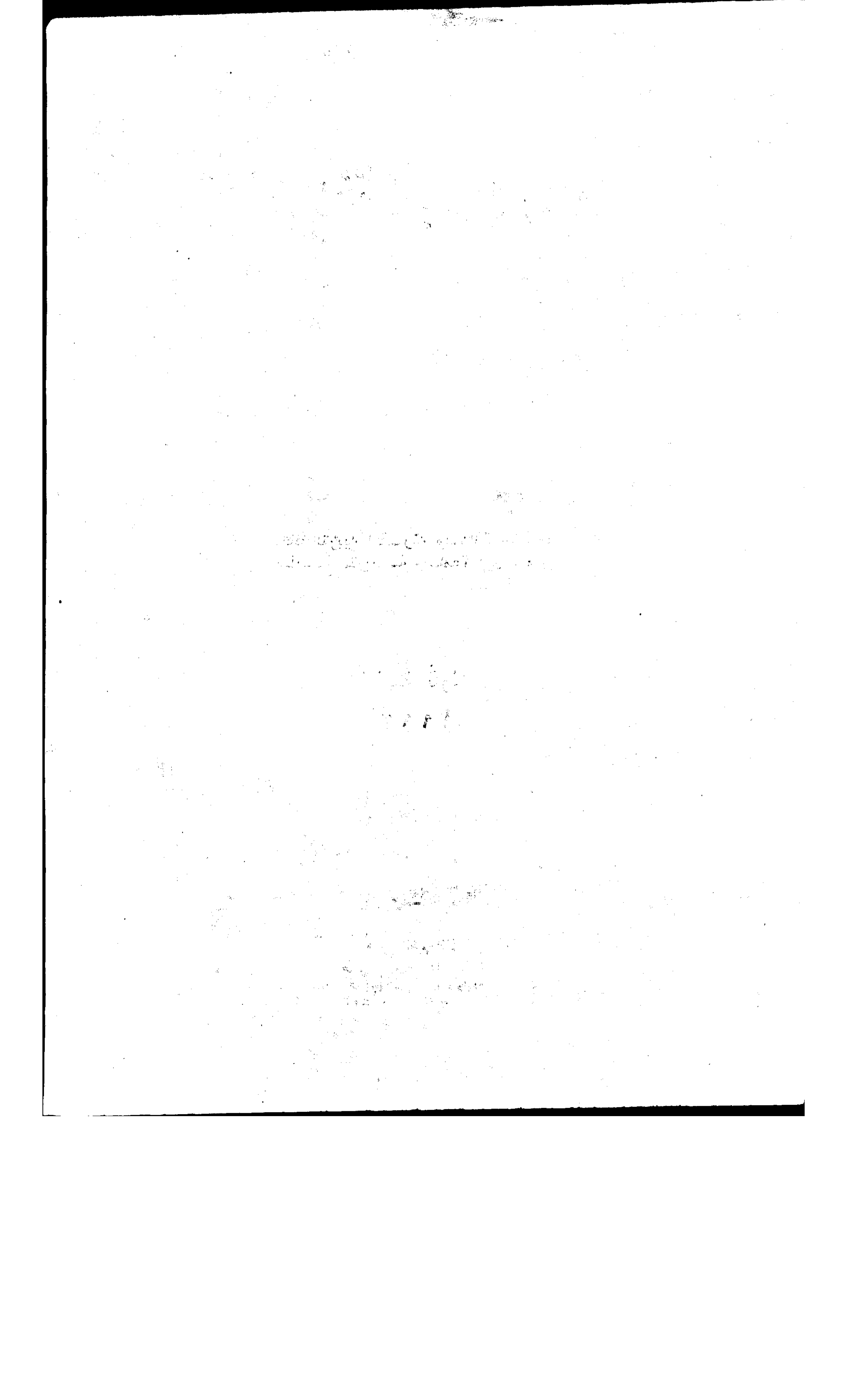
أستاذ التربية المقـارنة والادارة التعليمية
بكليــة التربيــة جـامعة عين شمس

الطبعة الأولى

١٩٩٢



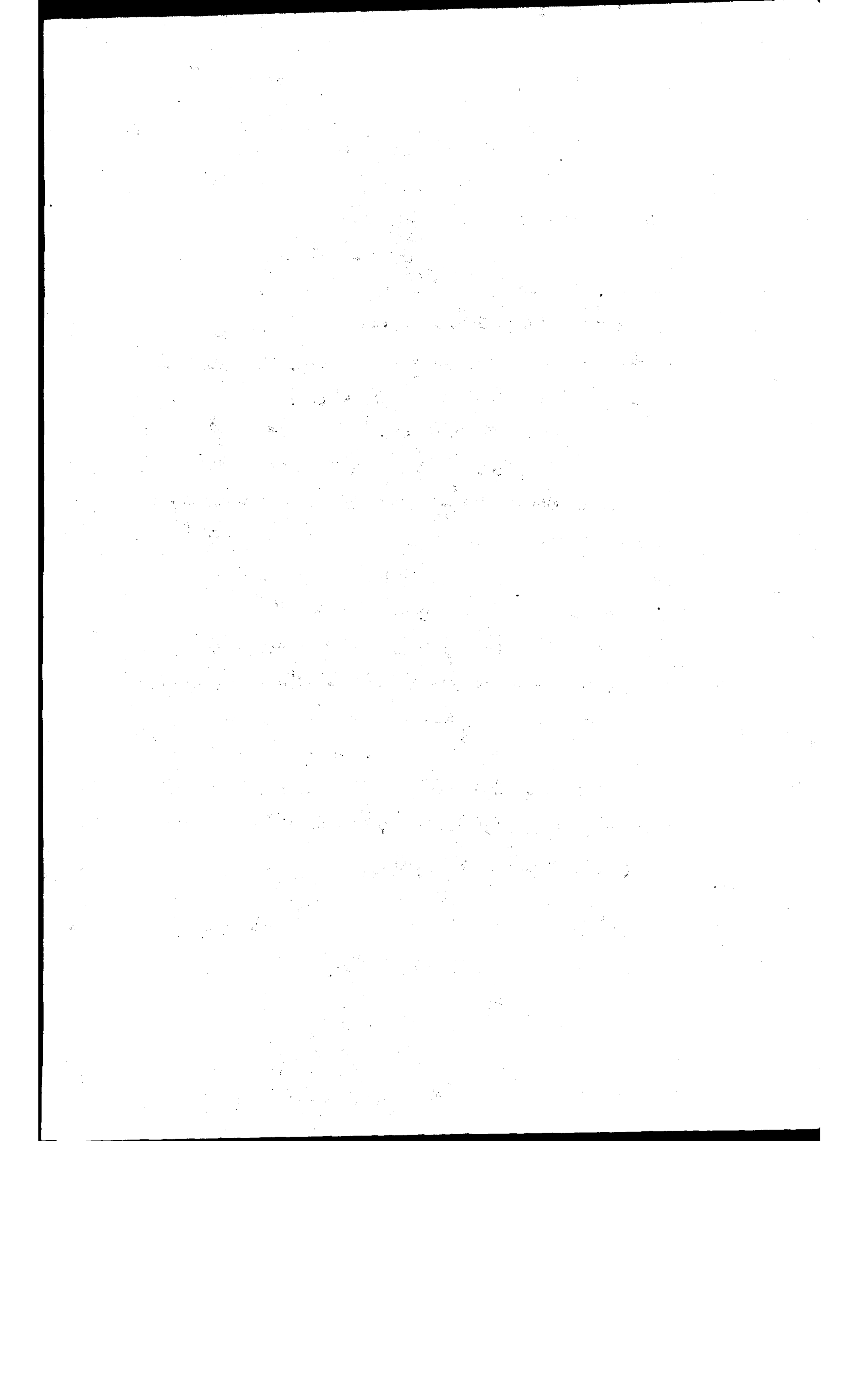
ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

« واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم . ووصينا الانسان بوالديه ، حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك ، الى المصير . وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الى ، ثم الى مرجعكم ، فأنبئكم بما كنتم تعملون . يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل ، فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ، ان الله لطيف خبير . يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ، ولاتمش فى الأرض مرحا ، ان الله لايحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير . ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات ومافى الأرض ، واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير . ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن ، فقد استمسك بالعروة الوثقى ، والى الله عاقبة الأمور . ومن كفر فلا يحزنك كفره ، الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ، ان الله عليم بذات الصدور . نمتعهم قليلا ، ثم نضطرهم الى عذاب غليظ »

(سورة لقمان ـ ٣١ : آيات ١٣ ـ ٢٤) .



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه ، الى يوم الدين وبعـــد ..

فانه رغم ما يحتله الاقتصاد فى حياتنا المعاصرة من أهمية ، على مستوى الأمم والأفراد على السواء ، فإن موضوع (التربية الاقتصادية) قلما يحظى بعناية تذكر ، فى الكتـابات التربوية المعاصرة ، فى الشرق أو فى الغرب ٠

ذلك أن التربية الاقتصـادية لا يمكن أن توجـد - ان وجـدت - الا متضمنة فى تربية أخرى غيرها ، سياسية أو اجتماعية على سـبيل المثال ، حيث يتسنى تحويل الفكر النظرى الى (اجراءات) تربوية ، تمارس فى دنيا الناس ٠

يضاف الى ذلك أن الاقتصاد ليس من طبيعته أن يوجد وحده فى الحياة ، منعزلا عن الحياة السياسية أو الاجتمـاعية من حوله ، وانما من شأنه أن يكون (نظاما فرعيا) ، يستمد ملامحه من الحياة السياسية أو الاجتماعية ، التى يستمد معالمه - فى الأصل - منها ٠

ومن هذا كله وغيره ، كانت صـعوبة البحث فى موضـوع يكون عنوانه (التربية الاقتصادية) على وجه العموم ، فى أى مجتمع من المجتمعات ، وفى ظل أى نظام من النظم ٠

على أن (صعوبة) البحث فى موضـوع كموضوع (التربيـة الاقتصادية) ، لا تعنى - بالضرورة - (استحالة) البحث فيه ، ولكن هذه الصعوبة ذاتها تعود فتفرض نفسها فرضا على مخطط الدراسة ، ومن ثم كان تخصيص الفصول الثلاثة الأولى من هذه الدراسة ، للحديث عن (معنى الاقتصـاد) و (معنى التربيـة) و (معنى التربيـة الاقتصادية) ، قبـل الدخـول فى موضـوع الدراسـة الأصـلى ، وهو (التربية الاقتصادية فى الاسلام) ، أو تمهيدا لهذا الدخول ، لا غنى عنه فى مثلهـا .

ولقد أكدت هذه (الدراسة التمهيدية) للموضوع عددا من المسائل، فى مقدمتها أن التربية - شأنها فى ذلك شأن الاقتصاد - أمر لا يتم فى المطلق ، وانما هى تتم - حين تتم - فى اطار حياة يحياها الناس ، فى زمان ومـكان معينين ، يظللهـا (نظـام) معين للحيـاة ، أو أيديولوجيا ، أو (دين) ، بالمعنى الواسع لهذا الدين .

ومن ثم كان (الاختلاف) الذى نراه - فى هـذه الفصول الثلاثة الأولى - بين الشرق الشيوعى والغرب الرأسمالى فى مسائل التربيـة تلك ، وكان الاختلاف بينهما فى مسائل الاقتصاد ، رغم أن (منطلقات) كل منهما واحدة ، هى (الدنيا) وأسباب السيطرة عليها ، دون ما تفكير فى الغيبيات ، أو تفكير فيما بعد هذه الدنيا من حياة ، ومن ثواب أو عقـاب .

ومن ثم - أيضا - كان الاختلاف الذى يجب أن نخرج به من هذه الفصول الثلاثة الأولى ، بين (الاقتصاد المعاصر) - فى الشرق وفى الغرب على السواء - وبين (الاقتصاد الاسلامى) ، الذى يجعل هذه (الغيبيات) جزءا لا يتجزأ من (كيان المسلم) ، فـردا وجمـاعة على السـواء .

على أن انتقالنا من هذه الفصول الثلاثة التمهيدية الأولى الى ما تلاها من فصول الدراسة ، عن الاقتصاد ، والتربية ، والتربية الاقتصادية ـ فى الاسلام ، يؤكد أن هذا البعد (الغيبى) فى قضية الاقتصاد الاسلامى ، وفى قضية التربية الاقتصادية فى الاسلام ـ بالتالى ـ لا يعنى ترك الجانب الاقتصادى أو المادى من حياة الانسان الدنيا ، انشغالا بالآخرة ، وسعيا لها ، لأن السعى للآخرة ذاته فى الاسلام ، لا يتم الا من خلال هذا العمل الدنيوى ذاته ، ومن ثم فان الاسلام لا يهمل الدنيا ، بل انه ينظم حياة المسلم فيها تنظيما ، يضمن له خير الدنيا وخير الآخرة جميعا ، بلا افراط ولا تفريط ، وهذا هو (معنى الاقتصاد) فى الاسلام ، وهو معنى لا وجود له الا فى الاسلام ، لأن الاقتصاد ـ فى الاسلام ـ لا يقتصر على حياة الانسان المادية وحدها ، وانما هو يتسع فى مفهومه ، ليشمل كل جوانب حياة الانسان المسلم ، وليضع هذا الجانب (المادى) من حياته ، حيث يجب أن يوضع ، مجرد جانب واحد من الحياة لا يتعداه ، وليس كل جوانب هذه الحياة ، كما نرى فى الفكر الاقتصادى المعاصر .

ويبدأ القسم بعد التمهيدى من الفصل الرابع ، الذى يتم فيه توضيح معنى الاقتصاد فى الاسلام ، والمنظور الاسلامى الى مختلف قضاياه : العلم والعمل ـ الملكية الخاصة والملكية العامة ، وغيرها ، تمهيدا للانتقال الى الفصل الخامس ، حيث التربية الاقتصادية فى الاسلام ، وكيف حولت هذه المفاهيم الاقتصادية الاسلامية الخاصة الى (اجراءات) تربوية ، ثم الى الفصل السادس ، حيث الحديث عن أهداف التربية الاقتصادية ووسائلها فى الاسلام ، ثم الى الفصل السابع ، حيث الحديث عن مراحل التربية الاقتصادية فى الاسلام ، قبل أن نصل ـ فى الفصل الأخير من الدراسة ـ الى النتائج والتوصيات .

وقد تم الرجوع فى الدراسة الى ٣٦٥ مرجعا ، عربيا وأجنبيا ، تتوزع بين كتابات فى التربية وكتابات فى الاقتصاد وكتابات فى السياسة والاجتماع والتاريخ والحضارة ، مثلما تتنوع بين كتابات تراثية قديمة، وكتابات حديثة - ورغم هذا التنوع ، فقد كان القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف هما المنطلق فى التفكير وفى التنظيم جميعا .

ورغم هذا العدد الضخم من المراجع ، ورغم ما بذل على طريق الدراسة من جهد ، فان مجرد التفكير فى أن يكون هذا العمل قد وصل الى حد الكمال أو اقترب منه ، تفكير بعيد ، وذلك لأن الجهد المبذول فيه جهد بشرى ، ولأن مجال الدراسة مجال غير مطروق ، ولأن الموضوع نفسه جديد ، ويكفيه أن يفتح أفقا جديدا ، يمكن اقتحامه فيما بعد ، ويوجه الأنظار الى مجالات أوسع من مجالات البحث والدراسة التربوية، غير مجالاتها التقليدية .

والله من وراء القصد ، وهو الهادى الى سواء السبيل ؟

دكتور عبد الغنى عبود

القاهرة فى : ذو القعدة ١٤١٢هـ .
مايو ١٩٩٢م .

شكر واجب

بعد شكر الله سبحانه على هدايته وتوفيقه ، أرى من تمام الشكر له سبحانه ، توجيه الشكر الى من كان لهم الفضل - بعد الله سبحانه - فى وصول هذا العمل الى منتهاه ، على النحو الذى ظهر عليه .

والشكر واجب أولا للجنة التأصيل ، التابعة لجامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية فى الرياض بالمملكة العربية السعودية ، فمنها نبع الموضوع ، وحوله دار بينى وبينها لقاء ولقاء ، وحوار وحوار .

وإذا كان الشكر واجبا لمن فجر الموضوع ووجهنى اليه ، فإن الشكر أوجب لاثنين :

- أولهما أستاذى ، فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفى ، الذى كان لقائى مع محبيه فى منزله بالرياض ، بين المغرب والعشاء فى كل يوم خميس ، على مدى سنوات خمس ، مما سهل لى مهمة السير فى طريق الموضوع - الوعر .

- وثانيهما صديقى وأخى وتلميذى العلامة ، الدكتور على خليل مصطفى أبو العينين ، الذى كان خير عون لى ، بكل ما يملك - وهو كثير - فى قطع هذا الطريق الى منتهاه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ؟

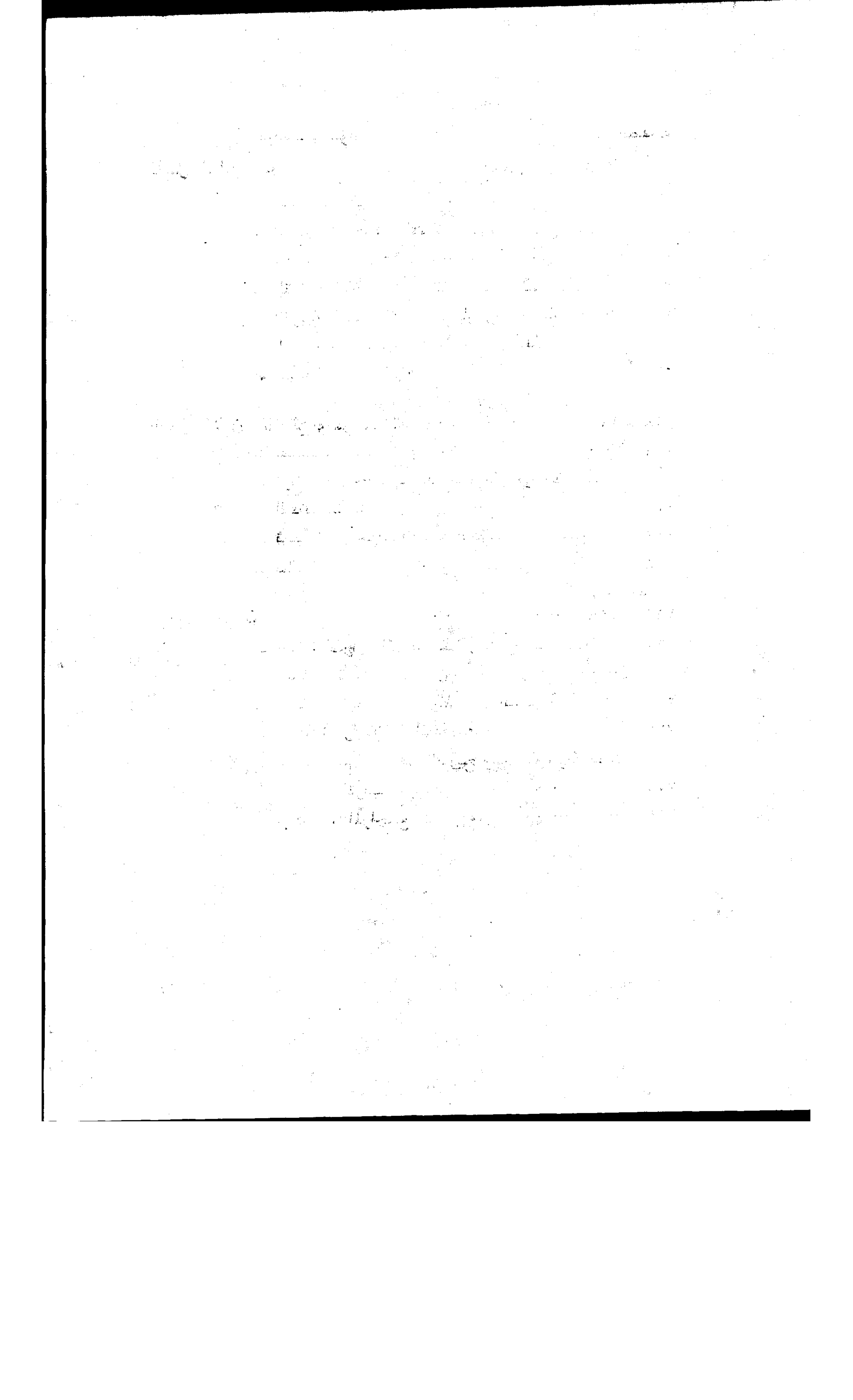
دكتور عبد الغنى عبود

محتويات الكتاب

الموضـــــــوع | الصفحة

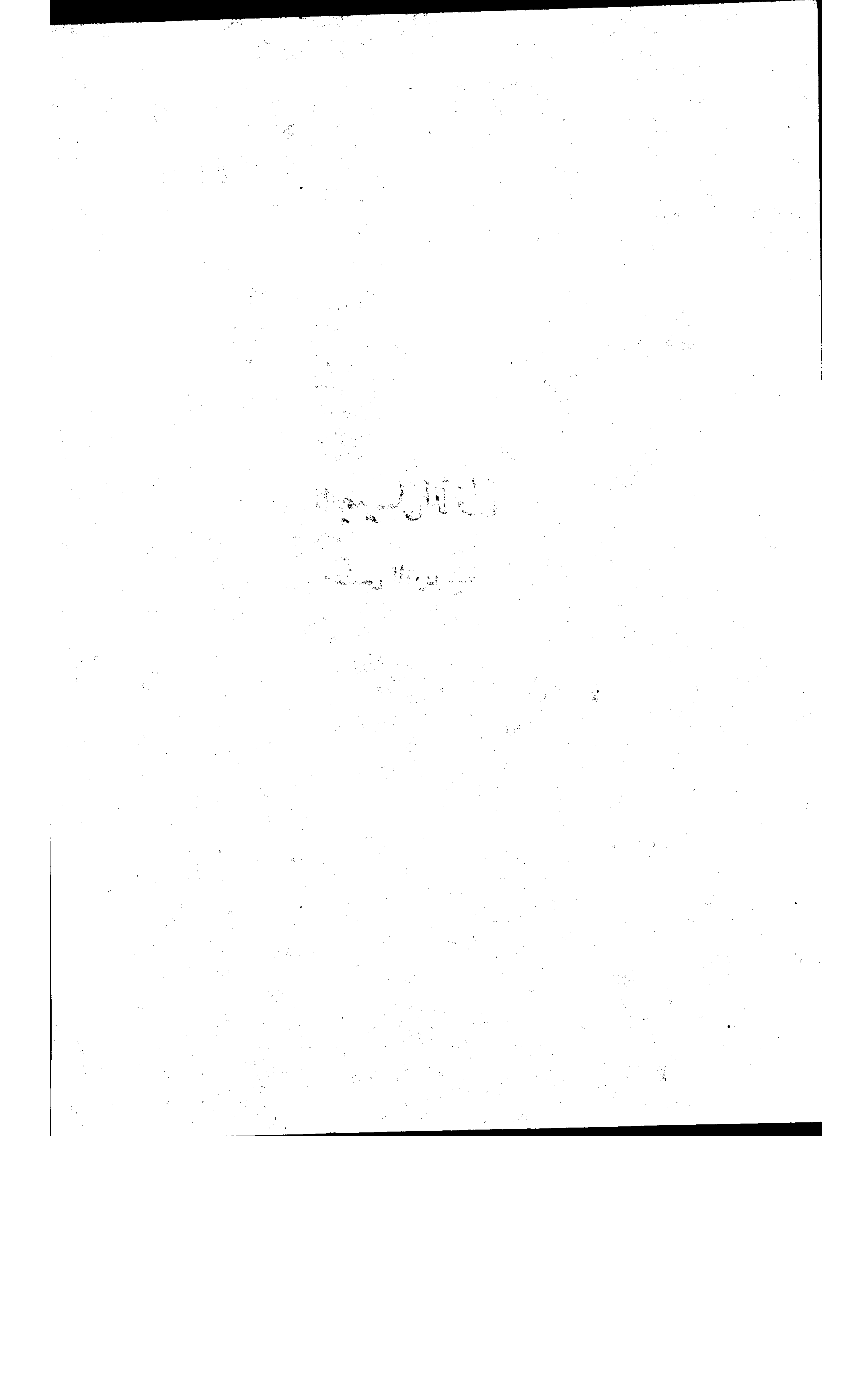
الموضـــــوع | الصفحة

الموضــــوع	الصفحة



الفصل الأول

معنى التربية



تقديم :

أحسن ايدجــار فــور Edgar Faure وزملاؤه حين عرفوا التربية بأنها « فن قديم ، وعــلم جديد » (١) ٠

والتربية فن قديم ، لأنها وجدت مع وجود الانسان على الأرض ، وهى - منذ وجدت وحتى اليوم - « إعداد للحياة وحياة معا » (٢) ، وكان غرضها - منذ وجدت - « هو عين الغرض الذى نتبينه فى أرقى أشكال نظمنا المدرسية ، ألا وهو إعداد الحدث للحياة » (٣) ٠

ورغم أن « الغرض من التربية فى الثقافات الأكثر تعقيدا ، هو نفسه الغرض منها فى المجتمعات البدائية » (٤) ، فان التربية - عند إيدجار فور وزملائه - علم جديد ، لأن « مفهوم علوم التربية وميــدان تطبيقها ، لايزال كل منهما يتسع » (٥) ، على حد تعبيرهم ٠

والحق أن ميدان التربية ميدان واسع ، يدور حوله جدل كثير ، فهو « من أوسع الميادين ، التى لا يمكن أن يحيط بها البحث » (٦) ،

---

(١) ايدجار فور وآخرون : **تعلم لتكون** - ترجمة د٠ حنفى بن عيسى - الطبعة الثالثة - اليونسكو - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - ١٩٧٩ ، ص ١٧٥ ٠

(٢) صالح عبد العزيز ، وعبد العزيز عبد المجيد : **التربية وطرق التدريس** - الجزء الأول - الطبعة الخامسة - دار المعــارف بمصــر - القاهرة - ١٩٥٦ ، ص ٢٧ ٠

(٣) جروف ساموبل داو : **كتاب المجتمع ومشاكله (مقدمة لمبادىء علم الاجتماع)** - ترجمة ابراهيم رمزى - المطبعــة الأميريــة ببولاق - القاهرة - ١٩٣٨ ، ص ٢٦٦ ٠

(4) R. Freeman Butts : **A Cultural History of Western Education, Its Social and Intellectual Foundations** : Second Edition,

(٥) ايدجار فور وآخرون (مرجع سابق ، ص ١٧٥ ٠

(٦) كلنتون هارتلى جراتان : **البحث عن المعرفة ، بحث تاريخى فى تعلم الراشدين** - ترجمة عثمان نويه - **تقديم** صلاح دسوقى - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٢ ، ص ٩ ٠

على حد تعبير كلنتون هارتلى جراتان ، منطلقا فى تفكيره من وجهة النظر الواسعة التى ترى أن التربية « هى الحيــاة ، وليست الإعــداد للحياة » ، على حد تعبير جــون ديوى John Dewey (٧) واسحاق كاندل Isaac Kandel (٨) .

ومن ثم كانت أهمية تحديد معنى التربية ، فى هذا الفصل الأول، ليكون هذا التحديد هو منطلقنا فى التفكير ، فى موضوع الكتاب كله .

المعنى اللغوى للتربية :

تعنى (التربية) فى اللغة العربية (التنمية) ، « يقال : (رباه): نماه - وربى فلانا : غذاه ونشأه - وربى : نمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية » (٩) .

ولا يختلف معنى التربية فى اللغة الانجليزية عنه كثيرا فى اللغة العربية ، فان التربية Education فى اللغة الانجليزية تعنى (التنمية) أيضا ، وهى لا تقف فيها عند حد تنمية الانســان ، بل تتعداه لتشمــل تنمية الحيوان أيضا (١٠) .

واذا كانت التربية مرادفة عند الكثيرين للتعليم ، حيث هى « تعنى بالنسبة لتسعة أشخاص من بين كل عشرة منهم ، المدرسة ، والنشاط ذا الطبيعة الخاصة ، الذى يعبر عنه فى ضوء مصطلحات ، كالمناهج وطرق

---

(7) John Dewey : **Education To-day** ; G.P. Putman's Sons, New York, 1940, p. 6.

(8) I.L. Kandel : **American Education in the Twentieth Century;** Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1957, p. 111.

(٩) مجمع اللغة العربية : **المعجم الوسيط** - قام باخراجه ابراهيم مصطفى وآخرون - وأشرف على طبعه عبد السلام هارون - الجزء الأول - مجمع اللغة العربية - القاهرة - ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م ، ص ٣٢٦ .

(10) H.W. Fowler, and F.G. Fowler (Edited by) : **The Concise Oxford Dictionary of Current English, based on The Oxford Dictionary** ; Fourth Edition, Revised by E. McIntosh, Oxford, at the Clarendon Press, 1959, p. 381.

التدريس ، وهيئة التدريس المعدة » (١١) وغيرهما ، فان التربية — عند المتخصصين فى التربية — مثلما هى فى معاجم اللغة — « هى « النمو » ، والنمو « قيادة مستمرة الى المستقبل » (١٢) ، على حد تعبير جون ديوى ٠

ورغم ذلك ، فان ثمة علاقة بين التربية والتعليم فعلا ، تراها معاجم اللغة ذاتها ، حيث ترى أن التعليم هو الذي « يوفر الأسباب للحصول على المعرفة ، أو للحصول على شخصية وأخلاق طيبة ، أو على الوسيلة التى يستطيع الانسان أن يعيش بها حياة أفضل » (١٣) اضافة الى أن هذا التعليم انما يؤدى الى « تنمية الشخصية » (١٤) ٠

ومن الملاحظ أن « الفرد ينمو ككل ، لا كأجزاء ، وأن المظاهر الاجتماعية والعاطفية والطبيعية والعقلية للنمو ، كلها تعتمد على بعضها البعض ، وتتوقف على بعضها البعض » (١٥) ، وأن « الانسان يولد مزودا بامكانيات الخير والشر جميعا » (١٦) ، وأن التربية هى

---

11) Paul Lengrand : **An Introduction to Lifelong Education** ; UNESCO, International Education Year, 1970, p. 58.

(12) John Dewey : **Democracy and Education. An Introduction to the Philosophy of Education** ; The Macmillan Company New York, 1916, p. 65.

(13) Michael Philip West, and James Gareth Endicott : **The New** Method Engtish Dictionary ; Twenty-fourth Impression, with Illustrations, Longman Group Ltd., London, 1967, p. 103.

(14) H.W. Fowler, and F.G. Fowler (Edited by) ; Op. Cit., p. 381.

(15) Dan H. Cooper : **The Administration of Schools for Better Living, Proceedings of the Co-operative Conference for Administrative Officers of Public and Private Schools** ; North-western University, University of Chicago, 1948, Vol. XI, The University of Chicago Press, Chicago, Illinois, p. 96.

(16) Troy Organ : "The Philosophical Bases of Integration", **The Integration of Educational Experiences,** The Fifty-seventh Yearbook of the National Society for the Study of Education ; Chicago, Illinois, 1958, p. 29.

التى تقوم بتوجيه هذا النمو الوجهة المرغوب فيها ، من وجهه نظر الوالدين والمجتمع ، وهو ما عبر عنه الرسول الكريم ﷺ أبلغ تعبير ، حين قال :

- « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » (١٧) .

والحديث يتسق مع المنظور القرآنى الى قضية الانسان ، حيث يقول سبحانه فى سورة الشمس - على سبيل المثال :

- « **ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها** » (١٨) .

وهذه (النظرة الكلية) الى النمو الانسانى ، هى (الأصل) فى الاسلام ، الذى لا ينسى مطلقا « فطرة الانسان ، وحدود طاقته وواقع حياته المادى » (١٩) ، ومن ثم كان أخذه « الكائن البشرى بجميع خصائصه ، وجميع طاقاته ، واستغلالها كلها لتحقيق أهداف الحياة » (٢٠) ، على نحو ما نرى فى حديث عبد الله بن عمرو ، رضى الله عنه ، حيث يقول : « دخل علىّ رسول الله ﷺ فقال : ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ قلت : بلى ، قال : فلا تفعل ، قم ونم ، وصم وأفطر ، فان لجسمك عليك حقا ، وان لعينك عليك حقا ، وان لزورك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وانك عسى أن يطول بك عمر ، وان من حسبك أن تصوم فى كل شهر ثلاثة أيام ، فان بكل حسنة عشر أمثالها ، فذلك الدهر كله » (٢١) .

---

(١٧) رواه البخارى ومسلم وأبوداود والترمذى ومالك - نقلا عن: عبد الرحمن بن على ، المعروف بابن الديبع الشيبانى : **تيسير الوصول الى جامع الأصول ، من حديث الرسول** - الجزء الأول - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر - القاهرة ، ص ٢٣ .

(١٨) قرآن كريم : **سورة الشمس** - ٩١ : الآيتان ٧ ، ٨ .

(١٩) سيد قطب : **هذا الدين** - دار الشروق - بيروت - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، ص ٤ .

(٢٠) محمد قطب : **منهج التربية الاسلامية** - الطبعة الثانية - دار الشروق - بيروت ، ص ١٢٦ .

(٢١) البخارى (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى) : **صحيح البخارى** - الجزء الثانى - كتاب الشعب - دار ومطابع الشعب - القاهرة - ١٣٧٨/١٣٧٩هـ ، ص ٣٨ ، ٣٩ (من كتاب الأدب) .

وإذا كان الاسلام قد نبه الى هذه الحقيقة من حقائق النمو الانسانى، منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ، فان (حكماء) الحضـــارة الحديثة لم يتنبهوا اليها الا مؤخـرا ، حيث اكتشـفوا ـ بعد أن وصلت حضارة الغرب الى طريق مسدود ـ أن « الانسان ـ رغم كونه حيوانا ـ فانه يسمو فى حياته الانسانية على التركيبات العضوية ، التى اكتشفتها العلوم البيولوجية المستقيمة » (٢٢) ، وأن حياة هذا الانسان تقوم على أصول ثلاثة ، « وهى الغريزة والعقل والروح .. وحياة الروح من بين هذه الأصول الثلاثة ، هى التى تصنع الدين ، وتشمل حياة الغريزة كل ما يشترك فيه الانسان مع الحيوانات الدنيـا » ، « وحيـاة العقل هى حياة الجرى وراء المعرفة ، من حب الاســتطلاع عند الأطفـال ، الى أعظم الجهود الفكرية » (٢٣) .

المعنى الاصطلاحى للتربية :

بدأت التربية مع بداية الحياة الانسانية على الأرض ، كما سبق ، ولكنها كانت تربية عملية بسيطة ، تتم من خلال الرعـاية التى تقدمها الأسرة لأطفالها ، فقد « كانت التربية العملية للبنين والبنات فى الأسر البدائية ، تتم بالتقليد الأعمى للكبار ، مصحوبا بقليل من التعليم ، أو بلا تعليم على الاطلاق » (٢٤) ، وعلى هذا النحو كذلك كان يجـرى تعليم الحرف المختلفة اللازمة للحياة فى ذلك الوقت ، « كالصيد وصيد السمك والحرب ، وغيرها » (٢٥) .

وقد كان الانســان فى أول الأمر يعيش مع أسرتـه فوق غصـون الأشجار ، ثم « هبطوا من أعالى الأشجار الى الأرض ، لأنهم أصبحوا

---

(٢٢) رينيه دوبو : **انسانية الانسان ، نقد علمى للحضارة المادية** ـ تعريب الدكتور نبيل صبحى الطويل ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ، ص ٢٢ (من مقدمة الطبعة الانكليزية).

(٢٣) برتراند راسل : **نحو عالم أفضل** ـ ترجمة ومراجعة درينى خشبة وعبد الكريم أحمد ـ رقم (٦٨) من مشروع (الألـف كتاب) ـ العالمية للطبع والنشر ـ القاهرة ، ص ١٦٢ .

(24) Willystine Goodsell : **A History of the Familly as a Social and Educational Institution** ; The Macmillan Company, New York, 1923, p. 44.

(25) Layton S. Hawkins and others : **Development of Vocational Education** ; American Technical Society, Chicago, 1951, p. 4.

أثقل من أن تحملهم أغصانها » (٢٦) ، ليبحثـوا لهم عن مأوى « فى الكهوف » . « وقد مرت آلاف السنين قبل أن يترك الانسـان كهفه ، ويحاول أن يبنى لنفسه مسكنا » ، أو « يجد مأواه تحت الأشـجار ، متخذا منها كوخا بسيطا » (٢٧) .

ويرى ول ديورانت ، أن « القبيلة » كانت « أول صورة للنظـام الإجتماعى الدائم - ونقصد بالقبيلة جماعة من أسرات ، ترتبط بأواصر القربى ، وتشغل بقعة من الأرض ، على سبيل الشـيوع ، ولها طوطم مشترك ، وتحكمها حكومة بعينها ، وفق قوانين معينة ، فاذا ما اتحدت عدة قبائل ، تحت رئيس واحد ، تكونت بذلك العشيرة ، فالعشيرة هى الخطوة الثانية نحو تكوين الدولة » (٢٨) .

كما يرى أنه مع ترك الانسان لحياة الكهوف والجحور ، وانتقـاله الى حياة الجماعة ، « بدأت انسانية الانسان » (٢٩) على حد تعبيره ، حيث تعلم الانسان الكلام ، فاستغنى به عن استخدام الاشـارة ، وبدأ التفكير المشترك ، الذى أدى الى استيطـان أرض بعينهـا ، بـدلا من التنقل من مكان الى مكان ، فكانت (الثورة الزراعيـة) ، التى يرى المؤرخون أنها - فى أهميتها - « تساوى أهمية الثورة الصناعية على أقل تقدير ، ومعناها الأساس احـلال انتـاج الطعـام ، بطريقة دائمة منتظمة ، محل جمع الطعام من هنا وهناك » (٣٠) .

كذلك يرى ول ديورانت أنه « لئن بدأت انسانية الانسان بالكلام ، وبدأت المدنية بالزراعة ، فلقد بدأت الصناعة بالنار ، التى لم يخترعها

---

(٢٦) رالف لنتون : **دراسة الانسان** - ترجمة عبد الملك الناشف - منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ١٩٦٤ ، ص ٢٣ .

(٢٧) ثيـا وريتشارد برجير : **من الحجارة الى ناطحات السحاب (قصة العمارة)** - ترجمة المهندس محمد توفيق محمود - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٦٢ ، ص ٨ ، ٩ .

(٢٨) ول ديورانت : **قصة الحضـارة** - الجـزء الأول (نشـأة الحضارة) - ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود - الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القـاهرة - ١٩٤٩ ، ص ٤٠ .

(٢٩) المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٣٠) كلنتون هارتلى جراتان (مرجع سابق) ، ص ٢٨ .

الانسان اختراعا ، بل الأرجح أن قد صنعت له الطبيعة هذه الأعجوبة »· « ولما أدرك الانسان أعجوبة الذ'ر ، استخدمها على ألف صورة ، أولها فيما نظن ، أنه اتخذ منها شعلة ، يقهر بها عـدوه المخيف ، ألا وهو الظلام » ، « ثم بعد ذلك أخذ يستعمل النار فى المعـادن ، فيلينها ويطرقها » ، مقلدا « آلات الحيوان وصناعته » ، « وكان النبات الذى يحيط بالانسان البدائى مصدر الكثير من الآلات ، فمن الخيزران صنع الانسان السهام والمدى والابر والقوارير ، ومن فروع الشجر صنع الملاقط والماسك » · « كذلك استغل المعادن » ، « ومن دنيـا الحيوان صنع أدواته » · « وتبدت مهارة الانسان البدائى فى فن النسيج » ، « وصناعة الخـزف قريبة الشـبه بصـناعة السـلال ، بل ربما كانت ماخـوذة منها » (٣١) ·

وهكذا تطورت الحياة من حول الانسـان ، وصـارت تسـتدعى (تنظيما) جديدا ، يستجيب لما استجد من متغيرات ، فكان ظهـور (الدولة) ، التى اضطر اليها الانسـان اضطرارا فى الغالب ، فـانه « ليس الانسان حيوانا سياسيا عن رضى وطواعية ، فالرجل من الناس لا يتحد مع زملائه مدفوعا برغبته ، بقدر ما يتحد معهم بحكم العـادة والتقليد ، والظروف القاهرة ، فهو لا يحب المجتمع ، بقـدر ما يخشى العزلة » (٣٢) ، على حد تعبير ول ديورانت ، وبذلك دخل الانسان - كارها - دنيا السـياسة ، ولم يستطع الافـلات منهـا ، فقد أصبحت السياسة « هى الحياة ، والحياة هى السياسة ، فكل انسان مرغم على أن يكـون عضوا فى درامـا المعركة هذه » (٣٣) ، على حـد تعبير اشبنجلر ·

كما يرى ول ديورانت أن « الناس ، وان يكونوا بطبعهم أغرارا ، فهم كذلك بطبعهم ذوو عناد » ، « ومن هنا لجأت الدولة - لكى تبقى على نفسها - الى أدوات كثيرة ، لتستخدمها وتصطنعها فى بث تعاليمها - كالأسرة والكنيسة والمدرسة - حتى تبنى فى نفس المواطن عادة الولاء

---

(٣١) ول ديورانت : **قصة الحضـارة** - الجـزء الأول (مرجـع سابق) ، ص ٢٢ - ٢٥ ·

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٢٩ ·

(٣٣) أسوالد اشبنغلر : **تدهور الحضارة الغربية** - الجزء الثالث - ترجمة أحمد الشيبانى - منشورات دار مكتبة الحيـاة - بيروت - ١٩٦٤ ، ص ٢٤٠ ·

للوطن ، والفخر به ، ولقد أغناها هذا التنشىء عن مئـات من رجـال الشرطة ، وهيأ الرأى العام للتماسك ، فى طاعة وانصياع » (٣٤) .

وهكذا تطورت الحياة الانسانية من حول التربية ، لتظهر بمعناها الاصطلاحى ، حيث ظهرت المدرسـة ، وصارت « النظرة للتعليم فى كثير من العصور والأوقات ، على أسـاس أنه وسـيلة لتهذيب النفس وتطهيرها ، أو لإعداد الفرد لولاء سياسى معين ، أو لتبصيره بشـئون عقيـدة دينية ، أو مذهب دينى » (٣٥) - اضـافة الى اعـداد القوى البشرية اللازمـة لادارة مرافق الحيـاة فى المجتمع ، وتحقيق أهداف الدولة .

ومما يلفت النظر ، أن غرض التربية لم يتغير بعد ظهور المدرسة عنه قبل ظهورها ، « ولكن وسائل اكسـاب الفرد الصفة الاجتمـاعية ، قد تركت للمدرسة أكثر » ، فقد « أصبحت المدرسة هى المكان المخصص لتدريس اللغة والمواد المكتوبـة وأنـواع السـلوك المحببة فى الوقت الحاضر » (٣٦) ، « اذ البرنامج التعليمى الذى تقدمه المدرسة ، انمـا هو محاولة يقوم بها الأفراد المتخصصـون فى المجتمع ، للتـأثير على نمو الصغار ، وذلك باختيـار وتنظيم الخبرات ، التى تنمو بها القيم المطلوبة لدى الفرد المتعلم » (٣٧) .

ونتيجة لما جد منظروف فى المجتمعاتالحديثة ، خاصةالمجتمعات الصناعية ، « فان الأسرة ، التى كانت تعتبر مؤسسة اقتصادية ، تغيرت تغيرا عظيما ، قلل من شأن تأثيرها التربـوى » ، « وممـا زاد الأمر سوءا ، أن فرص التعاون بين الطفل ووالديه أصبحت ضئيلة للغـاية ،

---

(٣٤) ول ديورانت : **قصة الحضارة** - الجزء الأول (مرجـع سابق) ، ص ٤٧ .

(٣٥) الدكتور حامد عمار : **فى اقتصاديات التعليم** - الطبعـة الثانية - دار المعرفة - القاهرة - ١٩٦٨ ، ص ٧٢ .

(36) R. Freeman Butts ; Op. Cit., p. 16.

(37) Paul L. Dressel : "The Meaning and Significance of Integration", **The Integration of Educational Experiences,** The Fifty-seventh Yearbook of the National Society for the Study of Edution ; Chicago, Illinois, 1958, p. 5.

فالوالد يمضى طوال اليوم خارجا فى عمله ، والطفل نفسه يمضى معظم النهار فى المدرسة ، وقد يقضى بعد الظهر فى الملعب ... » (٣٨) .

ورغم ما تغير حول المدرسة من « عوامـل اجتماعية واقتصـادية عديدة » ، « ومن بينها الثورة العلمية التقنية ، والتيار الزاخر بمختلف الأخباروالمعلومات ، ووجود شبكات واسعة فىالتبليغ والاعلام » (٣٩)، فان « النموذج التربوى التقليدى لايزال سائدا فى كثير من الأقطـار ، لأنه حقق الأهداف المرسومة له ، فى ظروف وفى مجتمعات خاصة » ، بينما هو « ملىء بالعيـوب الملحـوظة فى الأنظمة القديمة ، ويعتمد بالدرجة الأولى على التعليم النظرى وعلى الحفظ ، ويعطى الأسـبقية للتعبير الكتابى المرتكز على التكرار والتقليد ، على حسـاب التعبير الشفوى والعفوية والبحث الخـلاق » (٤٠) ، ونتيجة لذلك فـان هذا النموذج التربوى السائد اليوم فى المدرسة ، يتعرض اليوم « لأنواع من الضغط ، بعضها ينبع من الداخل ، والبعض الآخر ياتيه من الخارج ، فالضغط من الداخل ناتج عما فى النظام من اختلال وتناقض » ، « أما الضغط من الخارج ، فقد صار شديدا للغاية ، فى عصرنا هذا » (٤١) .

ويلفت ايدجـار فـور وزمـلاؤه نظرنـا - رغم ذلك - « الى أن المدرسة - وهى المؤسسة التى انشئت لتربية الأجيـال الصـاعدة تربية منهجية - ستظل فى الحاضر والمستقبل ، هى **العامل الحاسم** فى تكوين الانسان القادر على المساهمة فى تنمية المجتمع ، وعلى المشاركة الفعالة فى الحياة العامة ، كما أنها ستظل هى العنصر الأساسى لإعداده اعدادا صالحا للعمل » (٤٢) .

---

(٣٨) وليم كلباتريك : **المدنية المتغيرة والتربية** - ترجمة دكتـور عبد الحميد السيد وآخرين - الطبعة الرابعة - مكتبة مصر - القاهرة - ١٩٥٨ ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٣٩) ايدجار فور وآخرون (مرجع سابق) ، ص ٣٢ .

(٤٠) المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٤١) المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٤٢) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

التربية والفرد :

موضوع التربية هو الانسان الفرد ، و « مصطلح (التربية) - فى أوسع مفهوماته - قد يعنى كل عمايات النمو التى يمر خلالها الانسان ، من طفولته الى نضجه ، حتى يتكيف - تدريجيا - مع بيئته العضوية والاجتماعية ، ولكن المعنى أو المفهوم الأكثر تحديدا لهذا المصطلح ، ينحصر فى تلك التأثيرات التى تتم عن قصد ، من جانب الكبار فى المجتمع ، على الصغار فيه ، ليتم تشكيل هؤلاء الصغار، على نحو معين » (٤٣) ٠

ولم يكن ممكنا حدوث هذا (التكيف) الانسانى لبيئة الانسان ، العضوية والاجتماعية ، لولا أن (الفطرة) تسمح بحدوثه ، ويقصد بالفطرة هنا « طبيعة الانسان » ، أو « صفات الانسان النفسية ، والأخلاقية » ، اضافة الى « البنية التشريحية والخصائص الوظيفية لجسم الانسان ، الموروثة منها والمكتسبة » (٤٤) ٠

ان التعلم الذى ينتج عن التعليم المدرسى / النظامى خصوصا ، والتعليم فى غير المدرسة على وجه العموم ، انما « يتضمن تغيرا فى السلوك » ، « ولكن بعض التغييرات لا تكون الى ما هو أفضل » ، سواء كانت هذه التغيرات « تغيرات فكرية - أى اكتساب أفكار جديدة، أو اعادة تنظيم أفكار سبق اكتسابها » ، « أو لعلها أن تكون تغيرات فى المهارات ، حيث يصير المتعلم أكثر حذقا عند أداء بعض الأعمال » (٤٥) ، وهو - فى كل الحالات - يعدل فى (نمط) الشخصية، فان « الذات ، التى تقع وسطا بين الشعور واللاشعور ، قادرة على منح التوازن لمجمل الشخصية ، وهى النفس ، وهى تعمل أكثر من التوازن، فانها تجعل النفس فى موقع ثابت نسبيا » (٤٦) - أى ذات نمط محدد واضح ، تعرف به بين الناس ٠

---

(43) **Everyman's Encyclopaedia,** Volume Four ; Fourth Edition, J.M. Dent & Sons Ltd. 1958, p. 636.

(٤٤) رينيه دوبو (مرجع سابق) ، ص ١٣٠ ٠

(٤٥) ج ٠ ر ٠ كيد : **كيف يتعلم الكبار ؟** - ترجمة أحمد خاكى - مراجعة د٠ عبد العزيز القوصى - تقديم د٠ محيى الدين صابر - الطبعة الثانية - الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار - بغداد - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ص ٢٥ ٠

(٤٦) ليد فورد ج ٠ بيسكوف : **علم نفس الكبار** - ترجمة دحام الكيال ، وعايف حبيب - مراجعة د٠ عبد الرحمن القيسى - الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار - بغداد - ١٩٨٤ ، ص ٦١ ٠

أى أن « البيئة الخارجية تعدل الطريقة التى تتحول فيها الموهبة الولادية الوراثية فى كل شخص ، لتشكل واقعه الفردى » (٤٧) ، على حد تعبير رينيه دوبو ، وهـذا هو الفـرق ـ عنـده ـ بين الانسـان والحيوان ، فان « أكثر السلوك فى الحيـوانات ، بما فيها الحيوانات العليا ، غريزى ، لا صلة له بالعقل والحجى ، ومن النادر ـان لم يكن من المستحيل ـ أن تجد هذا السـلوك متوجهـا نحو المستقبل البعيد ، الذى يحاول الحيوان التكهن به ، والسعى لايجاده ، وبالمقابل ، فـان ردود فعل الانسان لأكثر الاثارات المحيطية تتأثر بعمق بتكهنـاته عن المستقبل ، سواء كانت هذه التكهنات مبنية على الخوف ، أو الحقـائق المعـلومة ، أو الرغبة فى الانجـاز ، أو فقط على الآمـال الحـالمة . والحقيقة أن ميل الانسان لتخيل الأشياء التى لم توجد بعد ، أو التى تقع بدون ارادة وعمل حر يقوم به ، هى النـاحية البارزة التى تميزه بوضـوح تام عن الحيـوان ، وهى التى تسـهم كثيرا فى تعقيد بنيته النفسية ، التى أعيت الأطباء » (٤٨) .

وهكـذا تكون قدرة الانسـان الوراثية على التعلم ، دليـلا على أمكانيات الوسـط الذى يعيش فيه فى توجيـه نمـوه وجهة بعينهـا ، « فالطبيعة البشرية تمدنا بما يلزم من مواد خام ، وتقدم لنا التقـاليد الأصوات والتصميمات » (٤٩) ، على حد تعبير جون ديوى ، و « كل منا ، انما هو النتـاج النهـائى لمجمـوع مـا مررنـا به من خبرات فى حياتنا » (٥٠) ، على حد تعبير سلوت Slote .

ويلفت رينيه دوبو نظرنا ـ فى هذا المقام ـ الى بعد ثالث يجب أن يضاف الى بعدى الوراثة والبيئة ، هو بعد « الارادة الحرة » ، التى « تمكن البشر من السمو على ضوابط (التحديـدية) البيولـوجية ،

---

(٤٧) رينيه دوبو (مرجع سابق) ، ص ١٣٣ .

(٤٨) المرجع السابق ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٤٩) جون ديوى : **الطبيعة البشرية ، والسلوك الانسانى** ـ ترجمة وتقديم الدكتور محمد لبيب النجيحى ـ مؤسسة الخانجى بالقاهرة ـ ١٩٦٣ ، ص ١٣٢ .

(50) Walter H. Slote : "Case Analysis of a Revolutionary", **A Strategy For Research on Social Policy,** Edited by Frank Bonilla and José A. Silva Michelena ; The M.I.T. Press, Massachusetts, 1967, p. 287.

فالقدرة على الاختيار بين الأفكار وأساليب الأفعال المختلفة ، يمكن ان تكون أهم صفات الانســان · لقد كانت فى الغالب — ولاتزال — محــددا هاما فى تطور الانسان » (٥١) ·

ولعل هذه (الارادة الحرة) — عند رينيه دوبــو — أن تكون هى المقصود القرآنى من (عزم الأمــور) ، التى يســتخدمها كثيرا للدلالة على هذا المعنى الذى يقصد اليه رينيه دوبو ، مع الفــارق الكبير — بطبيعة الحال — بين ما يسميه دوبو (الارادة الحرة) ، وبين (عزم الأمور) القرآنى (٥٢) ·

وكل من (حرية الارادة) و (عزم الأمور) — على أية حال — يتطلب لونا من التربية المدرسية ، غير ذلك اللون الذى تقدمه المدرسة اليوم ، حيث « تشدد التربية فى وظيفة من وظائف العقل البشرى أقل خطرا ، وهى الذاكــرة ، فى حين أنها تهمل نسبيا وظيفته الكبرى ، وهى التفكير » (٥٣) · يضاف الى ذلك أن العقل ليس هو « موضــع التعلم الكلى » ، كما أن « عملية التعلم » ليست « عملية عقلية فكرية »، لأن « الانسان — عمليا — أكثر بكثير من عقل وفكر » ، ولأنه « مخلوق من الانفعالات والمشاعر ، وان هذه وتلك تكون جزءا من التعلم » (٥٤)·

والدارس للنظام الاسلامى ، وما يوفره للانسان من علاقات وديــة طيبة ، فى داخل بيته (الأسرة) ، وبين أهله (صلة الرحم) ، ومع جيرانه ، وغير ذلك مما له صلة بالسياسة أو الاقتصاد أو الاجتمــاع أو

---

(٥١) رينيه دوبو (مرجع سابق) ، ص ١٦٤ ·

(٥٢) ورد استخدام (عزم الأمور) فى أربع آيات قرآنية بهــذا النص ، هى الآية رقم (١٨٦) من سورة (آل عمــران) (رقم ٣ مــن المصحف الشريف) ، والآية رقم (١٧) من سورة (لقمان) (رقم ٣١) ، والآية رقم (٤٣) من سورة (الشورى) (رقم ٤٢) ، والآية رقم (٣٥) من سورة (الأحقاف) (رقم ٤٦ من المصحف) ، وهى حيثما وردت ، انما تدل على (قدرة) الانسان على كبح جماح نفسه ، وقهر شيطانه ، لا على (قدرته) على أن يفعل ما يريد ، على نحو ما تدل (حرية الارادة)، التى يتردد استخدامها كثيرا فى الكتابات الغربية المعاصرة ·

(٥٣) و · جلاسر : **مدارس بلا فشل** — ترجمة الدكتور محمد منير مرسى — عالم الكتب — القاهرة — ١٩٧٣ ، ص ٤٨ ·

(٥٤) ج · ر · كيد (مرجع سابق) ، ص ٣١ ·

غيرها - مثل هذا الدارس لا يسعه الا أن يتأكد من أن نظرة الاسلام الى موضوع التربية أشمل من نظرة أى نظام سواه اليها ، « فنظم الاقتصاد والانتاج والسياسة والاجتماع ، وكل التنظيمات (الأرضية) البحته ، لا يعالجها الاسلام منفصلة عن الكيان النفسى والروحى للأفراد فى مجموعه ، فهو لا يعترف بأن هناك قوانين اقتصادية أو اجتماعية ، منقطعة عن الصلات النفسية والروحية ، أو أن هناك قوانين مادية ، لا تتصل بقوانين الروح » (٥٥) .

التربية والمجتمع :

رغم أن (موضوع) التربية الرئيسى هو الانسان / الفرد ، فان البعد المجتمعى فى قضية التربية لا يقل أهمية عن البعد الفردى ، فانه اذا كان من أهداف التربية « تقوية شخصية الفرد » - على حد تعبير جون ديوى - فان ذلك - عنده - من أجل « أن ينمو بعد ذلك فى اطاره الاجتماعى ، بشخصيته النامية المستقلة ، الوثيقة الصلة بالجماعة ، وليس هدفها صب الأفراد جميعا فى قالب واحد » (٥٦) ، وبذلك تكون « التربية وسيلة المجتمع فى تحقيق فردية الفرد وجماعيته ، فهى تعمل من جهة على تنمية قدرات الفرد ، وتهذيب ميوله ، وصقل فطرته ، واكسابه مهارات عامة فى نواحى حياته ، كما تعمل فى الوقت نفسه على تهيئته لأن يعيش سعيدا فى الجماعة ، ويتكيف لها ، ويسهم فى نشاطها ، ويعمل لصالحها » (٥٧) .

وقد كان هذا (التطبيع الاجتماعى) هدفا من أهداف التربية الرئيسية ، منذ وجد الانسان على الأرض ، على نحو ما رأينا فى بدايات هذا الفصل ، بوصف الجماعة التى ينتمى الانسان اليها بعدا

---

(٥٥) دكتور على أحمد مدكور : **منهج التربية الاسلامية ، أصوله وتطبيقاته** - الطبعة الأولى - مكتبة الفلاح - الكويت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م ، ص ١٢٨ .

(56) John Dewey : **Democracy and Education** ; Op. Cit., p. 173.

(٥٧) جيمس ج . جالجر : **الطفل الموهوب ، فى المدرسة الابتدائية** - ترجمة سعاد نصر فريد - مراجعة الدكتور ابراهيم حافظ - اشراف وتقديم محمد على حافظ - رقم (٢) من (بحوث تربوية ، فى خدمة المعلم) - دار القلم بالقاهرة - يناير ١٩٦٣ ، ص ٧ (من التقديم ، للأستاذ محمد على حافظ) .

من أبعاده النفسية ، فالانسان ـ عند علماء الانثروبولوجى ـ « مخلوق متحضر ، له تاريخ ، وقيم اجتماعية » (٥٨) ، بمعنى ان انتماءنا الى جماعة بعينها ، حاجة من حاجاتنا البشرية ، فنحن ـ على حد تعبير كاتز ـ « نريد بوجه عام ، أن يعترف بنا المجتمع ، ويكافئنا ، فاننا نتأثر بقوة بالناس الذين يحيطون بنا مباشرة ، وبالجماعات المتجابهة ، والتى نشترك فى عضويتها ، سواء بصورة رسمية أو غير رسمية » ، و « كثيرا ما تقمع انانية الفرد فى سبيل التطابق مع معايير الجماعة » ، وان « قدرا كبيرا من المعايير الاجتماعية لثقافتنا ، اكتسبناها عن طريق العضوية ، رسمية كانت أو غير رسمية ، فى جماعات كثيرة من مجتمعنا » (٥٩) .

والمجتمع الانسانى ذاته ـ أى مجتمع انسانى ـ أمر لا يمكن تصوره بمعزل عن الأفراد الذين يعيشون فيه ، فالمجتمع « وجود تاريخى ، بمعنى أنه جماع خبرات التاريخ الثقافى ، الفردى والعام » (٦٠) ، وقد كانت المدرسة منذ وجدت ، وعلى أية صورة وجدت ، « وسيلة يستخدمها المجتمع لنقل قيمه السائدة فيه ، الى جيل المتعلمين الصغار » (٦١) ، حتى يحملوا هذه القيم ، ويكونوا معبرين عنها ، فتستمر من خلالهم ، تلك القيم التى يحرص المجتمع على استمرارها فيه عبر التاريخ ، فقد « نظر الى التربية على أنها وسيلة المحافظة على النظام الاجتماعى

---

(58) A.L. Kroeber : **Anthropology (Race, Language, Culture, Psychology, Prehistory)** ; Revised Edition, Harcourt, Brace and Company, Inc., 1948, p. 1.

(٥٩) دانيل كاتز : « أثر الجماعة فى الاتجاهات والسلوك الاجتماعى » ـ ترجمة الدكتور مختار حمزة ـ الفصل الثامن من : **ميادين علم النفس ، النظرية والتطبيقية** ـ باشراف ج . ب . جيلفورد ـ والترجمة باشراف الدكتور يوسف مراد ـ المجلد الأول ـ الميادين النظرية ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ ١٩٥٥ ، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٥ .

(٦٠) الدكتور فهمى جدعان : **أسس التقدم عند مفكرى الاسلام فى العالم العربى الحديث** ـ الطبعة الأولى ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ كانون الثانى (يناير) ١٩٧٩ ، ص ٧ (من المقدمة) .

(61) Charles F. Faber and Gilbert F. Shearron : **Elementary School Administration, Theory and Practice** ; Holt, Rinehart and Winston, Inc., New York, 1970, p. 3.

والتقاليد الاجتماعية من ناحية ، وعلى أنها وسيلة الاصلاح والتقدم من ناحية أخرى » (٦٢) ، كما تعتبر « الغايــات التربــوية » ، « منبثقة عن الأهداف العامة التى يرمى اليها المجتمع » (٦٣) ٠

وعندما تفقد التربية هذا البعد المجتمعى فيما تتخذ من أهداف ، ومن وسائل لتحقيق هذه الأهداف ، فان التربية تكون عاملا من عوامل الهدم فى الأمة ، بدلا من أن تكون أداة بناء لها ، على نحو ما نرى فى كثير من بلاد العالم الثالث اليوم ، فى نقلها النظم التعليمية فى البلاد المتقدمة ، دون أن يكون بينها وبين الواقــع التعليمى فى هذه البــلاد « الا صلات واهية » (٦٤) ، على حد تعبير فلانــدر ، فتكون النتيجة أن تتحــول التربية من (عــون) للمجتمع على التقدم ، الى عبء

(62) Margaret Hardiman, and James Midgley : "**The Social Dimensions of Development, Social Policy and Planning in the Third World** ; John Wiley & Sons Limited, New York, 1982, p. 196.

(٦٣) ايدجار فور وآخرون (مرجع سابق) ، ص ٢٠٩ ٠

- وارجع - كذلك - الى :

— Philip H. Coombs : **The World Crisis in Education, The View from the Eighties** ; Oxford University Press, Oxford, 1985, p. 6.

— Samuel E. Hand, and Jane B. Sellen : "Program Coordination, Cooperation and Interorganizational System at the Community Level", Chapter Five from : **Managing Adult and Continuing Education Programs and Staff**; Edited by Philip D. Langerman and Douglas H. Smith ; National Association for Public Continuing and Adult Education, Washington, D.C., 1979, p. 123.

(٦٤) أ ٠ ت ٠ فلاندر : « التدريب المهنى : هل تكون له نظم ، أم يظل (تروسا) فى الادارة الاقتصادية ؟ » - ترجمة أحمد خاكى - **مستقبل التربية** - تصدر عن مجلة رسالة اليونسـكو ومركز مطبوعــات اليونسكو - العدد السابع - السنة الثانية - يوليو ١٩٧٤ - عدد خاص عن (التعليم الثانوى والتدريب والعمالة) ، ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ ٠

عليه ، يثقل خطواته على طريق التقدم الذى ينشده (٦٥) ، « فالتربية لا تؤدى - بالضرورة - الى القوة ، ولكنها قد تؤدى الى الضعف أيضا » ، « وهى لا تقود - حتما - الى التقدم ، ولكنها قد تؤدى الى التخلف أيضا » (٦٦) ٠

التربية والتنمية :

لم تعد قضية العلاقة بين التربية والتنمية قضية تشغل المتخصصين فى التربية والمهتمين بها ، بنفس الدرجة التى كانت تشغلهم بها منذ سنوات ، حيث كانوا يلتمسون مبررات لنفقات التعليم المتزايدة ، فلقد « تعود رجال التربية أن يدافعوا عن التعليم ، باعتباره خدمة لها قيمة فى حد ذاتها ، وبوصفه يؤدى الى تنمية الانسان ، وبناء الشخصية ،

---

(٦٥) ارجع فى هذا المجال - على سبيل المثال - لا الحصر - الى:
- آدم كيرل : **استراتيجية التعليم فى المجتمعات النامية ، دراسة العوامل التربوية والاجتماعية وعلاقتها بالنمو الاقتصادى** - ترجمة سامى الجمال - مراجعة د٠ عبد العزيز القوصى - الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار - القاهرة ، ص ١٣ ٠

- فردريك هاربيسون ، وتشارلز ا٠ مايرز : **التعليم والقوى البشرية والنمو الاقتصادى ، استراتيجيات تنمية الموارد البشرية** - ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ - مراجعة محمد على حافظ - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٦٦ (طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم) ، ص ٩٨ ٠

- دكتور أحمد حسن عبيد : **فلسفة النظام التعليمى ، وبنية السياسة التربوية (دراسة مقارنة)** - الطبعة الأولى - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٦ ، ص ٢٥٠ ٠

- هيوسيتون واطسون : **ثورة العصر ، بحث فى فلسفة السياسة والاجتماع** - الكتاب الأول من سلسلة (كتب الناقوس) - ترجمة محمد رفعت - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ، ص ١٠٥ ٠

- دكتور عبد الغنى عبود : **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٧٨ ، ص ٤١٢ - ٤١٤ ٠

(٦٦) دكتور عبد الغنى عبود : **التربية ومشكلات المجتمع** - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٨٠ ، ص ٨٣ ، ٨٤ ٠

وتنمية الملكات الفكرية » ، « ولكن تغير الموقف الآن » (٦٧) ، بعد أن تاكد الجميع - وبالأرقام - من أن ثمة علاقة موجبة بين الانفاق على التعليم ، وبين مستوى الدخل ، الفردى والقومى ، فى بلاد عالمنا المعاصر (٦٨) ، وبذلك صار « التعليم صناعة كبرى فى جميع أنحاء العالم » (٦٩) ، على حد تعبير آدمز Adams .

وقد أدت هذه النظرة الحديثة الى التربية عموما ، والتعليم المدرسى على وجه الخصوص ، الى أن صار « التعليم المدرسى فى العشرين سنة الماضية ، موضوع اهتمام دولى كبير ، لا عند المربين المهنيين فحسب ، بل وعند علماء الانثروبولوجيا والاجتماع والاقتصاد وعلماء السياسة ، اذ لم يعد ينظر الى التعليم على أنه مجرد سلعة استهلاكية فردية ، من أجل الاعداد الوظيفى والمواطنة والنماء الشخصى ، فمن المسلم به الآن أيضا ، أن التعليم يعتبر نوعا هاما من استثمار رأس المال فى مستقبل الشعب ، وأداة للتنمية القومية » (٧٠) .

---

(٦٧) ف.ك.ر.ف. راو : « التعليم كاستثمار » - ترجمة الدكتور عبدالغنى عبود - المقولة الثالثة من : **فى التربية المعاصرة - تاليف** الدكتور ابراهيم عصمت مطاوع والدكتور عبد الغنى عبود - الطبعة الثانية - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٨٥/١٩٨٦ ، ص ٧٨ .

(٦٨) ارجع - على سبيل المثال - لا الحصر - الى :

- فردريك هاربيسون ، وتشارلز ا . ما يرز (مرجع سابق) ، ص ٢٩٦ .

- الدكتور حامد عمار : **فى اقتصاديات التعليم** (مرجع سابق) ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

— D.P. Nayar : "Education as Investment", **Education as Investment,** Edited by Baljit Singh ; Meenakshi Prakashan, Meerut, India, 1967, p. 58.

— Radhakamal Mukerjee : "Role of Education in Economic Development", **Education as Investment** ; Ibid., p. 2.

(٦٩) د. آدمز : **التعليم والتنمية القومية** - ترجمة الدكتور محمد منير مرسى - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٤ ، ص ٦٦ .

(٧٠) المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

وبغض النظر عن الأرقام التى تعتمد عليها الدراسات المعاصرة فى مسألة (انتاجية) التعليم ، أو الدور الذى تقوم به التربية فى عملية التنمية ، فان العقل والمنطق ومشاهدة الواقع الملموس فى عدد من التجارب المعاصرة ، وفى مقدمتها التجربة اليابانية ، لتؤكد كلها صدق هذه النظرة ، حيث لم يعد التقدم مرتبطا بمصادر الثروة الطبيعية المتحة للأمة ، بقدر ارتباطه بمصادر ثروتها البشرية ، حيث تعتمد الحضارة المعاصرة ، وهى حضارة علمية / تكنولوجية ، على الأفكار بالدرجة الأولى ، و « الأفكار تأتى من الناس ، ثم هى تتحول الى عمل على أيدى الناس ، ومن ثم فان التجديد يجد جذوره الراسخة فى تنمية المصادر البشرية » (٧١) ، على حد تعبير فردريك هاربيسون Frederick Harbison .

يضاف الى ذلك أهمية الدافع Motivation فى عملية التنمية (٧٢) ، وخلق الدافع للتنمية يعتبر من المهام الرئيسية للتربية ، فان « التربية فى مفهومها العام لا تخلق مهارات خاصة فحسب ، بل انها أيضا تخلق اتجاهات نحو الرغبة فى ألوان خاصة من النشاط ، ونحو قيمة التربية ذاتها . وانه لمن المقبول تماما أن تكون هذه الاتجاهات أكثر أهمية فى دفع عجلة التنمية الاقتصادية ، من المهارات الخاصة ، التى قامت التربية بخلقها بشكل مباشر » (٧٣) .

وهكذا لا تكون عملية التنمية عملية مادية فحسب ، رغم أهمية العنصر المادى فى هذه العملية ، لأن العنصر المادى فى حاجة الى العنصر البشرى الذى يوجهه ، ومن ثم فان « تنمية رأس المال البشرى جزء لا يتجزأ من عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، باعتبار أن الانسان غاية هذه التنمية ووسيلتها فى نفس الوقت ، فمن أجله ترسم

---

(71) Frederick Harbison : "The Prime Movers of Innovation", Chapter 11 from : **Education and Economic Development,** Edited by C. Arnold Anderson, and Mary Jean Bowman ; Third Edition, Adline Publishing Company, Chicago, 1971, p. 229.

(72) Harvey Leibenstein : "Shortages and Surpluses in Education in Underdeveloped Countries : A Theoretical Foray", Chapter 3 from : **Education and Economic Development** ; Ibid., p. 60.

(73) Ibid., p. 61.

الخطط والسياسات ، ويجهوده الفكرية والجسدية والتنظيمية تتحقق أهداف هذه السياسات » (٧٤) ٠

وإذا كان التخطيط قد صار « فى المجتمعات الحديثة ضرورة من ضرورات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ولم تعد قضية التخطيط قضية مذهبية » (٧٥) ، فان « الفلسفة التخطيطية السليمة هى التى تجعل محط الرحال فى تنمية المجتمع حضارة الانسان ، وسعادة الانسان ، وهى التى تستطيع بالتالى أن تمنح التربية دورها ، بل سيادتها ، فى عملية التنمية هذه ٠ فالقيادة التربوية ليست ضرورية فحسب ، من أجل استخراج ثروات البلد وطاقاته الاقتصادية وزيادة انتاجه ودخله ، بل هى ضرورية قبل هذا ، وفوق هذا ، لتعطى للتنمية معناها الأصيل الأول ، نعنى خلق حضارة الانسان » (٧٦) ٠

الا أننا لا يفوتنا أن نشير هنا الى ما سبق أن قلناه - فى نهايات الحديث عن (التربية والمجتمع) فيما قبل - من أن التربية لا تؤدى الى التقدم بالضرورة ، « ولكنها قد تقود الى التخلف أيضا » (٧٧) ، وذلك اذا عجزت عن الاستجابة لحاجات المجتمع ، وعجزت عن التعبير عن (روح الأمة) ، ولجأت الى ما يسميه الدكتور حامد عمار (بظاهرة الاقتداء فى التعليم) ، الذى قد يكون - عنده - « عاملا من عوامل اليقظة والنمو » (٧٨) ، ولكنه قد لا يكون كذلك ، اذا كان اقتداء مظهريا ، فان « مشكلة الاقتداء المظهرى ، الى جانب كونها ابتعادا عن مشقة التفكير الخلاق الفعال ، فهى اتجاه مكلف من الناحية

---

(٧٤) الدكتور حامد عمار : فى اقتصاديات التعليم (مرجع سابق)، ص ٢٢ ٠

(٧٥) المرجع السابق ، ص ١٢٤ ٠

(٧٦) الدكتور عبد الله عبد الدائم : التخطيط التربوى ، أصوله وأساليبه الفنية ، وتطبيقاته فى البلاد العربية - الطبعة الأولى - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٦٦ ، ص ٩ ٠

(٧٧) دكتور عبد الغنى عبود : التربية ومشكلات المجتمع (مرجع سابق) ، ص ٨٤ ٠

(٧٨) الدكتور حامد عمار : فى اقتصاديات التعليم (مرجع سابق) ، ص ٤٣ ٠

الاقتصـادية » (٧٩) ـ والأهم من هذا وذاك « أن النظـــام المنقول « يزرع فى (تربة) مغايرة لتربته الأصلية ، ومن ثم يموت » (٨٠) ، وذلك لأن « نجاح الحـلول المقترحـة يتوقف على الظروف الداخليـة للدولة التى تقترح لها الحـلول » (٨١) ، ولأن « البنيـان التعليمى يعتمد على قوى ثقـافية وتاريخيـة ، تختلف بالضرورة من بـلد الى بـلد » (٨٢) .

التربية وأيديولوجية الدولة :

أحسن المرحوم عباس العقاد التعبير عن الحيـاة فى هذا العصر الذى نعيش فيه ، بأنـه « عصر (الأيديولـوجية) ، أو عصر الحيـاة (على مبدأ أو عقيدة) » ، اذ « ليس أكثر من (المبادىء والعقـائد) التى نســمع عنهـا فى هــذا القــرن ، ويســـمونها بالـمذاهب و (الأيديولوجيات) » (٨٣) .

والحق أن (الحياة على مبدأ أو عقيـدة) ليست سمة الانســـان المعاصر ـ انسان القرن العشرين ـ وحده ، وانما هى « تكـاد أن تكون (غريزة فطرية) ، شأنها شأن الغرائز الفطرية الأخرى » (٨٤) فى الانسان ، سواء كانت هذه العقيدة « عقيدة دينية » ، أو عقيدة سياسية أو اقتصـادية » (٨٥) ، ومن ثم فقد وجـدت هذه العقيدة مع وجـود

---

(٧٩) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٨٠) دكتور عبد الغنى عبود : فى التربية الاســلامية ـ الطبعة الثانية ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٨٥ ، ص ١٣٦ .

(81) Brian Holmes : **Comparative Education, Some Considerations of Method** ; George Allen & Unwin Ltd., London, 1981, p. 48.

(82) L. Mukherjee : **Comparative Education** ; Third Edition, Allied Publishers, India, 1975, p. 1.

(٨٣) عباس محمود العقاد : **الانســـان فى القرآن الكـــريم** ـ دار الاسلام ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ ، ص ٧ (من التمهيد) .

(٨٤) دكتور عبد الغنى عبود : **العقيدة الاسلامية ، والأيديولوجيات المعاصرة** ـ الكتاب الأول من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ـ الطبعة الثانية ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٨٠ ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٨٥) المرجع السابق ، ص ١٨ .

الانسان ذاته على الأرض ، « فكل انسان له دين ، الذى يؤمن ، والذى يكفر ، دين سماوى أو أرضى ، أو سياسى أو اقتصادى » (٨٦) ٠

وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة بقوله سبحانه : -

- « **قل يأيها الكافرون ٠ لا أعبد ما تعبدون ٠ ولا أنتم عابدون ما أعبد ٠ ولا أنا عـابد ما عبدتم ٠ ولا أنتم عابدون ما أعبد ٠ لكم دينكم ولى دين** » (٨٧) ٠

وقد كانت هذه (الحياة على عقيدة) ، هى التى خلقت (النظام) فى الجماعة الانسانية ، سواء فى ذلك النظـام الدينى ، والنظـام السياسى ، فكانت المعابد وكان الكهنة ، مثلما كانت الدولة بمؤسساتها المختلفة ، وكان الملوك والأباطرة ٠

ويلفت ول ديورانت نظرنا الى أن « الكاهن لم يخلق الدين خلقا ، لكنه استخدمه لأغراضه فقط ، كما يستخدم السياسى ما للانسـان من دوافع فطرية وعادات ، فلم تنشأ العقيدة الدينية عن تلفيقات أو ألاعيب كهنوتية ، انما نشأت عن فطرة الانسـان ، بما فيها من تسـاؤل لا ينقطع ، وخوف وقلق وأمل ، وشعور بالعزلة » (٨٨) ٠

كما يلفت نظرنا الى أن النظام السياسى نفسـه اتخـذ من الدين سندا له فى بسط نفوذه ، ففى فارس على سبيل المثال ، « أعاد الملوك الساسـانيون الى الدين الزرادشتى ما كان لـه من سلطان ورونق ، فوهبت الأراضى والعشور الى الكهنة ، وأسس نظام الحكم على أساس الدين ، كما كان الحال فى أوروبا ، وعين كاهن أكبر ، ذو سلطان ، لا يفوقه الا سلطان الملك نفسـه » (٨٩) ، « وكان سن القـوانين من عمل الملوك ومستشاريهم والمجوس ، وكانـوا يعتمدون فى سـنها على قوانين الأبسـتاق القديمـة ، وكان يترك للكهنة تفسـير هذه القوانين وتنفيذها » (٩٠) ٠

---

(٨٦) أنيس منصور : **طلع البدر علينا** - الطبعة الأولى - المكتب المصرى الحديث - القاهرة - ١٩٧٥ ، ص ١٣٦ ٠

(٨٧) قرآن كريم : **الكافرون** - ١٠٩ : الآيات ١ - ٦ ٠

(٨٨) ول ديورانت : **قصة الحضارة** - الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ١١٧ ٠

(٨٩) المرجع السابق ، ص ٣٨٠ ٠

(٩٠) المرجع السابق ، ص ٣٨٤ ٠

وهذا الذى كان يحدث فى فارس ، كان يحدث فى كل المجتمعات القديمة ، ففى بابل ، « لم تكن سلطة الملك يقيدها القانون وحده ، ولا الأعيان وحدهم ، بل كان يقيدهـا أيضـا الكهنـة » (٩١) ، وفى مصر القديمـة ، كانت « طبقة الكهنـة هى أشرف الطبقـات وأعلاهـا » ، و « كانت تملك ثلث الأراضى المصرية ، معفى من الضرائب ، ولم تكن أعمال افرادها مقصورة على الخدمات الدينية ، كما يتوهم ، بل كانوا يشغلون جميع مناصب الحكومة ، ومراتبها الرفيعة ، ويتولـون جميع الأعمال والشئون ، التى تحتاج فى ادارتها الى المهارة والعلم ، فكانوا الأطباء والمهندسين والمعلمين والقضاة والمؤرخين ... » (٩٢) ، « كما كانوا هم الشرطة السرية ، القوامة على النظام الاجتماعى » (٩٣) .

وهكذا كانت الحياة فى المجتمعات القديمة (حياة على مبـدأ أو عقيدة) فعلا ، على حد وصف العقاد السابق للحياة الانسانية فى القرن العشرين ، فقد كان الدين « من فوق كل شىء ، ومن أسفل منه ، فنحن نراه فيها ، فى كل مرحـلة من مراحـله ، وفى كل شكل من أشكاله، من الطواطم الى علم اللاهوت ، ونرى أثره فى الأدب ، وفى نظـــام الحـكم ، وفى الفن » (٩٤) ، على حـد تعبير ول ديورانت ، عنـد حديثه عن مكانة الدين فى المجتمع المصرى القديم .

ولم تبتعد التربية فى هذه المجتمعات القديمة عن (الحيـاة على مبدأ أو عقيدة) الأمة ، فلقد ازدهرت فى العالم القديم « الحضـــارات الهندوكية والصينية والفارسية والفينيقية والمصـرية القديمة واليونـانية والرومانية وغيرها ، ولكل من هذه الحضارات تاريخ شيق ، يدل على مدى ما بلغته شعوبها من الرقى الفكرى والاجتمـاعى والروحى ، كما

---

(٩١) ول ديورانت : قصةالحضارة ـ الجزءالثانى من المجلد الأول (الشرق الأدنى) ـ ترجمة محمد بدران ـ الطبعة الثانيـــة ـ الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية ـ لجنة التأليف والترجمة والنشــر ـ القاهرة ـ ١٩٥٦ ، ص ٢١١ .

(٩٢) مصطفى أمين : تاريخ التربية ـ الطبعـة الأولى ـ مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر ـ القاهرة ـ ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٥ م ، ص ١٣ .

(٩٣) ول ديورانت : قصةالحضارة ـ الجزءالثانى من المجلد الأول (الشرق الأدنى) (المرجع الأسبق) ، ص ١٦٢ .

(٩٤) المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

تميز كل مجتمع من هذه المجتمعات بمثله العليا وتقاليده ونظـام حكمه وطريقة تربيته للنشء واعداده للحياة ، وفقا للسائد من عقائد وفلسفات، ووفقا لحالته الاجتماعية والاقتصـادية والسـياسية ، ووفقـا لظروفه الطبيعية ، ولمستواه الثقافى » (٩٥) .

وعندما تعقدت حضارات بعض المجتمعات القديمة الى الحد الذى اضطرت فيه الى انشاء المدارس النظامية ، كانت هذه المدارس تنشأ فى المعابد ، وتحت اشراف الكهنة (٩٦) .

وهكذا تكون العلاقة بين التربية وأيديولوجية الدولة علاقة قديمة، وليست علاقة من العلاقات التى أنشأتها الحيـاة فى القرن العشرين ، لأن مثل هذه العلاقة من سنن الحياة البشريـة ، ويكون تجـاهل هذه العلاقة - على نحو ما نرى فى بلاد العالم الثالث - ومن بينها البـلاد العربية والاسلامية - اليوم ، هو الأمر غير الطبيعى ، مما يعتبر لدى الكثيرين ، من معوقات التقدم التربوى فى بلاد العالم الثالث على وجه العموم (٩٧) .

اقتصاديات التربية :

تعرف اقتصاديات التربية ، أو اقتصاديات التعليم Economics of Education بأنها « العـام الذى ينظر الى العمليـات التعليمية من الزاوية الاقتصادية » (٩٨) ، أو هى « دراسة اقتصاديات المـوارد

---

(٩٥) فتحية حسن سليمان : **التربية عند اليونان والرومان** - مكتبة نهضة مصر - القاهرة ، ص ز (من المقدمة) .

(٩٦) ارجع - على سبيل المثال - الى :

- مصطفى أمين (مرجع سابق) ، ص ١٨ ، ١٩ .

- ول ديورانت : **قصة الحضارة** - الجزء الثانى من المجلد الأول (مرجع سابق) ، ص ١٠٤ .

(٩٧) ارجع فى هذا المجال الى :

— Keith Watson : "Educational Neocolonialism — The Continuing Colonial Legacy", Chapter Ten from : **Education in the Third World**, Edited by Keith Watson : Croom Helm, London & Camberra, 1982, pp. 187, 188.

(98) Dr. A. Zaki Badawi : **A Dictionary of the Social Sciences, English-French-Arabic** : Libraire du Liban, Beirut, 1978, p. 127.

البشرية ، والتربية المخططة فى ضوء الأهداف الاقتصـــادية ، وتحليل القيمة الاقتصادية للعملية التربوية ، من حيث التكلفة والعائد » (٩٩).

ومجال الدراسة فى اقتصاديات التربية مجال حديث ، يعود الى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث أصبح التعليم « ميـــدانا مستقلا من ميادين الدراسة ، بعد أن كان جزءا مرتبطا ارتباطا تاما بالسياسة أو الأخلاق أو النظم الدينية » (١٠٠) .

ويمكن أن يقال - باختصار - ان مجال اقتصاديات التربية مجال يهتم (بترشيد) العملية التعليمية ، وذلك بتوفير سبل الحصول على أكبر عائد ممكن منها ، بأقل قدر من المصروفات ينفق عليها ، و « لذلك كانت الكفاية الانتاجية لكل نوع من أنواع النشاط التعليمى ، هى المعيار فى اقتصاديـــات التعليـم » ، اضـــافة الى « المعـــايير القومية أو الاجتماعية » (١٠١) .

واذا كان قياس (المدخـلات) و (المخرجـــات) في مجـالات الصناعة والزراعة وغيرها من عناصر التنمية المادية أمرا سهلا ، فـان قياسها بالنسبة للعنصر البشرى « ليس بالأمر السهل » (١٠٢) ، على حد تعبير آدمز . يضاف الى ذلك ما يراه راو Rao ، من أنه « يجب أن ينظر الى التعليم على أنه استثمار فى المصـادر البشرية ، وفى الوقت ذاته لا يستطيع أحد أن يفكر فى التعليم كاستثمار فقط » (١٠٣) .

ان حصر (مخرجـات) التعليم فى منجـزات مـادية ، أو فى (مهارات) بعينها تؤدى الى منجزات مادية ، مما يمكن (قياسه) ، ظلم للتربية ، وظلم للانسان - موضوع التربية - ذاته ، فكما يعزى الى التربية - أحيانا - نشر الوئام والحب والتعاطف بين النـاس ، يعزى

---

(٩٩) الدكتور محمد على الخولى : **قاموس التربية ، انجليزى / عربى** - الطبعة الأولى - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٨١ ، ص ١٤٣.

(١٠٠) الدكتور حامد عمار : **فى اقتصاديات التعليم** (مرجع سابق) ، ص ٧٢ .

(١٠١) المرجع السابق ، ص ٩٨ .

(١٠٢) د. آدمز (مرجع سابق) ، ص ٥٦ .

(103) V.K.R.V. Rao : "Education as Investment", **Education as Investment**, Edited by Baljit Singh ; Meenakshi Prakashan, Meerut, India, 1967, p. 5.

اليها — فى أحيان أخرى — نشر روح الكراهية والحقد فى القلوب ، والدليل على ذلك قيام حربين عالميتين اثنتين فى النصف الأول من هذا القرن العشرين ، الذى نعيش فيه ، ونجنى — فى النصف الثانى منه — ثمرات التقدم العلمى الهائل ، فى الوقت الذى اكتوى فيه من عاشوا فى النصف الأول منه بنار هذا التقدم العلمى .

ولا يعنى ذلك عدم جدوى الأرقام والمنجزات المادية فى عملية التربية ، وعدم جدوى البحث فى اقتصاديات التربية من خلالها ، وانما هو يعنى ضرورة تطوير البحث فى اقتصاديات التربية ، بحيث يتسع لهذه الأمور غير المادية ، التى قد تكون أكثر أهمية فى بعض الجوانب، من المنجزات المادية ذاتها ، وبحيث لا يكون للرقم فى البحث أهمية أكبر من أهميته الحقيقية ، التى هى مجرد (الدلالة) على شىء بعينه ، فالرقم لا قيمة له فى حد ذاته فى التربية والبحوث العلمية التربوية ، ما لم يتمكن الباحث من « فهم الظواهر وتفسيرها » (١٠٤)، أو « اكتشاف معرفة جديدة من خلاله » (١٥٠) ، أو « رسم استنتاجات عامة من البيانات ، من أجل تشكيل تعميمات يمكن الاعتماد عليها ، ومن اختبار صلاحية مثل هذه التعميمات » (١٠٦) .

ويرى جون بست John Best أنه من أجل صعوبة (التحكم) فى الانسان — موضوع البحث — « يرفض كثير من المتخصصين الاعتراف بمجالات مثل الأنثروبولوجى والاقتصاد والتربية والعلوم السياسية وعلم النفس وعلم النفس الاجتماعى ، على أنها علوم » (١٠٧) ، شأنها شأن العلوم الطبيعية ، التى يسهل (التحكم) فى موضوعاتها ، واخضاعها للبحث والدراسة .

---

(104) Walter R. Borg, and Meredith D. Gall : **Educational Research, An Introduction** ; Fourth Edition, Longman, New York & London, 1983, p. 20.

(105) Ibid., p. 772.

(١٠٦) دكتور محمد زيان عمر : **البحث العلمى ، مناهجه وتقنياته** — دار الشروق ، للنشر والتوزيع والطباعة — جدة — ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م ، ص ٣٣٥ .

(107) John W. Best : **Research in Education** ; Second Edition, Prentice-Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey, 1970, p. 6.

ان التربية عملية (كيفية) ، أكثر مما هى عملية (كمية) ، ومن ثم تغدو قيمة (الرقم) أو (الكم) فيها هى « زيـادة العلم والفهم ، ومحو الجهل العام ، بالنسبة للانسـان وسـلوكه » (١٠٨) ، على حد تعبير كيرلنجر Kerlinger .

وثمة شواهد تاريخية كثيرة ، تدل على عجز المقـاييس المـادية المستخدمة فى (اقتصاديات التربية) ، عن (تحديد) العلاقة السببية القائمة بين التربية والتقدم الاقتصـادى ، لعـل أشـهرها (الثورة الصناعية) ، التى تفجرت فى انجلترا فى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى ، ومنها انتقلت الى سـائر أنحـاء أوروبا ، فان هذه (الثورة الصنـاعية) لم تكـن ثمرة من ثمرات التربية الانجليزيـة ، بل على العكس ، « كان التوسع فى التعليم النظـامى فى انجلترا نتيجـة من نتائج التصنيع ، أكثر مما كان سببا من أسبابه . والشـواهد تدل على أن ثمة علاقـة مشـابهة قد ظهرت فى التطور التعليمى فى الولايـات المتحـدة ، فى أواخـر القـرن التـاسع عشر ، وأوائـل القـرن العشرين » (١٠٩) .

وهكذا ، لم تكـن التربية هى التى قـادت أوروبا الى (الثـورة الصناعية) وما تلاها من ثورات ، وصلت الى ما هى عليه اليوممن تقدم وازدهار ، وانما كان الاصلاح الدينى الذى تفجرت شرارته سنة ١٥١٥م على يد مارتن لوثر Martin Luther (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) هو الذى يقف وراء ذلك كله ، فقـد أدى الاصـلاح الدينى « الى احداث تغيير جذرى فى اتجاه الناس نحو أنفسهـم ، ونحو عـالمهم الذى يعيشـون فيه » (١١٠) ، على حد تعبير هدسون Hudson ، وكان من نتائج هذا التغيير الذى حدث ، أن « صار الانسان يعيش فى عالم ديناميكى ،

---

(108) Fred N. Kerlinger : **Behavioral Research, A Conceptual Approach** ; Holt, Rinehart and Winston, New York, 1979, p. 305.

(109) Ingemar Fagerlind, and Lawrence J. Saha : **Education and National Development : A Comparative Perspective** ; Pergamon Press, Oxford, 1983, p. 37.

(110) William Henry Hudson : **The Story of the Renaissance** ; George G. Harrap & Company Ltd., London, 1928, p. 3.

دائم التغير ، بعد أن اصبحت حياته سعيا وعملا » (١١١) ، على حد تعبير أوليخ Ulich .

والى هـذا (الاصلاح الدينى) ، يعزو أوليخ Ulich مولـد النظم التعليمية الحديثة فى أوروبا (١١٢) ، ومن ثم لم تكن التربية هى سبب ما حدث فى الغرب من تطور ، بل ان التربية ذاتها كانت نتيجة من نتائجه .

ولقد « كانت التربية هى السبيل الذى سلكه محمد ﷺ (٥٧١ - ٦٣٢م = ق - ١٢هـ) لإحداث أعمق تغير أيديولوجى عرفه التاريخ فى نفس الانسان ، به استطاع أن (يجند) رجالا ، يقضون على معـاقل الشرك والوثنية فى مكة ، ويقيم للاسلام دولة فى الجزيرة العربية ، ثم يقيم أتباعه من بعـده امبراطورية كبرى ، تحـل محـل امبراطوريتى الفرس والروم ، وكل ذلك فى أقل من ثلث قرن من الزمان .

وبهذا التغير الأيديولوجى الذى أحدثته التربية المحمدية فى نفس الانسان ، حقق المسلمون تلك الانتفاضـة الحضـارية الكبرى ، التى اشتهروا بها فى العصور الوسطى » (١١٣) ، والتى أقام عليها الغرب حضارته بعد الاصلاح الدينى .

الا أننا لو أردنا قياس كفـاءة هذه التربية المحمـدية بالمقاييس المادية التى تعتمد عليها (اقتصاديات التربية) ، ما وجدنا علاقة تذكر بين (مدخلات) هذه التربية و (مخرجاتها) ، وهو ما سنتعرض له بشىء من التفصيل فى فصول الكتاب التالية بإذن الله .

---

(111) Robert Ulich : **The Education of Nations, A Comparison in Historical Perspective** ; Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1961, p. 45.

(112) Ibid., p. 52.

(١١٣) دكتور عبد الغنى عبود : **دراسة مقارنة لتاريخ التربيـة** (مرجع سابق) ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفصل الثاني

الحيـــاة الاقتصـادية

[illegible]

[illegible]

تقديم :

بعد تحديد معنى التربية والقاء الضوء عليها فى الفصل الأول ، لا يكون أمامنا الا تحديد معنى الاقتصاد والقاء الضوء عليه فى هذا الفصل الثانى ، بوصف الاقتصاد هو الشق الثانى فى موضوع البحث .

ورغم أن المدقق فى قضية الاقتصاد لا يسعه الا أن يقرر أن الاقتصاد - شأنه شأن التربية كما رأيناها فى الفصل الأول - قديم قدم الحياة الانسانية على الأرض ، فان الانسان منذ وجد وهو يدبر أمور حياته وعمله والا مات ، على حد تعبير سبنسر Spencer (١) - ورغم أن الاقتصاد - بطبعه - وسيلة ، يتمكن الانسان بها من أن يعيش حياة أفضل - رغم هذا وذاك ، فقد نما علم الاقتصاد اليوم نموا سرطانيا ، ان صح التعبير ، بحيث صار الاقتصاد هو الحياة ، وصار التقدم الحضارى « اقتصاديا بطبعة » (٢) ، على حد تعبير ويكسترا Wykstra ، كما صار الاقتصاد يبدو كما لو كان (غاية) فى حد ذاته .

وكل ذلك مما يفرض علينا القاء الضوء على الاقتصاد من جميع جوانبه ، حتى نقيم معالجتنا لموضوع التربية الاقتصادية على أساس علمى سليم ، فنضع الاقتصاد حيث يجب أن يوضع ، غير متأثرين بنموه (السرطانى) الذى أوصلته اليه حضارتنا المادية المعاصرة ، مما وصل بها الى طريق مسدود ، على نحو ما سنرى باذن الله - ونضع التربية الاقتصادية حيث يجب أن توضع أيضا ، ونبحث قضية (التربية الاقتصادية فى الاسلام) - موضوع الدراسة - معالجة علمية موضوعية ، غير متأثرين فيها بمدرسة بعينها من مدارس الاقتصاد المعاصرة ، التى خلقتها ظروف الحياة فى القرن العشرين .

---

(1) F.H. Spencer : **Industry and Society, How We Work and How We are Governed** ; University of London Press, Ltd., London, 1935, p. 14.

(2) Ronald A. Wykstra : **Introductory Economics** ; Harper & Row, Publishers, New York, 1971, p. 5.

مدخل تاريخى :

يستطيع الناظر المتأمل فى تاريخ التفكير الانسانى أن يتوصل - بسهولة - الى ان (الاقتصاد) كان مبتدأ هذا التفكير وليس غيره ، وأن هذا الاقتصاد كان (النواة) التى دار حولها تفكير الانسان بعد ذلك .

ذلك أن (المسألة الاقتصادية) كانت أولى المسائل التى قابلت الانسان أول وجوده على الأرض ، فقد « كان عليه أن يوفر لنفسه الهواء والماء والطعام والمأوى ، من أجل أن يعيش ويتكاثر . وقد كان الهواء والماء سلعتين مجانيتين ، ومن ثم كان عليه أن يناضل من أجل تأمين طعامه ومأواه ، معتمدا فى ذلك على جهوده الفردية الخاصة » (٣) .

وقد عاش الانسان فترة « تمتد الى أكثر من تسعة أعشار عمر الانسان على الأرض » ، « يحارب الطبيعة بسلاح مفلول ، لينتزع من بين مخالبها القاسية ، حاجات يومه ، من شراب وكساء ومأوى » .

« وحول لقمة العيش ، تركزت أيديولوجيا الانسان الأول ، فيما قبل التاريخ ، وحولها دار نشاطه ، وتطور تفكيره »» ، ومن أجلها « ظل الانسان ينتقل مئات الآلاف من السنين ، من مكان الى مكان ، قبل ان (يستقر) على ضفاف الأنهار ، ومن أجلها استأنس ما استأنس من حيوان ، وناصب بعض الحيوانات العداء ، وتوصل الى أنجع الوسائل للقضاء عليها ، أو لحماية نفسه منها على الأقل » (٤) .

وقد كانت حاجات الانسان البيولوجية ، أو (لقمة العيش) تلك ، هى التى تقف وراء خطوات الانسان كلها على طريق الحضارة ، بدءا من استقراره على ضفاف نهر ، وحياته فى مجتمع ، وتفكيره تفكيرا مشتركا ، أدى به الى الدخول فى عدد من (الثورات) ، بدأت (بالثورة الزراعية) ، و « لاشك أن التحول من جمع الغذاء الى انتاج الغذاء كان ثورة تقدمية كبرى فى تاريخ البشرية ، وقد ترتب على ذلك ظهور الحياة المستقرة ، وتكوين القرى ، ومن ثم بدأت الحضارة الحقيقية تظهر فى أماكن هذا الاستقرار ، فعرف الناس اقامة المساكن »،

---

(3) Roe L. Johns, and Edgar L. Morphet : **The Economics and Financing of Education, A System Approach** ; Third Edition, Prentice-Hall, Inc.,Englewood Cliffs, New Jersey, 1975, p. 106.

(٤) دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة لتاريخ التربية (مرجع سابق) ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

« كما أنتجوا الفخار وزينوه برسوم وزخارف هندسية حيث ، وبالطبيعة حيث اخر ، وعرفوا حيف يحرثون الحبوب ، ويحتفظون عليها ، للطعام أو الاستنبات ، وعرفوا انتاج الادوات النحاسيه والصوانيه الدقيقة » (٥) وغيرها .

ولقد « اقتضى وصول الانسان الى مرحلة الزراعة ، ترويضا للطبيعه التى يعيش فيها ، ليتحقق له الانتفاع بالماء والارض » ، و « ترويضا للطبيعة الداخلية فى الانسان ، وتنظيما خاصا للمجتمع » (٦) ، مما مكنه من ان يضع القدم على طريق الحضارة الانسانيه الطويل ، الذى بلغ مداه فى هذا العصر الذى نعيش فيه .

ولم يكن الانسان فى اقتحامه عصر الحضارة ، بفهمه للطبيعة وسيطرته على قواها واستغلالها لصالحه ، يفعل ذلك من باب الترف العقلى وحب الاستطلاع ، مما هو من طبعه أيضا ، « وانما جاءت انطلاقا من مبدأ : الحاجة أم الاختراع » ، على حد تعبير الدكتور أنطونيوس كرم ، « فقد كان الانسان الأول واقعيا وبراغماتيا ، وفى معركته من أجل البقاء والارتقاء ، أخذ يستخدم الخامات المتاحة له لصنع الأدوات التى تزيده قوة وانتاجية » (٧) .

ولقد تجمعت خبرات الانسان الطويلة فى (التعامل) مع الطبيعة وعناصرها — فى النهاية — فى صورة أقرب الى (العلم المنظم) ، الذى توارثته الأجيال ، وأضف اليه كل جيل قدر طاقته ، ومن ثم « يرجع العلم فى أصوله وتاريخه ، الى الشعوب البدائية الاولى ، التى أرست قواعد حضارتنا البشرية — شعوب مصر والعراق والهند ، ثم اليونان » (٨) .

---

(٥) أبو صالح الألفى : **الفن الاسلامى ، أصوله ، فلسفته ، مدارسه** — الطبعة الثالثة — دار المعارف — القاهرة ، ص ٣٥ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٧) د. أنطونيوس كرم : **العرب أمام تحديات التكنولوجيا** — رقم (٥٩) من (عالم المعرفة) — سلسلة كتب ثقافية شهرية ، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآدب — الكويت — محرم / صفر ١٤٠٣هـ — نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٨٢م ، ص ١٧ .

(٨) دكتور رءوف سلامة موسى : **فى أزمة العلم والجامعات** — دار ومطابع المستقبل — القاهرة ، ص ٢٠ .

كما ساعد ظهور (الدولة) ـ بمنظماتها ومؤسساتها المختلفة ـ فى توجيه هذا العلم وجهة تحقق أهداف المجتمع ، على نحو ما يحدثنا التاريخ عن الدور الذى لعبه الكهنة فى الحضارة المصرية القديمة ، وما توصلت اليه من علوم وفنون ومهارات ، أدت الى تسمية مصر القديمة « بأم الفنون الميكانيكية » (٩) ، على حد تعبير مونرو ، فقد كان هؤلاء الكهنة ، هم الذين يوجهون شئون العلوم والفنون ، بهدف « ربط هذه الفنون والمهارات بعجلة التقدم الحضارى فى المجتمع المصرى القديم » ، « بل عمل الكهنة بسلطاتهم الواسعة المطلقة ، على صهر الاتجاهات العلمية والفنية والحرفية فى بوتقة التقاليد ، التى كانوا هم أنفسهم يوجدونها ، ويعملون على تنميتها ، وكان الخروج على هذه التقاليد كفرا وزندقة ، بل ثورة على الاله » (١٠) ٠

ولقد أدى تدخل الدولة هذا فى شئون العلم فى مصر القديمة على سبيل المثال ، الى ظهور كتابات علمية منظمة فى فروع العلم المختلفة ، تسير على أسس منهجية سليمة ، على حد تعبير ألدو مييلى ، « فنحن نجد فى هذه الكتابات مايشبه بواكير الرسائل الرياضية والطبية والفلكية والكيميائية الخ » (١١) ٠

ولقد كان هذا الدافع الاقتصادى ذاته هو الذى يقف وراء اختراع الكتابة على سبيل المثال ، فى رأى كلنتون هارتلى جراتان ، فقد « كانت الكتابة أكثر انتشارا حيث توجد طبقة ضخمة من التجار ، لأن تلك الطبقة استكشفت الكتابة من أقدم العصور ، لتستفيد منها فى ضبط الحسابات ، وتيسير الاتصالات ، فاذا أخذنا برأى سبيرز ، استطعنا

---

(9) Paul Monroe : **A Cyclopedia of Education,** Volume Two ; The Macmillan Company, New York, 1911, p. 423.

(١٠) دكتور سعد مرسى أحمد : **تطور الفكر التربوى** ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ ، ص ٦٤ ٠

(١١) ألدو مييلى : **العلم عند العرب ، وأثره فى تطور العلم العالمى** ـ نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور محمد يوسف موسى ـ قام بمراجعته على الأصل الفرنسى الدكتور حسين فوزى ـ جامعة الدول العربية ـ الادارة الثقافية ـ الطبعة الأولى ـ دار القلم ـ القاهرة ـ ١٩٦٢ ، ص ٣٣ ٠

القول بأن الدافع الاقتصادى كان عاملا قويا من عوامل انتشار الكتابة » (١٢) .

ومنذ ذلك اليوم ، والدافع الاقتصادى يقف وراء القفزات العلمية والحضارية ، التى قفزتها البشرية ، والتى بلغت مداها اليوم ، على نحو ما سنرى فى بقية الدراسة باذن الله ، حتى صار هذا البعد الاقتصادى خطرا يهدد البشرية ، على حد تعبير كاست وروزنزويج Kast & Rosenzweig ، بعد أن صار العلم والتكنولوجيا - أداة التطور الاقتصادى اليوم - غاية ، لا وسيلة ، فقد « كانت النظرة الى العلم والتكنولوجيا في الماضى على أنهما أدوات لتطوير الوجود الانسانى ، وتأمين سيطرة الانسان بصورة أكثر كفاءة على البيئة المادية والاجتماعية المحيطة به . ولكننا منذ عهد قريب بدأنا نرى عكس ذلك ، مما جعلنا نتساءل عما اذا كان العلم والتكنولوجيا قد حققا لنا - بالفعل - حياة أفضل ، بعد أن ظهرت قيم واتجاهات متصارعة كثيرة، تدل على أننا مازلنا فى حاجة الى مزيد من التقدم التكنولوجى ، الذى يمكن السيطرة عليه اجتماعيا ، بحيث نتأكد من أنه سيقودنا الى حياة أفضل من حياتنا التى نحياها فى الوقت الحاضر - لا الى حياة أسوأ » (١٣) .

معنى الاقتصاد :

يعنى الاقتصاد Economy فى اللغة الانجليزية « تدبير شئون البيت » ، مثلما يعنى « الاستخدام الأمثل للموارد المادية » ، و « الاستخدام الأمثل للموارد غير المادية » أيضا ، كما يعنى « توفير المال » (١٤) .

واذا كان معنى (الاقتصاد) ينطلق فى اللغة الانجليزية من منطلق مادى خالص كما سبق ، فان معناه فى اللغة العربية ينطلق من

---

(١٢) كانتون هارتلى جراتان (مرجع سابق) ، ص ٣١ .

(13) Fremont E. Kast, and James E. Rosenzweig : **Organization and Management, A System and Contingency Approach** : Fourth Edition, McGraw-Hill Book Company, New York, 1985, pp. 207, 208.

(14) **Webster's Ninth New Collegiate Dictionary,** A Merriam-Webster, Merriam-Webster Inc., Springfield, Massachussetts, 1986, p. 395.

منطلق مضاد تماما ، حيث يعنى الاقتصاد فى اللغة العربية التوسط والاعتدال (١٥) ٠

ولما كانت الحضارة المعاصرة حضارة غربية فى أساسها ، فقد سيطر المعنى الانجليزى — الغربى على الاقتصاد ، فصار — اصطلاحيا — يعنى « دراسة الطرق البديلة ، التى يختار من بينها بنو الانسان ، أكثرها قدرة على استغلال الموارد المتاحة استغلالا أمثل ، لانتاج بضائع وخدمات ، لاشباع حاجاتهم » (١٦) ، وتم تحديد النظام الاقتصادى Economic System بأنه « التركيبة المعقدة للمؤسسات التى أقامها المجتمع لاستغلال أدوات الانتاج ووسائله ، والطريقة التى تتم بها ادارة هذه المؤسسات وتنظيمها » (١٧) ٠

وهكذا ، رغم أن علم الاقتصاد ينطلق من منطلقات مادية خالصة، فان المشتغلين به يجدون أنفسهم مضطرين الى (التعامل) مع عناصر غير مادية ، فى مقدمتها العنصر البشرى بطبيعة الحال ٠

وهنا يجد علماء الاقتصاد المعاصر أنفسهم (مضطرين) الى الانغماس فى هذه الجوانب غير المادية ، سواء ما يتعلق منها بالفرد ودوافع سلوكه ، وما يتصل بالمجتمع ومستوى نموه والعلاقات القائمة بين أفراده ، والقيم السائدة فيه ، وغيرها وغيرها ، مما لابد أن يكون له تأثير فى عملية الانتاج ، ليحركوا — فى ضوئها — العناصر المادية فى عملية الانتاج وغيرها من عناصر الاقتصاد المادية ، مما جعل « الاقتصاد يحاول فى الوقت الحاضر أن يرتبط بمجموعة العلوم الاجتماعية الأخرى ، طالما أنه يهتم بالتنبؤ بالذبذبات التى يمكن ان تطرأ على الدخل ، ويهتم كذلك بظاهرة النمو الاقتصادى والتنمية الاقتصادية للمجتمعات المتخلفة ٠ والاقتصاد حينما يدرس هذه الظواهر،

---

(١٥) مجمع اللغة العربية : **المعجم الوسيط** — الجزء الثانى — الطبعة الثانية — قام باخراج هذه الطبعة الدكتور ابراهيم أنيس وآخرون — وأشرف على الطبع حسن على عطية ومحمد شوقى أمين — القاهرة — ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م ، ص ٧٣٨ ٠

(16) Ronald A. Wykstra ; Op. Cit., p. 11.

(17) Howard R. Bowen : **Toward Social Economy** ; Second Edition, Huntley Book Store, The Claremont Colleges, California, 1973, p. 120.

لابد أن يكون على يقين من أن الأفـكار والمعتقـدات الدينية والثقـافية للانسان ، تؤثر فى سلوكه الاقتصادى » (١٨) ٠

وهكذا صار هناك اقتصاد رأسمالى واقتصاد شيوعى أو اشـتراكى على سبيل المثال ، أو صار هناك اقتصاد حر واقتصاد موجه ، وصار هناك توجيه أيديولوجى للعاملين فى حقل الاقتصاد ، وللبـاحثين فى قضاياه ، حتى انه « يقـال فى بعض الأحيـان ، ان الأكـاديميين الاقتصاديين وغيرهم من العـاملين فى حقل العـلوم الاجتمـاعية ، أيديولوجيون بالضرورة » (١٩) ، على حد تعبير سـولو Solow ، وحتى أن « الانسان يستطيع أن يصل الى استنتاج مؤداه أن دراسـة الاقتصاد تجعل الانسان أكثر محافظة ، أكثر مما تفعله دراسة الاجتماع أو السياسة ، بل انها تجعـله أكثر راديكالية ، أكثر مما تفعله دراسـته للبيولوجى أو الرياضيات أو الكيمياء » (٢٠) ، على حد تعبيره أيضا٠

ولعل هذا هو ما قصـد اليـه ويكسـترا **Wykstra** بقوله « ان الاقتصاد فن وعلم ، فى نفس الوقت » (٢١) ، فهـو عـلم ، لأن له أصوله وقواعـده المتعـارف عليها ، وهو - فى الوقت ذاته - فن ، لأن قواعده وأصوله من المرونة والسعة بحيث تمكنه من الاستجابة لظروف المجتمع وحاجاته ، و (للرؤية) التى يراهـا عـالم الاقتصـاد ، أو المتخصص فيه ، متأثرا - فى رؤيته تلك - بالنظام الاقتصادى/السياسى السائد بطبيعة الحال ، شانه فى ذلك شان الفنان ، فى كل زمان ومكان٠

ويرى فردريك هاربيسـون Frederick Harbison أن « التقدم أو التطور يعنى التصـنيع فى بلاد كثيرة ، وأنه قد يعنى الاسـتقلال

---

(١٨) نخبة من أساتذة قسم الاجتماع بجامعة الاسكندرية : **المرجع فى مصطلحات العلوم الاجتماعية** - دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية ، ص ١٤٦ ٠

(19) Robert M. Solow : "Science and Ideology in Economics", No. 4 from : **The Economic Approach to Public Policy, Selected Readings,** Edited by Rayan C. Amacher, Robert D. Tollison, and Thomas D. Willett ; Cornell University Press, Ithaca and London ,1976, p. 71.

(20) Ibid., p. 70.

(21) Ronald A. Wykstra ; Op. Cit., p. 6,

السياسى فى بلاد أخرى ، كما قد يعنى الاصلاح الزراعى أو توفير فرص التعليم أو انشاء سد عال أو انشـاء صناعة الحديد والصلب ... » ، وأن « علماء الاجتماع وعاماء السياسة يميلون الى التفكير فى القضـية من منظور الأخذ بالمدنية الحديثة Modernization ، وأنهم يركزون تحليلاتهم أساسا على بناء المؤسـسات الاجتمـاعية والسـياسية ، أما الاقتصاديون فانهم يميلون الى ربط التقدم بالنمو الاقتصادى ، ومن ثم فهـم يهتمون – بالدرجة الأولى – بكم المدخـرات والاستثمار والدخـل القومى والانتاجية والتوازن التجارى » (٢٢) ، وغيرها ، مما يعتبره آدمز Adams « تعبيرات اقتصادية زائفـة » (٢٣) ، بسـبب عـزل الاقتصاد عن (عمقه الاسـتراتيجى) ، وهو المجتمع ، بكل ألـوان ثقافته وجوانب نشاطه ، بل وبكل « قيمه Values وثقافته وأوضاعه الاجتمـاعية » ، « فكلهـا تتطـور جنبـا الى جنب مع تطـوره الاقتصادى » (٢٤) .

الاقتصاد وأيديولوجية الدولة :

فى ضوء ما سبق ، يصعب تصور النظام الاقتصادى على أنه نظام مستقل قائم بذاته ، وكانما هو يعيش فى فـراغ ، وانما الذى يمكـن تصوره ، هو أن يكون هذا النظام جزءا من حياة أمة بعينها ، لها نظامها السياسى ، وأوضاعها الاجتماعية ، ونظامهـا القيمى ، ومعتقداتهـا الدينية ، اضافة الى أحـوالها الجغـرافية وخصـوصيتها التـاريخية ، وغيرها وغيرها ، مما تتميز به كل أمة ، عن غيرها من الأمم .

ويعرف ويكسترا Wykstra النظام الاقتصادى بأنه « الطريقة التى تنظم بها أمة من الأمم شئونها الاقتصادية ، من أجل اتخاذ قرارات بشأن استخدام مواردها المتاحة لها ، استخداما أمثل » (٢٥) .

ولما كان الأمر يتعلق (باتخاذ قرارات) ، فان هذه القرارات عادة تكون قرارات سياسية ، ولذلك فهو يلاحظ أن « العلاقة بين علم السياسة

---

(22) Frederick Harbison : "The Prime Movers of Innovation" ; Op. Cit., p. 229.

(٢٣) د. آدمز (مرجع سابق) ، ص ٥٠ .

(24) Milton & Rose Friedman : **Free to Choose, A Personal Statement** ; Harcourt Prace Jovanovich, New York, 1980, p. 26.

(25) Ronald A. Wykstra ; Op. Cit., p. 31.

وعلم الاقتصاد بصفة خاصة ، علاقة قوية » (٢٦) . كما يعالج سولو Solow الأمر من منظور أوسع ، فيرى أن « من الواضح أن رجال الاقتصاد يقدمون توصياتهم الى السياسيين ، وأن هذه التوصيات يجب أن تكون مبنية على بعض الأحكام أو القيم الخلقية السائدة فى المجتمع » (٢٧) .

واذا كان الدارسون يُجمعون على أنه « لا يوجد فى الحياة العلمية ، ولا فى عالم الأفكار والنظريات ، نظام اقتصادى منفرد بذاته ، مستقل عن سائر العلوم الاجتماعية ، التى تخضع جميعها لمبادىء عامة ، تحددها مثالية أو مذهبية معينة » (٢٨) ، على حد تعبير الدكتور محمود أبو السعود ، فإنه يصعب فهم هذا النظام الاقتصادى ، دون فهم الأيديولوجيا التى تقف وراءه ، أو المذهبية التى يتم تطبيقه فى ضوئها .

وتعرف الأيديولوجيا Ideology بانها « مجموعة نظامية من المفاهيم ، فى موضوع الحياة ، أو الثقافة البشرية » ، أو بأنها « طريقة أو محتوى التفكير ، الذى تتميز به طبقة ، أو يتميز به فرد » (٣٠) .

ويقال ان الكلمة « من أصل يونانى ، مكونة من مقطعين ، اديو بمعنى ما هو متعلق بالفكر ، ولوجوسى بمعنى علم ، فالأيديولوجية فرع من الدراسات الانسانية ، التى تبحث فى طبيعة الفكر ، ونشأة الصور العقلية عند الانسان » (٣١) ، كما يقال أنها « كلمة لاتينية الأصل ، مشتقة من Ideal ، أى (المثل) أو (المثال) » ،

---

(26) Ibid., p. 11.

(27) Robert M. Solow ; Op. Cit., p. 76.

(٢٨) د. محمود أبو السعود : « المذهبية الاسلامية » ـ **المسلم المعاصر** ـ فصلية فكرية ، تعالج شئون الحياة المعاصرة ، فى ضوء الشريعة الاسلامية ـ العدد التاسع ـ يناير / مارس ١٩٧٧ ، ص ١٩ .

(٢٩) منير البعلبكى : **المورد ، قاموس انجليزى عربى** ـ الطبعة السابعة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٧٤ ، ص ٤٤٧ .

(30) H.W. Fowler, and F.G. Fowler (Edited by) ; Op. Cit., p. 589.

(٣١) أحمد عطية الله : **القاموس السياسى** ـ الطبعة الثالثة ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٦٨ ، ص ١٦١ .

وأنها « ناتج عملية تكوين فكرى عام ، يفسر الطبيعة والمجتمع والفرد ، ويطبق بصفة دائمة » (٣٢) ٠

وأيا كان (أصل) كلمة (الأيديولوجيا) Ideology ، فان لها معنى خاصا ، هو الذى يعنينا فى مثل هذا المبحث ، وهو أنها تعنى « مجموعة الأفكار ، المبنية على أساس من نظرية أو نظام اقتصادى أو سياسى »(٣٣) ، أو « النظريات والأهداف المتكاملة ، التى تشكل قوام برنامج سياسى اجتماعى : مذهب » (٣٤) ٠

وهكذا يمكن أن يقال ان « لكل فرد أيديولوجيته ، أى تصوره للحياة ، ورأيه فيها ، وتلك الأيديولوجيا هى التى تحدد تفكيره وتوجهه ، كما أنها هى التى تحدد أنماط سلوكه ، وعلاقاته بالناس ، ونظام حياته ٠٠ » ، « فهو (يتصرف) وفق هذه الأيديولوجيا بطريقة لاشعورية » ، كما يمكن أن يقال أن « لكل مجتمع أيديولوجيته ، أى تصوره للحياة ، ومعتقداته فيها ، وأيديولوجيا المجتمع هى التى تحدد العلاقات بين أبنائه من جانب ، وبينهم وبين مؤسسات المجتمع ومنظماته من جانب آخر » ، « وهذه الأيديولوجيا تعكسها تلك القوانين والنظم السائدة ، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية » (٣٥) ٠

وثمة مذهبان - أو أيديولوجيتان - يحكمان العالم أو يتحكمان فيه اليوم ، أولهما هو المذهب الفردى ، الذى ظهر فى الغرب بعد الاصلاح الدينى فيه ، « كرد فعل للضغط والكبت الذى كانت تمارسه كل السلطات الحاكمة أو المتحكمة فى المجتمع ، ضد (الفرد) » ، « قرونا طويلة ، قبل تفجر ثورة الاصلاح ، وكان هذا (التحكم) تمارسه الكنيسة ورجالها ، ويمارسه الحكام ، ويمارسه النظام الاقطاعى القديم » (٣٦) ٠

---

(٣٢) **الموسوعة السياسية** - اشراف د٠ عبد الوهاب الكيالى ، وكامل زهيرى - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٧٤ ، ص ٩٩ ٠

(33) H.W. Fowler, and F.G. Fowler (Edited by) ; Op. Cit., p. 589.

(٣٤) منير البعلبكى (مرجع سابق) ، ص ٤٤٧ ٠

(٣٥) دكتور عبد الغنى عبود : **الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة** - الطبعة الثالثة - دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٢٣ ، ٢٤ ٠

(٣٦) المرجع السابق ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ٠

ونتيجة لذلك ، تقوم فلسفة هذا المذهب « على أساس الايمان بالانسان ، من حيث هو (انسان) ، ومن حيث هو الأساس الذى يقوم عليه صرح المجتمع . فالرخاء الاقتصادى والتقدم لا يقومان » — فيه — « على أساس ما تحتكره الدولة من أموال ومنشآت ، بل على أساس النشاط الذى يقوم به الأفراد . والقوة السياسية التى تتمتع بها الدولة » ، « لا تأتى مما يتجمع فى يد السلطة الحاكمة من قوة ونفوذ، ومصادرة للحريات ، بل مما وفرته للمواطنين فيها من حريات وضمانات » (٣٧) .

ولقد أدى المذهب الذى سار عليه الغرب بعد الاصلاح الدينى سنة ١٥١٥م ، الى اطلاق طاقات الانسان المبدعة ، فكانت (الثورة الصناعية) فى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى ، وكان « بزوغ طبقة رأسمالية جديدة ، تقوم على الصناعة وتؤمن بممكنات العلم ، وتستعين برجاله ، وتنفق عليهم فى كفاية وبذخ » (٣٨) ، وكان أن أقيمت « المعامل والمصانع ، وأنشئت السكك الحديدية ، وبنيت السفن الكبيرة » ، « فازداد مختلف الطيبات المادية ، عشرات ومئات الأضعاف ، مما كان عليه ، فى فترة ما قبل المرحلة الرأسمالية » (٣٩)، فكل ما فى حضارتنا الحديثة « ثمار مباشرة ، أو لا مباشرة ، للعملة الرأسمالية » (٤٠) .

ويلخص برتراند رسل انجازات (الانسان) الأوربى — بعد أخذه بهذا المذهب — بقوله : « لقد كان تغير وسائل العمل ، منذ قدماء المصريين الى عام ١٧٥٠ ، أقل من تغيرها من عام ١٧٥٠ حتى يومنا هذا » (٤١) .

---

(٣٧) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٣٨) دكتور رءوف سلامة موسى (مرجع سابق) ، ص ٣٧ .

(٣٩) أ . أليكسييف : **القانون الاقتصادى للرأسمالية الحديثة** — ترجمة اسماعيل عبد الرحمن — دار الفكر — القاهرة — ١٩٥٨ ، ص ٩ .

(٤٠) جوزيف شومبيتر : **الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية** — تعريب وتعليق خيرى حماد — الجزء الأول — العدد (١٨١) من (اخترنا لك) — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة ، ص ٢٠١ .

(٤١) برتراند رسل : **النظرة العلمية** — تعريب عثمان نويه — مراجعة الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن — الجامعة العربية — الادارة الثقافية — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة ، ص ١٣١ .

الا أن (الفردية) ، التى هى محور هذا المذهب ، واطلاق طاقات الانسان ، قد أدت أيضا الى « تمركز مفتاح الحياة الاقتصـادية فى كل بلد ، فى أيدى حفنة قليلة من أصحاب البنوك ، وأصحاب الاحتكارات الصناعية » ، كما أدت الى ظهور « ملوك النفط والحديد والكيماويات والألومنيوم والسكك الحديدية والسيارات والفحم والصحف والبنـوك ، كما يوجد كذلك ملوك للحم الخنزير المحفوظ واللبـــان » ، على حد تعبير ليونتيف ، وفى أيدى هؤلاء المـلوك الجـدد ، « تتركز سـلطة وثروة ، لم يحلم بها أى ملك من المـلوك المتوّجين ، لا فى العصـور القديمة ولا الآن » (٤٢) .

وهكذا أدت هذه الفردية المتطرفة ، التى أدى اليها الاصلاح الدينى فى الغرب ، الى ما يشـبه الفوضى ، التى بلغت « ذروتها فى سـنة ١٨٤٨ ، التى كان فيها فى كل بـلد أوربى ثورة » (٤٣) ، مما مهـد التربة لمولد مذهب مضاد ، عبر عنه الفلاسفة الذين عاشوا فى هذا العصر المائج المضطرب ، أمثـال « فيشته وشـيلنج وهيجل » ، الذين « رغم اشفاقهم من الارهاب ، رحبوا بالثورة الفرنسية ، ودعوا الى عهد جديد ، وتحمسوا لتنظيم الدولة والمجتمع على أساس عقلى ، من أجل حمـاية حريات الفرد ومصالحه » (٤٤) .

وفى هذا الجو المائج المضطرب أيضا ، ولدت الماركسية ، متأثرة بالدرجة الأولى بفلسفة هيجل ، « فمن غير هيجل ، يسـتحيل تصـور ماركس » (٤٥) ، رغم معارضته له فى بعض الأحيان ، ومن ثم قامت

---

(٤٢) ل . ا . ليونتيف : **الموجز فى الاقتصاد السياسى** - ترجمة ابو بكر يوسف - مراجعة ماهر عسل - من سلسلة (من الفكر السياسى والاشتراكى) - دار الكاتب العربى للطباعة والنشـر - القاهـرة - ١٩٦٧ ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٤٣) دكتور عبد الغنى عبود : **الأيديولوجيا والتربية ، مدخـل لدراسة التربية المقارنة** (مرجع سابق) ، ص ٢٧٩ .

(٤٤) عبد الفتاح الديدى : **فلسفة هيجل** - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٠ ، ص ٣١ .

(٤٥) **عصر الأيدولوجية** - مجموعة من المقالات الفلسفية ، قدم لها : هنرى د . أيكن - ترجمة الدكتور فؤاد زكريا - مراجعة الدكتـور عبد الرحمن بدوى - رقم (٤٨٩) من (الألف كتاب) - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٣ ، ص ٨٩ .

على أساس الغاء الملكية الفردية ، ووضـع كل أدوات الانتـاج فى يـد الدولة ، على أساس أنه اذا تغيرت أدوات الانتاج ، « فإن كل مظـاهر الحيـاة فى المجتمع سوف تتغير بالضرورة ، سـواء فى ذلك الحيـاة الاجتماعية والحياة السياسية » (٤٦) .

وعندما تحولت الماركسـية الى (نظـام) فى الاتحاد السـوفيتى سنة ١٩١٧م ، على يد لينين Lenin (١٨٧٠ – ١٩٢٤) ، أعـلن ديكتاتورية الطبقة العاملة ، أو ديكتاتورية البروليتاريا Dictatorship of Proletariat ، وهو الاسم الذى أطلقـه على أولئـك الذين الذين ساعدوه فى الاطاحة بحكم القياصرة ، ثم سـاعدوه – بعد ذلك – فى احكام قبضته على السلطة ، وقال – فى صراحة – « ان الديكتاتورية معناها (السلطة اللانهـائية) ، التى تسـتند على القوة ، لا على القانون » (٤٧) ، منطلقا فى ذلك من فهم هيجل الحرية ، أو تفسيره لها ، حيث يرى أن « القوانين هى شروط الحريـة » ، وأن « طـاعة قوانين الدولة أو الأسرة ، هى طاعة المرء لنفسه ، وهى التحقق الفعلى لحريتـه » (٤٨) ، وأن « الشخص الحر ، هو ذلك الذى يعـرف كيف يفرض بنفسه على نفسه ، تلك الواجبات والمسئوليات التى تحملها اياه الدولة ، وهى – فى نظر هيجل – أعلى النظم الاجتماعية » (٤٩) .

---

(46) Nicholas Hans : **Comparative Education, A Study of Educational Factors and Traditions** ; Routledge and Kegan Paul, Limited, London, 1958, p 202.

(٤٧) دكتور وهيب ابراهيم سمعان : **دراسـات فى التربيـة المقارنة** – الطبعة الأولى – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٥٨ ، ص ٥٦ .

(٤٨) عبد الفتاح الديدى (مرجع سابق) ، ص ٦٧ .

(٤٩) **عصر الأيدولوجية** (مرجع سابق) ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

نظريـات الاقتصــاد :

يعرف المرحوم عباس محمود العقـاد النظرية الاقتصـادية بأنها « مسألة قيود ، أو لا قيود ، أو المسـألة بعبـارة أخرى ، تتوقف على مقدار تدخل الحكومات بسياستها ، فى تقييد المعامـلة ، داخل البلاد وخارجها » (٥٠) .

وعلى هذا الأساس فان نظريات الاقتصاد ليست مجرد (شطحات) عقلية فى أمور اقتصادية ، لا علاقة لها بدنيا الناس ، وانما هى (رؤى) معينة ، لعلاج مشكلات مجتمع بعينه ، فى زمـان ومكان معينين ، من الناحية الاقتصادية .

وغالبا ما تكون هذه (الرؤى) الاقتصادية انعكاسا لواقع قائم ، دفاعا عنه ، ودعما له ، وتطويرا لأساليبه بطريقة علمية هادئة ، أو رد فعل له ، وهدما لأركانه ، اذ المعروف أن (الأوضـــاع) الاقتصـادية تختلف من مكان الى مكان ، كما تختلف من زمان الى زمان فى البـلد الواحد ، على حد تعبير بوين Bowen (٥١) .

ورغم ذلك ، فان هذه (الرؤى) الاقتصادية ، التى تدور حولها نظريات الاقتصاد ، تدور عادة حول أدوات الانتاج وملكيتها ، والكيفية التى تتم بها ادارتها وتشغيلها ، والكيفية التى يتم بها توزيع منتجاتها، أو تسويقها (٥٢) .

وثمة نظريتان اقتصاديتان كبيرتـان تتوزعان عالمنـا المعـاصر ، أولاهما هى النظرية الرأسمالية ، التى تحولت الى (نظام) اقتصادى متكامل ، يطبق الآن بصور مختلفة فى الولايات المتحدة الأمريكية وبلاد أوربا الغربية واليابان ، والثانية هىالنظرية الاشتراكية (أو الماركسية)، التى تحولت الى (نظام) اقتصادى متكامل ، يطبق الان بصـور اكثر اختلافا فى الاتحاد السوفييتى والصين الشيوعية وبلاد أوربا الشرقية ، والبلاد التى تسير فى فلكها ، وهى البلاد التى تسمى تجـاوزا بالبلاد الشيوعية Communist Countries ، وان كان النظام قد تقوضت أركانه فى بلاد كثيرة منها ، فى أوائل العقد الأخير من هذا القرن العشرين .

---

(٥٠) ب.ج. وودز : **التعاون الاقتصادى وأساليبه** ـ الكتاب الثانى من سلسلة (كتب الناقوس) ـ مراجعة وتقديم عباس محمود العقاد ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ، ص ١٠ (من المقدمة ، للأستاذ عباس محمود العقاد) .

(51) Howard R. Bowen ; Op. Cit., p. 53.

(52) Ibid., p. 8.

وفى عالم الرأسمالية Capitalism ، أو العالم الحر ، Free World نجد الحياة « تقوم على أساس الفردية والترسل Laissez-faire ، وعلى أساس النشاط الفردى والمبادرة الفردية ، المعتمدين ، على المغامرة الفردية والذكاء الفردى ، وعلى أساس التنافس بين الأفراد والمؤسسات » (٥٣) ، مع عدم تدخل الدولة - حين تتدخل - الا بمقدار ، ولمساعدة الأفراد - والمؤسسات - على « استغلال طاقاتها وقدراتها لتحقيق أهدافها وطموحاتها الخاصة » (٥٤) .

وقد أدى هذا « التزاوج بين الحرية الاقتصادية والحرية السياسية ، الى ايجاد عصر ذهبى فى كل من بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ، فى القرن التاسع عشر ، حيث حققت الولايات المتحدة من الثراء اكثر مما حققته بريطانيا » (٥٥) .

وقد انتقل هذا الازدهار الاقتصادى ، الذى نتج عن (التزاوج بين الحرية الاقتصادية والحرية السياسية) الى بلاد الغرب الأخرى ، بسبب (المنافسة) التى قامت بين هذه البلاد فى الحصول على (أسواق) ، تحصل منها على المواد الخام ، وتوزع فيها منتاجاتها فى نفس الوقت ، مما أدى الى مزيد من تدخل الدولة فى الشئون الاقتصادية ، لا من أجل السيطرة والتحكم والتوجيه الاقتصادى ومنازعة الأفراد والشركات والمؤسسات ، بل من أجل دعمها جميعا فى تعاملها مع السوق الخارجى ، وفى منفستها للشركات والمؤسسات الأجنبية ، ولذلك « اقترن الاستعمار بالرأسمالية التجارية والرأسمالية الصناعية . والرأسمالية التجارية هى التى سادت فى أوربا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وكانت فيها التجارة هى محور النشاط الاقتصادى » . « وفى مرحلة الرأسمالية الصناعية ، ظهرت تنظيمات انتاجية جديدة ، على رأسها الشركات المساهمة » ، و « انتقلت الرأسمالية من رأسمالية الوحدات الصغيرة ، أو رأسمالية المنافسة ، الى رأسمالية الوحدات الكبيرة ، أو رأسمالية

---

(٥٣) دكتور عبد الغنى عبود : **الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة** (مرجع سابق) ، ص ٢٠٢ .

(54) Milton & Rose Friedman ; Op Cit., p. 148.

(55) Ibid., p. 3.

الاحتكارات Monopoly Capitalism . وبظهور الاحتكارات ، اتسع نطاق الاستعمار ، وتطورت الراسمالية الأوربية ، الى الراسمالية الامبريالية » (٥٦) .

ولكن تدخل الدولة هذا فى الشئون الاقتصادية يختلف من مجتمع أوربى الى آخر ، حسب الظروف الخاصة بكل مجتمع ، كما أنه يختلف فى البلد الواحد من عصر الى عصر ، بحسب المتغيرات التى تفرض نفسها فى كل عصر .

أما فى عالم الاشتراكية Socialism أو الماركسية Marxism ، الذى يطلق عليه - تجاوزا - عالم الشيوعية Communism ، فان المنطلقات النظرية للنظام على النقيض من المنطلقات التى ينطلق منها النظام الراسمالى كما سبق ، فلا مكان للحرية الفردية فى هذا النظام ، ولا مكان للمنافسة ، وانما المكان كله للجماعة ، متمثلة فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى Communist Party ، وللجانه المحلية ، التى تنفذ حرفيا تعليمات اللجنة المركزية للحزب . ولا مكان كذلك للمرونة والاستجابة للحاجات والظروف المتغيرة ، ما لم تستطع اللجنة المركزية للحزب تفسير تعاليم ماركس Marx ولينين Lenin تفسيرا يستجيب لهذه الظروف والحاجات .

ذلك أن الاشتراكية أو الماركسية أو الشيوعية تقوم على أساس (ديكتاتورية البروليتاريا) ، كما سبق ، وذلك من أجل تسهيل عملية « تحطيم البورجوازية » ، و « الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية » (٥٧) ، على حد تعبير أفاناسييف Afanasyev ، حيث تتم « السيطرة على أجهزة الدولة ، وعلى المنظمات الجماهيرية - كالاتحادات التجارية والتعاونيات وكل منظمات الشباب والرياضة والفنانين والكتاب وغيرها - وتوجيه جهودها جميعا لتحقيق هدف واحد» (٥٨) ، على حد تعبيره أيضا ، ومن ثم فان « الحزب الشيوعى

---

(٥٦) دكتور سعد ماهر حمزة : **المقدمة فى اقتصاديات التبعية والتنمية ، تجارب افريقية وعربية** - دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٦٧ ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(57) A. Afanasyev : **Marxist Philosophy, A Popular Outline** ; Third Edition, Progress Publishers, Moscow, 1968, p. 288.

(58) *Ibid.*, p. 295.

هو الذى يوجه عمل السوفيت كله اليوم ، فهو الذى يقود أجهزة الحزب فى جميع أنحاء البلاد، وهو الذى يقوم بدور القيادة والتوجيه، للمجتمع السوفيتى كله » (٥٩) .

التنمية الاقتصادية :

يعرف آدمز Adams النمو الاقتصادى Economic Growth بأنه « تحول مستمر ، واعادة لتوزيع الموارد . وكان التحول من الناحية التاريخية من الزراعة الى الصناعة ، ومن ثمة الى الخدمات » (٦٠) .

وهذا التعريف الذى يعرّف به آدمز النمو الاقتصادى تعريف يبسط قضية النمو الاقتصادى تبسيطا قد يكون مخلا بالقضية ، الا اذا فهمنا عملية (التحول) هذه على أنها تحول يشمل الحياة كلها ، ولا يقتصر على الجانب الاقتصادى منها وحده ، كما قد يفهم من التعريف .

وعلى أية حال ، فان النمو الاقتصادى Economic Growth مرادف للتطور الاقتصادى Economic Development ، الذى « استخدم فى سياقات مختلفة من الكلام ، كانت النغمة العالمية فى كل منها هى النغمة السياسية أو الايديولوجية . وثمة كلمات أخرى كثيرة ، تحمل نفس معنى التطور ، منها التغير الاجتماعى ، والنمو ، والتطور ، والتقدم ، والأخذ بالحضارة الحديثة Modernization على سبيل المثال » (٦١) .

واذا كانت « الافكار والمفاهيم لا تنبت فى فراغ ، وانما هى تظهر نتاجا لأحداث اجتماعية وثقافية وتاريخية تحيط بها » (٦٢) ، كما سبق ، فان غلبة الجانب المادى على الحضارة المعاصرة ، هى التى أعطت الجانب الاقتصادى وزنا أكبر فى مفاهيم النمو الاقتصادى المعاصرة ، على حساب جوانب النمو الاخرى .

---

(59) V.M. Chkhirvadze : **The Soviet Forum of Popular Government;** Progress Publishers, Moscow, 1972, p. 251.

(٦٠) د. آدمز (مرجع سابق) ، ص ١٣٠ .

(61) Ingemar Fagerlind, and Lawrence J. Saha ; Op. Cit., p. 4.

(62) Ibid., p. 5.

واذا كان النمو الاقتصادى يعنى (التحول المستمر) من حالة اقتصادية الى حالة اقتصادية أفضل ، كما يفهم مما سبق ، فان الفرق بين (النمو الاقتصادى) و (التنمية الاقتصادية) يغدو واضحا ، اذ أن « (النمو) يحمل معنى (التلقائية) ، ويستبعد (التدخل) فى أحداثه ، بينما (التنمية) تحمل معنى هذا (التدخل) أو (الافتعال)٠

وبعبارة أخرى ، يمكن أن نقول : ان البلد النامى هو البلد الذى ينمو من تلقاء نفسه ، دون ما تدخل من الحكومة فى توجيه هذا النمو ، أو زيادة حجمه أو سرعته ، بينما البلد المنّمى هو ذلك البلد الذى تتدخل الحكومة — عادة — فى توجيه نموه ، أو زيادة حجم هذا النمو أو سرعته » (٦٣) ٠

وربما كان الاتحاد السوفيتى أسبق بلاد عالمنا المعاصر الى الأخذ بالتنمية بهذا المعنى ، حيث قال ستالين Stalin أول توليه السلطة فى الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٢٤م : « (اننا متأخرون ٥٠ — ١٠٠ سنة عن البلدان الراقية ، واننا يجب أن نقطع هذا الشوط فى عشر سنين) ، و (اننا سنفعل هذا والا قضى علينا) ٠

وقد أيد موقفه هذا بالعبارة المشهورة التى قالها لينين : « (اما أن نلحق بالبلدان الرأسمالية الراقية ، ونتفوق عليها ، واما أن نهلك) » (٦٤) ٠

وقد خطط لينين Lenin (١٨٧٠ — ١٩٢٤م) للحاق بهذه البلدان الرأسمالية الراقية ، على حد تعبيره ، بمجرد سيطرته على السلطة سنة ١٩١٧م ، حيث عمل على « التخلص من التخلف التكنيكى الاقتصادى للبلاد ، والتوصل الى مستوى أعلى من التطور فى قوى الانتاج » (٦٥) ٠

---

(٦٣) دكتور عبد الغنى عبود : **التربية ومشكلات المجتمع** (مرجع سابق) ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ٠

(٦٤) جورج كاونتس : **التعليم فى الاتحاد السوفيتى** — ترجمة محمد بدران — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — ١٩٥٨ ، ص ٧٠ ٠

(٦٥) ل ٠ ا ٠ ليونتيف (مرجع سابق) ، ص ١٩٣ ٠

ويرى هاربيسون ومايرز Harbison & Myers أن البلاشفة ، كانت لديهم خطة عمل واضحة منذ البداية ، فقد خططوا لخلق « مجتمع صناعى متقدم ، قادر على أن يجعل صوته مسموعا فى العالم كله ، وعلى أن ينشر أيديولوجيته » (٦٦) ، ومن ثم « كانت لهم استراتيجية واضحة لتنمية الموارد البشرية فى البلاد » ، على حد تعبيرهما ، وكان « للتعليم العلمى والتكنيكى أولوية تامة ، ربما كانت أعلى منها فى أى نوع آخر من المجتمعات » (٦٧) ، فقد كان ماركس ينظر الى « التكنولوجيا على أنها القوة الكبرى فى التاريخ » (٦٨) .

وقد أدى نجاح السوفييت فى خططهم التنموية ، خاصة بعد اطلاق قمرهم الصناعى الأول سنة ١٩٥٨ ، الى دراسة العالم كله لتجربتهم ، حتى أن كثيرا من المفكرين الامريكيين انفسهم، دعوا الى ما لا يحب الأمريكيون حتى مجرد التفكير فيه ، وهو ضرورة تدخل الدولة فى شئون التعليم ، واعتبروا ذلك مهما للسلامة القومية الأمريكية، وللتقدم ، وربما لبقاء الأمريكيين كشعب حر ، على حد تعبير بعضهم (٦٩) ، وكأنه يلوح بالغزو السوفيتى للولايات المتحدة ، وامكانية هذا الغزو مستقبلا .

---

(66) Frederick Harbison, and Charles A. Myers : **Education, Manpower, and Economic Growth, Strategies of Human Resource Development** ; McGraw-Hill Book Company, New York, 1964, p. 157.

(67) Ibid., p. 179.

(٦٨) كلارك كير : **نظرات فى التعليم الجامعى** - ترجمة محمد كامل سليمان - مطبعة المعرفة - القاهرة ، ص ٣٥ .

(٦٩) ارجع الى :

— Charles A. Quattlebaum : "Federal Policies and Practices in Higher Education", **The Federal Government and Higher Education**, The American Assembly, Columbia University ; Englewood Cliffs, Prentice-Hall, Inc., New Jersey, 1960, p. 29.

- وارجع - كذلك - الى :

— Vannevar Bush : **Science, The Endless Frontier, A Report to the President, July 1945** ; United States Printing Office, Washington, D.C., 1945, p. 3.

ولم يكن غريبا — لذلك — أن تكون التجربة السوفيتية فى التنمية، موضع اهتمام كثير من بلاد العالم الثالث اثر تخلصها من الاستعمار الغربى، لتحقيق تقدمها، بل ان بعض حكومات هذه البلاد (نقلت) التجربة، ونقلت — معها — ما يقف وراءها من منطلقات أيديولوجية وتنظيمات اجتماعية، وبنى Structures سياسية، مما ادى الى قطع كل صلة لهذه البلاد بماضيها، مما كانت له آثاره الخطيرة على مستقبل هذه البلاد، كما هو معروف.

وتكاد الدراسات المهتمة بقضية التنمية فى بلاد العالم الثالث أن تجمع على أن (فرض) النموذج الغربى على هذه البلاد فى عهد الاستعمار، هو السبب الذى يقف وراء تخلفها، وان كان أثر الحضارة الغربية تعدى هذه البلاد التى وقعت تحت سيطرة الاستعمار، الى البلاد التى لم تقع تحت سيطرته أيضا (٧٠).

على أن القاء اللوم كله على الاستعمار الغربى يعد خطأ من وجهة نظر هذه الدراسات، التى تلاحظ أن السيطرة الاستعمارية على البلاد التىتحررت من الاستعمار، لاتزال كما هى، رغم الاستقلال، حيث نجد البلاد النامية — لتطور نفسها — « تقلد النماذج الغربية »، ومن ثم « فان هذا الاستعمار الجديد ليس كله خطأ البلاد الصناعية، فبعض هذه الأخطاء انما هى نتيجة لسياسات البلاد النامية ذاتها، فالجامعات والمعاهد البوليتكنيكية، منقولة نقلا حرفيا عن تلك الموجودة فى الغرب » (٧١)، حيث تنسى حكومات هذه البلاد — فى تعجلها للتقدم — « أن المدنية الغربية هى نتاج نمو سياسى واقتصادى وثقافى، وتطور على طول المدى، مما لم تعهده البلدان المتخلفة، والقيام بعملية نقل مفاجئة، تنقل بها ثمار المدنية، الى تربة مختلفة، ليس بالمهمة السهلة البسيطة، كما يبدو الحال فى أول وهلة » (٧٢).

ولعل الفارق بين بلاد العالم الثالث التى أخفقت فى تحقيق التنمية الاقتصادية، أو فى التقدم على وجه العموم، وبين البلاد غير الغربية

---

(70) Keith Watson : "Colonialism and Educational Development", Chapter One from : **Education in the Third World**, Edited by Keith Watson ; Croom Helm, London & Camberra, 1982, p. 7.

(71) Ibid., p. 41.

(٧٢) هيوسيتون واطسون (مرجع سابق)، ص ١٠٥.

التى نجحت فى هذا المجال ، كاليابان والصين الشعبية ، رغم أن (النموذج الغربى) كان موضع الاهتمام الأول لكل منهما ، هو أنه بينما ظل هذا النموذج الغربى هو النموذج المحتذى فى بلاد العالم الثالث ، حتى أن أى اصلاح كان يتم فى بعضها ، كان « نسخة مما تم فى الغرب » (٧٣) ، على حد تعبير واطسون Watson ، فان ما تم فى الصين الشعبية واليابان على سبيل المثال كان شيئا مختلفا تماما ، وهو حدوث (تفاعل) بين (النمط القومى) فى كل منهما وبين الحضارة الغربية ، مكن البلدين من أن تنمو كل منهما (بذاتيتها) المستقلة المتميزة ، التى انفصلت - بها - فى النهاية - عن النموذج الغربى ، وصارت هى ذاتها نموذجا يحتذى .

الملكية العامة والملكية الفردية :

بدأنا حديثنا عن (المعنى الاصطلاحى للتربية) فى الفصل الأول، بتصور ول ديورانت لتطور حياة الانسان على الأرض ، بدءا من حياته فوق أغصان الأشجار ، ثم حياته فى الكهوف والجحور ، قبل أن يبنى لنفسه كوخا بسيطا ، وقبل أن ينتقل - أخيرا - الى (حياة الجماعة) ، حيث كانت القبيلة « أول صورة للنظام الاجتماعى الدائم »، وهو يقصد « بالقبيلة جماعة من أسرات ، ترتبط بأواصر القربى ، وتشغل بقعة من الأرض ، على سبيل الشيوع » (٧٤) .

ولقد كانت حياة الانسان فى أرض (على سبيل الشيوع) ، على حد تعبير ول ديورانت ، منطقية فى بيئة تعتمد على التنقل ، والترحال من مكان الى مكان ، على مدى عشرات الآلاف من السنين ، قبل أن يستقر على ضفاف نهر ، ويروض الأرض ، لتعطى له ما يريد من غلات ، ويعرف التنظيم الاجتماعى ، ويعرف - من خلاله - ما له وما عليه ، وكان هذا التملك أول الأمر ، تملكا لقطعة أرض لاستغلالها فى أغراض

---

(73) Keith Watson : "Introduction : Dependence, Interdependence and Educational Development", Chapter One from : **Dependence and Interdependence in Education, International Perspectives,** Edited by Keith Watson ; Croom Helm, London, 1984, p. 5.

(٧٤) ول ديورانت : **قصة الحضارة** - الجزء الأول (نشأة الحضارة) (مرجع سابق) ، ص ٤٠ .

مختلفة ، ثم اتسع نطاق هذا التملك بتعقد الحضـارة ، لتشـمل تملك صناعة (أو حرفة) ، أو تملك تجارة ، أو تملك مهـارة من المهارات الفنية ، وغيرها .

وقد اتسع نطاق هذا التملك بتقدم الحضارة الانسانية واتساع نطاق العمل الانسانى وتعدد جوانبه ، وحـاجة المجتمع الى مهن بعينهـا ، ليفى بحاجـــاته ، ويحقق أغراضـــه ، على حد تعبير ويكسترا Wykstra (٧٥) ، ومن هنا بـدأ علم الاقتصـاد يفقد بسـاطته ، ويقتحم مجالات جديدة للعمل ، وللنشاط الاقتصادي ، لم يكن يعهـدها من قبل ، حتى يكون قـادرا على مسـايرة خطـى العصر ، وعلى الاستجابة لمتغيرات الحياة الانسانية ، الدائمة التغير والتجدد ، خاصة فى عصرنا الحديث .

وهذه (الملكية الفردية) لأرض أو صناعة أو تجارة أو حرفـة ، تعنى أن (فردا) بعينه يتملكها ، ومن حقه وحده أن يتصرف فيها ، وهى - من ثم - نقيض (الملكية العامة) ، التى تملكهـا الجمـاعة وحدها ، لا فرد بعينه منها .

ويلاحظ أن نظام (الملكية الفردية) يكون هو النظام السائد ، حيث يكون (النظام) السياسى نظامـا يؤمن بالحرية الفردية ، ويعمل على تأمينها وحمـايتها ، على نحـو ما سـبق ، ومن ثم فهو يعتبر حرية الانسان فى التصرف فيما يملك ، جزءا لا يتجزأ من حريته السياسية .

وقد كانت هذه الحرية السياسية/الاقتصادية ، هى التى قادت الى الانطلاقة الأوربية بعد الاصلاح الدينى فى الغرب كما سبق ، ولكنها - فى الوقت ذاته - أدت الى أن يزداد الأغنيـاء غنى ، لتتسـع الهوة بين الغنى والفقير ، وليكون مولد الأفـكار الاشـتراكية الحديثة ، حيث « تولدت عوامل الحسد فى العمال ، من أرباب الثراء الذين انما أثروا من وراء كدهم » ، « فكل عمل يكـون مرتكـزا على الإفـراط ، لابـد أن تكون نتيجتـه التفريط » (٧٦) ، على حد تعبير جمـال الدين الأفغانى ، الذى كان معاصرا لجو التوتر والقلق الذى كانت تشهده أوربا ،

---

(75) Ronald A. Wykstra ; Op. Cit., p. 13.

(٧٦) محمد عمارة : **الأعمال الكاملة ، لجمال الدين الأفغـانى ،** **مع دراسة عن حياته وآثاره** - دار الكاتب العربى للطباعة والنشـر - القاهرة - ١٩٦٨ ، ص ٤١٤ .

نتيجة الصراع بين العمال وأصحاب الأعمال ، وهو الجو الذى ولدت فيه الماركسية ، والذى عبر عنه فردريك انجلز Frederick Engels (١٨٢٠ - ١٨٩٥م) ، المهندس الحقيقى للماركسية ، الذى ظل يعمل مع ماركس Marx « فى اتفاق تام أربعين سنة ، لبلورة النظرية العلمية الاشتراكية » (٧٧) - عبر عنه بقوله فى تقديمه (للبيان الشيوعى Communist Manifesto) : « بفضل النهضة التى عرفتها الصناعة الكبيرة فى جميع البلدان ، أوجد النظام البرجوازى فى كل مكان ، خلال السنوات الأربعين الأخيرة ، بروليتاريا كثيرة العدد ، متمركزة وقوية ، وهكذا أوجد ، كما يقول (البيان) ، حفارى قبره » (٧٨) ، على حد تعبيره .

وقد كان أول ما فكرت فيه الماركسية - ونفذته بعد أن تحولت الى نظام فى الاتحاد السوفيتى سنة ١٩١٧م - هو الغاء هذه (الملكية الفردية) ، وكان منطق (البيان الشيوعى) فى هذا الالغاء أغرب من الالغاء ذاته ، حيث يرى (البيان) انه « لا تملك البروليتاريا شيئا خاصا بها حتى تصونه وتحميه ، فعليها اذن أن تهدم كل ما كان يحمى ويضمن الملكية الخاصة » (٧٩) .

ويلفت المرحوم عباس محمود العقاد نظرنا الى أن « من الأوهام الشائعة أن الحكومة الماركسية هى حكومة العمال والصناع » ، وأن « الجماعات أو اللجان ، التى يسمونها بالسوفييت ، ليست هى جماعات مؤلفة من العمال والصناع ، كما يخطر على البال ، ولكنها جماعات مختلطة من المديرين والمشرفين على المصانع ، والقائمين بتنفيذ المشروعات الاقتصادية » (٨٠) ، وأن « هذه الطبقة - طبقة

---

(77) L.F. Ilichov and Others : **Frederick Engels, A Biography** ; Progress Publishers, Moscow, 1974, p. 9.

(٧٨) ماركس وانجلس : **بيان الحزب الشيوعى** - دار التقدم - موسكو - ١٩٦٨ ، ص ٣٤ (من مقدمة الطبعة الايطالية عام ١٨٩٣ ، بقلم فردريك انجلس) .

(٧٩) ماركس وانجلس : **بيان الحزب الشيوعى** - دار التقدم - موسكو - ١٩٦٧ ، ص ٥٣ .

(٨٠) عباس محمود العقاد : **افيون الشعوب** ، **المذاهب الهدامة** - الطبعة الخامسة - دار الاعتصام بالقاهرة - ١٩٧٥ ، ص ٦١ ، ٦٢ .

الحاكمين فى البلاد الشيوعية ـ تأخذ الأقوات من إفـواه العـاملين ، لتنفقها على جيوش من الجـواسيس والأرصـاد ، وعلى جيـوش من العساكر والضباط ، وعلى جيـوش من الدعـاة والمـداحين » ، وأنها « تنفرد بعيشة الرخاء ، وتختار لنفسها ما تشاء من المساكن والأطعمة ، وتأمر وتنهى ، وتعز وتـذل » ، حتى « تحمى وجودهـا ، وتحفظ نفوذها ، وتقطع الطريق على كل منافسة تخشاها ، ولو هلكت الأيدى العامـلة ، وطال عليها عهد التسخير والتضليل » (٨١) .

وتختلف هذه (الملكية العامة) فى النظـام الشـيوعى عن تلك (الملكية العامة) التى توجد فى المجتمعـات الغربية (الرأسمالية) حيث لا تلجأ اليها الدولة هناك الا لمصلحة عامة فعلا ، وبصورة لا تضر بحقوق الأفراد ولا بمصالحهم ، مثلما تختلف عن (الملكية العامة) فى الاسلام ، على نحو ما سنراها فى الفصل التالى باذن الله .

الانتـاج والاسـتهلاك :

تكاد (المسألة الاقتصادية) أن تكون مسألة (انتاج واستهلاك) ، بمعنى أن « الجانب الاقتصادى فى حياة أى مجتمع (يكاد) أن يكون أخطر الجوانب على الاطـلاق .

واذا كنا مع السيد المسيح فى أنـه (ليس بالخبز وحـده يحيـا الانسان) ، فاننا يجب ـ أيضا ـ الا ننسى انه (بدون الخبز ، لا يمكن للانسان أن يحيا) .

وقضية الانسان ـ على ذلك ـ تغدو ، هى أن يقيم (توازنا) بين (الخبز) ، الذى لا غنى له عنه ، وبين (الروح) ، الذى لا يكون ـ بدونه ـ انسانا ، حتى لا يتحول الى (بطـن) كبير ، لا يصنع منه انسانا ، أو الى روح فقط ، لا يستطيع بها وجدها أن يحيا » (٨٢) .

ومن هنا يبدو ذلك الخلل الواضح فى الحضارة الغربية المعاصرة ، الذى يبلغ ذروته فى الماركسية ، التى تعتبر (الابنة الشرعية) لهذه الحضارة الغربية المعاصرة ، فى حقيقة أمرها .

---

(٨١) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٨٢) دكتور عبد الغنى عبود : **ديناميات المجتمع الاسلامى** ـ الكتاب العاشر من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٨٠ ، ص ٦٥ .

ويمكن تعريف عمليـــة الانتـــاج Productive Process - باختصار - بأنها تلكالعملية التى يتم فيها توفير البيئة المناسبة، التى تتفاعل فيها أدوات الانتاج وعنـاصره ، لتخرج - فى النهـاية - سـلعا معينة ، أو خدمات بعينها (٨٣) .

ويرى ويكسترا Wykstra أن عنـاصر الانتاج Factors of Production أربعـة ، هى القـــدرة ، والعمـــل ، ورأس المـــال ، والمصـــادر الطبيعية (٨٤) ، وأن أولها - على ذلك - يكون هو المصادر البشرية ، وآخرها هو المصادر الطبيعية (٨٥) .

وحول هذه (البيئة المناسـبة) التى (تتفـاعل) فيها أدوات الانتاج وعناصره ، علىحد تعبير ويكسترا ، دارت دراسات كثيرة لزيادة عملية الانتاج ، باستخدام المصادر المتاحة استخداما امثل ، تتحقق بها منتجـــات اكثر ، بتكلفـة اقل - ودخل (التعليـم) كعنصر مهم فى القضية، بوصفه المسئول عن توفير (المصادر البشرية) ، التى تعتبر أهم عناصر الانتاج ، والمستغلة فعلا لأدواته ، أو الموجهـة لها الوجهة التى يزيد بها الانتاج او ينقص - كما دخل البحث العلمى فى قضية الانتاج، فصار (العامل الحاسم) فى القضية فعلا اليوم ، حيث صار هو المسئول عن (تطوير) حياة الانتاج كلها ، على نحو ما سنرى بعد قليل .

ويبدو أن الدراسات المعاصرة - فى اهتمامها (بقضية الانتاج) - ركزت على (عناصره) ، تركيزا انساها الالتفات الى ما هو أهم من هذه العناصر ، وهو هدفه أو غايته ، فكانت النتيجة هى ما يعيشه العـالم اليوم من قلق وحروب وصراعات ، تهدد بالدمـــار الشـامل ، بسبب زيادة الانتاج هذه ، بعد أن فقد الانتاج ذاته غـــاية نبيـــلة ، يسعى لتحقيقها ، فلم تتعد غايته زيادة الربـح لصاحب العمل ، وتوفير لقمة العيش للعامل ، فى النظام الرأسمالى ، أو تحقيق قوة الدولة فى النظام الشيوعى ، وبذلك افسد (النظام الاقتصادى) فى الحالين لب القضية، وهو الانسان ذاته ، الذى تحـول - فيهما - الى مجرد (عنصر) من عناصر الانتاج ، قد لا يكون يوما افضـل هذه العناصر ، حيث البحث

---

(83) Howard R. Bowen ; Op. Cit., p. 56.

(84) Ronald A. Wykstra ; Op. Cit., p. 15.

(85) Ibid., p. 15.

العلمى يكد ويتعب اليوم من أجل ايجاد (الانسان الآلى) ، الذى يحل محل الانسان فى كل شىء ، بما فى ذلك مسألة التفكير والتدبير والتصرف ازاء المشكلات ، دون أن يكون لديه ما لدى الانسان من غرائز ونزوات وشهوات ، ومطامع لا تنتهى .

اننا — مع هيرمان كان وزملائه — فى أن مرحلة التصنيع التى يعيشها العالم حاليا ، قد أدت « الى زيادة الانتاج وتنظيم عملية توزيع الطعام ، ومن ثم نقصت المجاعات وأمراض سوء التغذية » ، وزادت ضمانات « الصحة العامة والأمان للناس ، وانخفضت معدلات الوفاة نتيجة لذلك » (٨٦) ، مما قوض الدعائم التى تقوم عليها نظرية مالثس تقويضا ، فان مقولة مالثس التى جعلت الأمم المتحدة ذاتها تدعو « فى سنة ١٩٤٩ الى عقد مؤتمر علمى لبحث موارد العالم وخيراته » ، وتقترح « أن تصحب دراسة موارد العالم ، دراسات مماثلة للسكان الذين يستهلكون هذه الموارد » (٨٧) ، وتخرج بنتيجة مؤداها أن « مشكلة السكان من أهم المشكلات التى تواجه العالمفى الوقت الحاضر » (٨٨) — هذه النظرية ذاتها قد وجهت النشاط العلمى نحو قضية الطعام ، حتى صار هناك اليوم فائض منه ، على حد تعبير كان وزملائه ، بل انه ليبدو لنا — والكلام لهم — « أن نتوقع زيادة تدريجية فى نصيب الفرد من انتاج الطعام » ، بل ان « لدينا رؤية مستقبلية أكثر معقولية تبشر

---

(٨٦) هيرمان كان وآخرون : **العالم بعد مائتى عام ، الثورة العلمية** من انتاج الطعام » ، بل « لدينا رؤية مستقبلية أكثر معقولية ، تبشر — سلسلة كتب ثقافية شهرية ، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب — الكويت — رمضان / شوال ١٤٠٢ هـ — يوليو (تموز) ١٩٨٢ م ، ص ٨٨ .

(٨٧) توماس مالثس وآخران : **مشكلة السكان** — ترجمة محمد خزبك — مراجعة حسين الحوت — العدد (١٠) من (من الشرق والغرب) — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة ، ص ٧٤ (من مقال جوليان هكسلى ، سنة ١٩٥٥) .

(٨٨) **السكان والسياسات الدولية** — اشراف فيليب هوسر — ترجمة الدكتور خليل حسن خليل — مراجعة وتقديم الدكتور سعيد النجار — مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة — ١٩٦٣ ، ص ١ (من المقدمة ، للدكتور سعيد النجار) .

(٨٩) هيرمان كان وآخرون (مرجع سابق) ، ص ١٩٩ .

بوفــرة فى الطعام ، كنتيجة مبــاشرة للموارد المتــاحة والتقدم التكنولــوجى » ، « بحيث ستتوفر للجماعــات كفــايتها من الغذاء » (٩٠)

ولكن هذا التوجه نحو الغذاء وانتاج الطعام والدواء وغيرها من الأمور التى تبدو (انسانية) ، ليس توجها من أجل الانسانية ذاتها ، بل من أجل الكسب والربح والضغط السياسى ، شأن الطعام فى ذلك شأن السلاح ، بسبب فقدان الهدف والغاية أيضا .

وقد أدى فقدان الهدف والغاية هذا فى عملية الانتاج ، الى مزيد من (الاستهلاك) لمنجزات الحضارة ذاتها ، استهلاكا من أجل الاستهلاك ذاته ، فبدأ الانسان الغربى - منتج هذه الحضارة ومستهلكها ، والمعبر الحقيقى عنها - يغرق فى شهواته ، إغراقا دفع بـه الى « الاحسـاس بعزلته عن باقى الكون ، وشـعوره بالانسـلاخ » (٩١) ، وذلك « لأن حضارته قد وصلت الى غايتها - على خطوطها المنحرفة - فأخذت فى الانهيار » (٩٢) ، على حد تعبير محمد قطب ، مما قد يجعل أوربـا تقع فى القريب العاجل « غنيمة سهلة لديانة جديـدة ، تجعل النـاس يعقدون رجـاءهم فى السـماء ، ويفقدون الأمل فى الأرض » (٩٣) ، على حد تعبير ول ديورانت .

وسوف نرى - فى الفصل الرابع ان شاء الله - الطريقة التى حل بها الاسلام هذه المشكلة ، بما يحقق للانسان تفوقا ماديا وانتاجا طيبـا واستهلاكا حلالا ، دون أن يجد نفسه (مضطرا) الى أن يشقى ، على النحو الذى نراه عليه اليوم ، فى ظل الحضارة الغربية .

---

(٩٠) المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

(٩١) كولن ويلسون : ما بعد اللامنتمى « فلسفة المسـتقبل » - نقلها الى العربية يوسف شرورو ، وعمر يمق - الطبعة الأولى - منشورات دار الآداب - بيروت - نيسان (أبريل) ١٩٦٥ ، ص ١٨٨ .

(٩٢) محمد قطب : التطور والثبات فى حياة البشر - دار الشروق - بيروت - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ص ٢٩١ .

(٩٣) ول ديورانت : قصة الحضارة - الجزء الثالث (الهنـد وجيرانها) - ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود - الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القـاهرة - ١٩٥٠ ، ص ٢٨١ .

العـــلم والعمل :

بالعمل ، بدأت الحياة الانسانية على الأرض ، ولولاه ما استمرت هذه الحياة ، ولا تطورت هذا التطور الهـائل الذى تطورته .

ذلك أن الانسان وجد نفسه (مضطرا) الى العمل ليعيش ، على نحو ما رأينا فى مطلع هذا الفصل ، ولا يزال الانسـان ـ الى اليوم ـ مضطرا اليه ليعيش ، رغم اختلاف نمط الحياة الانسانية اليوم ، عنهـا حيث كان الانسان الأول يعيش ، ورغم اختلاف أدوات الانتاج ووسائله بالتـــالى .

وفى الوقت الذى كان العمل فيه (ضرورة) لحيـاة الانسـان ، كان (الوسيلة) الوحيـدة التى اكتشف بها الانسان ذاتـه وقدراتـه وامكانيـاته ، وما أودعـه الله له من كنـوز وخيرات ، فى الأرض وفى السماء على حد سواء ، ليبدأ سيره فى طريق الحضارة والمدنية ، أو فى طريـق (العمـران) ، على حـد تعبير العـلامة العربى المسـلم ، عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ = ١٣٣٢ ـ ١٤٠٥م) ، الذى جعل من هذا (العمران) علما مستقلا قائما بذاته ، وراه « هو المقياس الحقيقى لفهـم التـاريخ والمجتمعـات الحـاضرة ، والتنبؤ بمستقبلها » (٩٤) .

ولقد بدأ هذا العمل الانسانى بسيطا ، لسد حاجـات اليوم ، على نحو ما رأينا فى الفصل الأول ، ثم سرعان ما بدأ الانسـان يستعين (بعقله) ، لاستغلال البيئة الطبيعية المحيطة به استغلالا افضل ، فكان استغلاله للطبيعة المحيطة به ، فى عمل (أدوات) أو (معـدات) ، محدودا أول الأمر ، ولكنه سرعان ما تعقد ، حتى حلت الآلة اليوم محل اليد فى العمل ، فان « معظم العمل اليوم يتم عن طريق الآلات ، التى تسيرها المياه أو الطاقة المحركة ـ بالغاز أو الكهرباء » (٩٥) .

---

(٩٤) ابن عمار الصغير : **التفكير العلمى عنـد ابن خلدون** ـ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ، ص ١٠ .

(95) John R. Crossland (Edited by) : **Marvels in Science and Industry** ; The Laurel and Gold Series, Volume 149, Third Edition, Collins Clear-type Press, Glasgo, 1952, p. 7 (from the Introduction).

ومن هنا صارت الآلات والمعدات ، مما يدخل اليوم في (عناصر الانتاج) ، أو فى مجـال العمل ، كما سبق ، وحـل (العقل) الذى يقوم بتشغيل هذه الآلات والمعدات ، محل (اليد) ، فى هذا المجال .

ولقد دخل (العقل) مجـال العمل من باب آخر أوسع ، هو باب (التطوير) ـ تطوير الآلات والمعدات ، أو (الاختراع) أو (الابتكار) لآلات ومعدات جديدة ، ومن هذا المدخل أيضا ، دخلت (المعرفـة) مجال العمل ، « فصار ينظر اليها على انها أداة للانتاج ، مساوية ـ فى الحقيقة ـ لتلك المنجزات المادية ، التى تقوم يد الانسان بانتاجها . ان المعرفة تعتبر أداة رئيسية للانتاج ، لا تقل فى اهميتها عن اليد العاملة والأرض » (٩٦) .

ومادمنا قد وصلنا الى (المعرفة) ، فقد اقتربنـا من مجـال (العلم) ، رغم ان هناك فرقا محدودا لا يمكن انكاره بين العـلم والمعرفة ، فالعلم « كمـا يدل اسمه ، هو أولا معرفـة ، ولكن العـرف جرى على اطلاقه على نوع خاص من المعرفة ، هو النـوع الذى يبحث عن القوانين العامة ، التى تربـط بين مجموعـة من الحقـائق الخاصة » (٩٧) ، والعلم يُنظر اليه اليوم بوصفه « قـوة للتحكم فى الطبيعة » (٩٨) ، حسب المنظور الغربى ـ منظور الحضارة المعاصرة الى الطبيعة والكون والحياة ، أو ينظر اليه على انه (وسـيلة) لفهم الطبيعة والحياة ، واستغلالها لصالحه ، وهو ما يمكن أن نفهمه من قول الله سبحانه فى قصة ذى القرنين :

ـ « حتىاذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لايكادون يفقهون قولا . قالوا يا ذا القرنين إن يأجـوج ومأجـوج مفسدون فى الأرض ، فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا . قال ما مكنّى فيه ربى خير ، فاعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما . آتونى زبر الحديد ، حتى اذا سـاوى بين الصدفين قال انفخوا ، حتى اذا جعـله

---

(96) . Howard R. Bowen : Op. Cit. p. 5.

(٩٧) برتراند رسل : النظرة العلمية (مرجع سابق)

(٩٨) المرجع السابق ، ص

نـاراً قال آتوني أفرغ عليه قطـراً • فما اسطاعوا أن يظهـروه وما استطاعوا له نقباً » (٩٩) •

ومن هذا المنطلق الاسلامي لقضية العـلم ، ربما كان فهم العـلامة ابن خلدون للعـلم ، وتقسيمه له ، حيث يرى أن « العلوم التي يخوض فيها البشر ، ويتداولونها في الأمصار ، تحصيـلاً وتعليمـاً ، هي على صنفين : صنف طبيعي للانسان ، يهتدي اليه بفكره ، وصنف نقـلي ، يأخذه عمن وضعه » (١٠٠) •

ولنا عود الى هذا المنظور الاسلامي الى قضـية العـلم والعمل في الاسلام ، في الفصل الرابع بإذن الله •

---

(٩٩) قرآن كريم : سورة الكهف - ١٨ : الآيات ٩٣ - ٩٧ •

(١٠٠) العلامة عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، من كتـــاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطـان الأكبـر - المطبعـة الشرفية - القـاهرة - ١٣٢٧هـ ، ص ٤٨٥ •

الفصل الثالث

التربية الاقتصادية

[illegible]

الطبعة المحققة

تقديــــم :

بعد الانتهاء من توضيح معنى التربية ، والعلاقة بينها وبين التنمية من جانب ، وبينها وبين ايديولوجية الدولة من جانب اخر ، في الفصل الأول ، ثم من توضيح معنى الاقتصاد ونظرياته ، والعلاقة بينه وبين ايديولوجية الدولة ، وبعض قضاياه فى الفصل الثانى ، لا يكون أمامنا الا الانتقال - فى هذا الفصل - الى الحديث عن (التربية الاقتصادية) .

ويبدأ الفصل بتوضيح معنى التربية الاقتصـــادية ، والفرق بينها وبين اقتصاديات التربية ، والعلاقــة بينها وبين ايديولــوجية الدولة ، ومنها ينتقل الى الحديث عن جوانب التربية الاقتصادية ، وعن دور كل من الأسرة والمدرسة فيها .

معنى التربية الاقتصــادية :

اذا كانت التربية - في عمومها - تعني - كما سبق - توجيه النمو الانساني وجهة ترضى عنها الجماعة التى ينشأ الفرد بينها ، حتى يشب وهو يحمل قيمها ومثلها العليا ، بل وليكون هو المعبر عنها - فانه يكون من الصعب الفصل بين ما يمكن أن نعتبره تربية اقتصادية ، وما يمكن اعتباره تربية سياسية أو اجتماعية أو غيرها ، إذ أن كل هذه الجوانب تنتظم فى عمليــة التربية وفق (منظومة) واحــــدة ، هي منظومــة (التربية) ، التي تعتبر (نظاما) System قائمــا بذاتــه ، يستمد ملامحه وسماته من ايديولوجية الدولة - أو الجماعة ، ثم يعود فيترك بصمته على كل العناصر التى يتركب منها ، اذ من المعروف أن « النظام هو مجموعة من العناصر المتفاعلة ، التي تكون كلا واحدا ، له وظائف معينة » ، و « يؤدى هذا الكل نشاطا هادفا ، وله ســمات تميزه عن غيره ، وأن هذا النظام يقيم علاقات مع البيئة التى تحيط به ، فالنظام يوجد فى زمان معين ، ومكان معين » (١) .

وهكذا يمكن النظر الى التربية بوصفها نظــــاما System اذا أردنا أن نتحدث عن جوانب معينة فيها ، كادارتها أو تمويلها أو اعداد المعلمين فيها أو مناهجها أو طرق التدريس فيها ، أو غيرها ، بوصفها

---

(١) ذوقان عبيدات وآخران : البحث العلمى : مفهومه ، أدواته ، أساليبه - دار مجدلاوي للنشر والتوزيع - عمان (الأردن) - ١٩٨٣ ، ص ٢٦٧ .

نظمـــا فرعية Sub-systems تستمد ملامحها أو مقوماتها منها ، كما يمكن النظر الى التربيـة ذاتهـا بوصـفها نظاما فرعيـا Sub-system ، اذا نحن أردنا أن نتحدث عنها ككل ، بوصفها نظاما ، هو فى حد ذاتـه جزء من نظام أكبر System ، هو نظام الحياة فى المجتمع ، الذى ينتظم عددا من النظم الفرعية ـ السياسة والاقتصاد والاجتماع و... التربية .

وعلى هذا الأساس ، تكون التربية الاقتصادية ـ شأنها فى ذلك شأن التربية السياسية والتربية الاجتماعية وغيرها ـ نظاما فرعيا من نظم التربية ، التى لا يمكن فهمها الا اذا نحن نظرنا اليها بوصـفها ـ رغم كونها نظاما ـ نظاما فرعيا لنظـام أكبر ، هو أيديولوجية الدولة ـ أو الجماعة ، على نحو ما رأينا من قبل .

واذا كانت (التربية السـياسية) ـ على سـبيل المثـال ـ يمكن تعريفها بأنها يمكن أن تعنى ـ باختصار ـ توجيه نمو الفرد الانسـانى وجهة تتحقق بها مشاركته فى الحياة السياسية للجماعة ، على النحـو الذى تراه الجماعة وتريـده ، لا على نحـو آخر غيره ، واذا كانت (التربية الاجتماعية) يمكن تعريفها ـ باختصار ـ بأنها يمكن أن تعنى توجيه نمو هذا الفرد الانسانى وجهة يتحقق بها (تفاعـله) مع غيره من أفراد المجتمع الذين يختلط بهم ، على النحو الذى (تعارف) عليه الناس ، لا على نحو آخر غيره ، فان (التربية الاقتصـادية) يمكن تعريفها ـ باختصار ـ فى ضوء ما سبق ـ بأنها يمكن أن تعنى توجيه نمو الفرد الانسانى وجهة ترتضيها الجماعة ويتعارف عليها الناس ويقرها النظام السائد ، فى التعامل الاقتصـادى للأفراد ، خاصة فيما يتعلق بجانبى الانتاج والاسـتهلاك ، بوصفهما الركيزة الأساسية للحيـاة الاقتصادية ـ للأفراد والمجتمعات ، منذ بداية حياة الانسان على الأرض .

وفيما يتصـل بجانب الانتـاج ، يلفت فيليب كومبز Philip H. Coombs نظرنا الى أن « التعليم الفنى Technical Education ليس من مخترعـات المجتمعات الصـناعية الحديثة ، فلقد كان الهدف الرئيسى للتربية فى أى مجتمع منظم ، منذ وجد الانسان على الأرض ، هو اعداد الجيل الجديد من أبنائه لحياة العمل المنتج » (٢) ، والى

(2) Philip H. Coombs ; Op. Cit., p. 171.

أن (محتـــوى) هذا التعليم الفنى هو الذى تغير ، بتغير الحيـــاة الاقتصادية ذاتها ، من حياة بسيطة ، الى حياة أكثر تعقيدا ، « تتطلب مـدى أوسـع من المهـارات الانسـانية المتخصـصة ، ومن المعلومـات الفنيـة » (٣) ٠

لقد كان الانتاج فى الماضى يعتمد على الجهد البدنى وحده ، فكان العمل عمل اليد حقيقة ، ولكن حلول الآلة محل الانسان فى العمل، وسع من مفهوم عمل اليد ، حتى صار عمل اليد هذا مجازا ، يدل على مجرد (مشاركة) الانسان فى حيـــاة العمل ، بـأية صـورة من صور هذه المشاركة ، « وفى حين كانت المهارة الفائقة مرادفة للبراعـة اليدوية ، فان ادخال وسائل الانتاج الحديث تتطلب فهما أفضـل للمبـادىء التى تنطوى عليها عمليات الانتاج والتوزيع ، والمهـارة فى ضبط واصـلاح الآلات ، والقدرة على الجمع بين العمل اليدوى والعقلى » (٤) ٠

وهكذا يدخل (العلم) حياة الانتاج من بابها الواسـع ، فصـار « العـلم هو الذى يحكم العـالم اليوم ، وبيده صارت مفاتيح الصناعة والثروة موضـــوعة ، وصـــار هو الذى يحمى حدودنـا ، ويقف وراء حكوماتنا فى الحرب والسلم على السواء » (٥) ، كما صـار (رجـال العلم) ــ على حد تعبير اليونسكو ــ « طبقة كهنوتية » ، « يستطيعون وحدهم ممارسة أقصى قوة تحملها المعرفـة العلمية ، وباتت البشريـة تعتمد على هذه الطبقة ، اعتمادا أكبر بكثير ، من اعتمـاد المجتمعات القديمة على الكهنـة ، الذين كانـوا يحيطـــون علمـــا بالخفـــايا والأسرار » (٦) ٠

---

(3) Ibid., p. 172.

(٤) د ٠ آدمز (مرجع سابق) ، ص ١٣٧ ٠

(5) John R. Crossland (Edited by) ; Op. Cit., p. 19.

(٦) اليونسكو : **تاريخ البشرية ، المجلد السادس (القرن العشرون)، التطور العلمى والثقافى ، الجزء الثانى ، ٣ (التعبير)** ــ اعـــداد اللجنة الدولية ، باشراف منظمة اليونسكو ــ الترجمة والمراجعة : عثمان نويه وآخران ــ الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ــ القـــاهرة ــ ١٩٧٢ ، ص ١٧٧ ٠

ومع (قــوة العــلم) ، ونتيجة لها ، تأتى (قــوة التنظيم) ، حيث صار « مفهوم الأفراد للعمل » ، يشمل أيضا « قيــامه على أساس من التنظيم والاحكام ، والتسلسل فى المسئوليات ، والتعاون فى الآراء، والكفاية فى عائد العمل ومردوده » ، « وهــذا هو الدرس الأول الذى نستخلصه من مستوى المعيشة والرخاء ، فى الدول المتقدمة » (٧) .

ولا تستطيع التربية أن تعيش بمعزل عن هذا الذى يجرى ، من تغير فى مفهوم العمل، وفى مفهوم الانتاج ، والا صارت عاملا من عوامل التخلف ، للفرد والمجتمع على السواء ، بما تزرعــه فى النفــوس من اتجاهات سلبية نحو الحياة ، ونحــو مقومــاتهــا الرئيسية ، ومن ثم صارت التربية فى البلاد المتقدمة اليوم جزءا من (النظام الاقتصادى) للأمة ، مهما كانت (النظرية الاقتصــادية) التى يســير عليها هــذا النظام ، ومهما كان النظام السياسى والاقتصادى والاجتمــاعى ، الذى تسير عليه الأمــة .

ففى البلاد الرأســمالية / الغربية ، حيث التربيــة الليبرالية الحرة ، Liberal Education صــار على التربية أن تمكن الأفراد من ملاحظة خطى « تغيّر المجتمع تكنولوجيا » ، ومن « اعداد أعضاء معّينين من المجتمع ، للقيام بدور فعال فى عملية التغيّر » (٨)، وذلك من خــلال تدريب المتعــلم عــلى « البحث والتنقيب ، القــائمين على شعور التلميذ بالمسئولية » (٩) ، وتزويده ، « لا بالمعرفة وحدهــا ، ولكن بالوسيلة التى يستطيع بها أن يشارك ويساهم مساهمة نشطة فى الحياة » (١٠) ـ هذا بالرغم من أن « التربية الحــرة فى جوهــرها ليست نفعية ، فهى لا تعلم المرء : كيف يكتسب رزقه ، وانما تحاول أن

---

(٧) الدكتور حامد عمار : **فى اقتصاديات التعليم** (مرجع سابق)، ص ٣٧ .

(٨) د. جوسلين : **المدرسة والمجتمع العصرى** ـ ترجمة الدكتــور محمد قدرى لطفى وآخــــرين ـ عالم الكتب ـ القــاهرة ـ ١٩٧٢ ، ص ٨٦ .

(٩) وليم كلبا تريك (مرجع سابق) ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(10) UNESCO : **Technical and Vocational Education and Training, Recommendations by UNESCO and the International Labour Organization** ; UNESCO, ILO, 1962, pp. 8, 9.

تعلمه : كيف يحيا حياة أكثر ثراء ، فى العقل والجسم والروح » ، ورغم أن « القيم الشائعة فى الدراسات الحرة الليبرالية كلها ، هى نقص الجهل ، وزيادة المعرفة ، وتقليل التحيز ، وتنمية التسامح ، والتدريب على تمييز الحق من الباطل ، والتدريب على أساليب كشف الحقائق ، واحترام المنطق ، و ٠٠ » (١١) ، وغيرها ، مما يحقق أهداف هذه التربية الليبرالية ، التى تركز فى نظرتها الى الانسان على حياته السياسية ، وعلى حريته السياسية أيضا ٠

أما البلاد الاشتراكية / الشيوعية ، فقد خطت خطوات أوسع فى جعل التربية جزءا من الحياة الاقتصادية ، فقد ذهبت هذه البلاد « الى أبعد مما استطاعت الدول الغربية أن تصل اليه ، فى تحطيم العوائق المصطنعة ، التى أبقت على الانفصال غير الصحى ، بين التعليم المدرسى والتعليم غير المدرسى ، لفترة طويلة » ، كما أن « الانظمة التعليمية فى هذه الدول ، قد أوجدت وابتدعت علاقة وثيقة جدا ، بين العمل والدراسة » (١٢) ٠

ولقد استطاع البلاشفة فى الاتحاد السوفيتى على سبيل المثال أن يطوروا نظامهم التعليمى، بحيث يحقق لهم أهدافا اقتصادية محددة، اضافة الى الأهداف السياسية بطبيعة الحال ، فقد كان كارل ماركس Carl Marx (١٨١٨ - ١٨٨٣م) ، مهندس الشيوعية المعاصرة ، ينظر منذ البداية الى « التكنولوجيا ، على أنها القوة الكبرى فى التاريخ » (١٣) كما سبق، وكان لينين V.I. Lenin (١٨٧٠-١٩٢٤)، أول منفذ لها على أرض الواقع فى الاتحاد السوفيتى سنة ١٩١٧ م ، يعلن « بصراحة ، أن القول بوجود المدرسة خارج دائرة الحياة ، وخارج دائرة السياسة ، هو عين الكذب والرياء » (١٤) ، ومن ثم صارت

---

(١١) فرد ب٠ ميليت : **أستاذ الجامعة** - ترجمة الدكتور جابر عبد الحميد جابر - مراجعة وتقديم الدكتور محمد حسان - رقم (٢) من (ماذا يعملون) - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٦٥ ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ ٠

(١٢) ف ٠ كومبز : **ازمة التعليم ، فى عالمنا المعاصر** - ترجمة الدكتور أحمد خيرى كاظم والدكتور جابر عبد الحميد جابر - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٧١ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ٠

(١٣) كلارك كير (مرجع سابق) ، ص ١٣٥ ٠

(١٤) جورج كاونتس (مرجع سابق) ، ص ١٢٣ ٠

التربية عندهم تعنى « أن أى اتصـال بين المربى والمربى ، يجب فى التحليل النهائى ، أن تساعد فى ربط المتعلم بحيـاة العمل ، وتؤدى اليه » (١٥) ، وأن « المعارف المحصول عليهـا فى الصـفوف ، تعطى التلاميذ فهما للأسس العملية للانتاج » (١٦) ، وأن « الدراسة العملية الزامية للجميع ، وترافقها توجيهات مهنية » ، « ويعتبر ربـط التعليم بالعمل الانتاجى أحد أهم مبادىء التعليم السوفيتى » (١٧) .

أما فيما يتصل **بجانب الاستهلاك** ، وهى الشق الثانى من التربية الاقتصادية والسلوك الاقتصادى ، فان « التنمية لن يستقيم أمرهـا عن طريق رفع مستوى المنتجين فقط ، فلابد ، زيادة علىذلك ، من مساعدة كل فرد ، حتى يصبح عنصرا فعالا من عنـاصر التنمية ، ومسـتهلكا يشترى ما تنتجه الصناعة على بصيرة من أمره ، وهذا لا يتاتى الا اذا عرف قوانين الحياة الاقتصادية وآلياتها وهياكلها فى بلاده ، وفىالمجتمع المحلى ، وفى المؤسسة وما يجرى فيها من نزاع ، وما يتصارع فيها من قوى جوّانية وبرّانية ، وكيف تؤثر العوامل الاقتصادية فى توزيع الدخل القـومى ، وفى القـوى الانتـاجية ، والاستثمـارات وسـياسة التخطيط » (١٨) ، على حد تعبير ايدجار فور وزملائه ، الذين يرون أن « الاقتصاد السياسى لم يعد اليوم ميدانـا يسـتأثر به الاخصـائيون والراسخون فى العلم ، وذلك أن الحياة الاقتصادية أصبحت مجـالا من مجالات تطبيق التربية المستمرة ، خاصة أن المدرسة لم تعد تختص بهذا العمل التربوى ، لأن النقابات والجمعيات المهنية والأحزاب السـياسية وتعاونيات الاستهلاك والانتاج ، والتعاضديات ، تسـاهم كلهـا فى هذا العمل مساهمة قوية . ولا ننسى أيضا الدور التربوى الهام ، الذى تنهض به الصحافة والتلفزة ووسائل الاشهار .

ان التربية الاقتصادية ينبغى أن تصبح أحد العناصر الأساسية فى التوعية ، وفى نشر الثقافة الجماهيرية ، ويمكن أن تبـدأ هذه التربية

---

(15) V. Sukhomlinsky : **On Education**; Progress Publishers, Moscow, 1977, p. 71.

(١٦) ز . مالكوفا : **التعليم** - رقم (٥) من سلسلة (الاتحـاد السوفييتى اليوم وغـدا) - وكالة أنبـاء نوفوستى - موسكو - ١٩٧٨ ، ص ٣٦ .

(١٧) المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(١٨) ايدجار فور وآخرون (مرجع سابق) ، ص ٣١٦ .

فى المدرسة ، وأن تتواصل فيما بعد ، باستعمال الوسائل الخارجة عن نطاق المدرسة » (١٩) ٠

وتعتبر اشارة إيدجار فور وزملائه الى قضية (التربية الاستهلاكية) - ان صح التعبير عنها بهذا الاسم - اشارة قصيرة وسريعة وعابرة ، ولكنها تعد - فى الوقت ذاته - اشارة رائدة فى هذا المجال ، لأن أولئك الذين تعرضوا لقضية التربية الاقتصادية ، انما نظروا اليها من جانبها الانتاجى وحده - وسوف نرى فى الفصلين القادمين باذن الله ، أن الاسلام قد سبق التربية المعاصرة بأربعة عشر قرنا من الزمان ، فى نظرته الى هذه التربية الاقتصادية ، بشقيها الانتاجى والاستهلاكى على السواء ، وأن اهتمامه بقضية الاستهلاك - والتربية عليه - لا تقل أهمية عن اهتمامه بقضية الانتاج - والتربية عليه ، وأنه ربط القضيتين معا بمنظوره الى الكون والحياة وما بعدها ، ولم يكتف بربطهما - كما فعل ايدجار فور ومن عالج القضيتين أو احداهما مثله - بحياة الانسان على الأرض ، تمكينا له من اشباع حاجاته فيها ٠

التربية الاقتصادية واقتصاديات التربية :

انهينا الفصل الأول بالحديث عن (اقتصاديات التربية) ، وفيه رأينا أن البحث فيها يدور حول (مدخلات) النظام التعليمى و (مخرجاته) ، بهدف تحديد مدى (كفاءته) - بغض النظر عما قيل ثمة حول مدى دقة قياس كفاءة النظام التعليمى من خلال تلك المدخلات والمخرجات ٠

أما التربية الاقتصادية ، فقد رأيناها فيما سبق من هذا الفصل تدور حول مناهج الدراسة ، وتوجيهها وجهة تحقق ربط التربية بعجلة الانتاج ، مثلما تحقق رفع مستوى أداء الفرد - موضوع التربية ، وترشيد هذا الأداء ، بحيث تكون هناك « حركة متصلة ، بين عوامل الانتاج المادية وعوامله البشرية ، بحيث توفر هذه الحركة أحسن المقومات اللازمة لزيادة الدخل القومى ، وارتفاع مستوى المعيشة » (٢٠) ٠

---

(١٩) المرجع السابق ، ص ٣١٦ ٠

(٢٠) الدكتور حامد عمار : **فى اقتصاديات التعليم** (مرجع سابق) ، ص ٢٣ ٠

ورغم ما بين المصطلحين ، (التربية الاقتصادية) و (اقتصاديات التربية) ، من فوارق واضحة ، تجعلهما مجالين من مجالات الدراسة، لكل منهما منهج دراسته الخاص به، فان ثمة رابطة أساسية تربط بينهما، هى دوران كل منهما حول زيادة الكفـاءة الانتـاجية ، حيث تدور (اقتصاديات التربية) حول زيادة الكفاءة الانتـاجية للنظام التعليمى كله ، مع ترشيد الانفاق فيه ، بينما تدور (التربية الاقتصادية) حول زيادة الكفاءة الانتاجية للفرد المتعلم ، حتى يتم تحويل المجتمع كله من حالة الى حالة أفضل من خلاله ، « فالتحول الاجتمـاعى ليس معناه أموالا تنفق ، وانما يعنى تحرير الانسان من ربقة الشـخصية التقليدية الجامدة ، فهى عملية تحول انسانى ، أو تحرير للشخصية الانسانية ، فلا يمكن أن يتغير المجتمع الا اذا تغيرت شخصيات الأفراد ، وأصبحت متقبلة للتغيير ، مقبـلة عليه بتطلع متفـائل » (٢١) ، وبذلك تكون « التربية هى الوسيلة الأساسية للتقدم الاجتماعى والاصلاح » (٢٢) ، على حد تعبير جون ديوى .

التربية الاقتصادية وأيديولوجية الدولة :

أشرنا فى الفصل الأول من الكتاب - عند تحديد معنى التربية - الى العلاقة العضوية القائمة بين التربية وأيديولوجية الدولة ، كما أشرنا فى الفصل الثانى - عن الحياة الاقتصـادية - الى العـلاقة العضـوية الواضحة بين هذه الحياة الاقتصادية التى يحياها الناس فى مجتمع ما، وبين أيديولـوجية الدولة ، ومن ثم يكون منطقيـا أن تكـون العـلاقة واضحة - بل قوية - بين التربية الاقتصـادية وبين أيديولـوجية الدولة تلك .

ففى البلاد الرأسمالية المعاصرة ، التى تقوم أيديولوجيتها « على أساس الفردية والترسل Laissez-faire المعتمدين على المغامرة الفردية والذكاء الفردى ، وعلى أساس التنافس بين الأفراد والمؤسسات » (٢٣) ، لانجد

---

(٢١) دكتور ابراهيم امام : **الإعلام والاتصال بالجماهير** - الطبعة الأولى - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٩ ، ص ٥٥ .

(22) John Dewey : **Education To-day** ; Op. Cit., p. V, from the Foreword.

(٢٣) دكتور عبد الغنى عبود : **الأيديولـوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة** (مرجع سابق) ، ص ٢٠٢ .

نمطا واحدا للتربية الاقتصادية، بقدر ما نجد أنفسنا أمام « خطوط عامة عريضة،واطار عام،نجد فى داخله اختلافات بين كل بلد رأسمالى وآخر، بل واختلافات فى داخل البلد الرأسمالى الواحد - كما هو الحال فى الولايات المتحدة مثلا » (٢٤) - فى هذه البلاد الرأسمالية ، حيث الليبرالية ، نجد النظرة الى التربية منذ الاغريق وحتى اليوم « على انها وسيلة لتحرير عقل الانسان ، ليعمل على سجيته ، حتى يتحرر من الخطأ والخلط » (٢٥) ، ومن ثم فان « التربية الليبرالية ليست تربية مهنية ، كما انها ليست تربية علمية ، ولا تربية متخصصة بأى معنى من المعانى » (٢٦) ، على حد تعبير هيرست ، ومع ذلك فهى تربية تجمع - على نحو من الأنحاء - بين هذه الجوانب جميعا ، « فحيث أن التربية الليبرالية تهتم بتوسيع أفق العقل وتدريبه على الوصول الى الحقيقة ، فانها تساعد الانسان على تحصيل الخبرة بطرق مختلفة » (٢٧) ، وهذا هو (مدخل) التربية الليبرالية الى الحياة عموما ، والى الحياة المهنية على وجه الخصوص ، بما فيها الحياة الاقتصادية ، بشقيها الانتاجى والاستهلاكى على السواء ·

وهكذا ، اذا كانت الرأسمالية تقوم على عدد من المبادىء ، فى مقدمتها صيانة الملكية الفردية ، وحرية العمل ، وحرية القيام بالمشروعات ، وغيرها (٢٨) ، فان التربية فيها - بما فيها التربية الاقتصادية - تقوم على تزويد الانسان (بالوسائل) التى يستطيع أن (يقتحم) بها هذه الحياة ، ويخوض بها مجاهلها الصعبة ، مستمتعا بحياته التى يحياها ، مشاركا بوعى وايجابية فيها ، وذلك من خلال « انتشار ذلك الجزء العام من العلم ، الذى يجب أن يؤمن به كل أفراد المجتمع ، وأن يصبح جزءا لا يتجزأ من شخصياتهم ، يوجه سلوكهم توجيها علميا ، مفترضين أن جميع أفراد المجتمع قد مروا بالقدر

(٢٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٠ ·
- وارجع كذلك الى :
— Ingemar Fagerlind, and Lawrence J. Saha ; Op. Cit., p. 163.

(25) Paul H. Hirst : "Liberal Education and the Nature of Knowledge", **The Philosophy of Education,** Edited by R.S. Peters ; Oxford University Press, London, 1973, p. 89.

(26) Ibid., p. 87.

(27) Ibid., p. 105,

(28) Howard R. Bowen ; Op. Cit., pp. 246, 247.

الاجبـارى الـلازم من التعليم » ، « والى جانب هذا ، يدخل فى هذا القدر العام ، الأسلوب العلمى ، ومنهج التفكير العلمى ، بحيث يصبح كل انسان متعلم ، على أى مستوى من مستويات التعليم ، قـادرا على أن يفكر بنفسه ولنفسه ، تفكيرا علميا سليما ، وأن يتخذ الأسلوب العلمى طريقا ومنهاجا ، فى مواجهته لمشكلاته ، الخاصة والعامة » (٢٩) ٠

أما فى البلاد الاشتراكية / الشيوعية ، فقد رأينا الوضع يسير على عكس ذلك تماما ، وذلك لأن الماركسية ـ الاطار النظرى للحياة فى هذه البلاد ـ ترى ضرورة سيطرة الدولة والحزب الشـيوعى على كل أدوات الانتاج ، لتحقيق التقدم من خلال تطويرها ، على أساس أنه اذا تغيرت أدوات الانتاج ، « فان كل ظروف الحياة ، الاجتماعية والسـياسية ، سوف تتغير بالضرورة » (٣٠) ٠

ورغم أن (المسالة الاقتصادية) هى (محور) تفكير ماركس ، وهى مبتدأ هذا التفكير ومنتهاه ، ورغم أن قضية التربية مما لم يخطر له على بال ، فقد كانت التربية (محور) تفكير أولئك الذين اتخذوا من (الماركسية) أسلوب حياة ، وحولـوا أفـكارها الحـالمة الى واقع يعاش فى الاتحاد السوفيتى ، بعد الثورة البلشفية سنة ١٩١٧م ، حيث يعلن لينين « بصراحة ، أن القول بوجود المدرسة خارج دائرة الحياة، وخارج دائرة السـياسة ، هو عين الكذب والريـاء » (٣١) ، ومن ثم أستخدم البلاشفة « جميع المعاهد والعمليات التربـوية ، لبناء مجتمع مثـالى ، وتبديل الطبيعـة البشريـة ، توجهها أقلية ثوريـة ، متيقظة صارمة ، لا تعرف الرحمة ، (متفوقة منالناحيتين الأخلاقية والعقلية)، وهى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى » (٣٢) ٠

ولكى يضمن (الحزب الشيوعى) ولاء كل العاملين فى المدرسـة للدولة والحزب ، وسير العملية التعليمية كلها وفق خططه ومرئيـاته ، فإنه « يضـع ممثـلا للحـزب فى كل وحـدة تعليمية ، صغيرة كانت أو كبيرة ، للتأكد من أن سـياسة الدولة ، وسـياسة الحزب ، تنفذان بكل

---

(٢٩) الدكتور محمد لبيب النجيحى : **فى الفكر التربوى** ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ ، ص ١٦٠ ، ١٦١ ٠

(30) Nicholas Hans ; Op. Cit., p. 202.

(٣١) جورج كاونتس (مرجع سابق) ، ص ١٢٣ ٠

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٤٨ ٠

دقة ، ويكلف هؤلاء الممثلون بالتأكد من أن الفلسفة الشيوعية تسود البرامج والتنظيمات المختلفة » (٣٣) ، كما يقوم البوليس السياسى بدور كبير فى هذا المجال ، للتأكد « من ولاء المشتغلين بالادارة التعليمية والمدرسية ، وكل المدرسين والتلاميذ ، وغيرهم ممن يتصل بالتعليم ، كبيرا كان أم صغيرا ، للنظام الشيوعى » (٣٤) .

وهكذا نجد أن الماركسية نظرت الى (قضية الانسان) من منظور واحد ، هو المنظور الاقتصادى له ، دون سواه ، ولكن هذا المنظور ذاته لم يكن ممكنا تحقيقه ما لم يتم اعداد (الانسان) ليعيش وفقه ، « حيوانا اجتماعيا ، لا يستطيع أن يحس بذاته الا عضوا فى جماعة ، هى نفسها جزء من تنظيم اجتماعى أكبر ، هو المجتمع ، أو الدولة القومية » (٣٥) ، على حد تعبير لويد Lloyd ، وهو ما يصفه الماركسيون أنفسهم بأنه « (الانسان الاشتراكى الجديد) ، الذى تم تطوير امكانياته تماما ، ليكون (قادرا على القيام بعدد متنوع من الأعمال أو الوظائف) » (٣٦) ، التى يكلفه المجتمع بالقيام بها ، ومن ثم استغل البلاشفة التعليم « لتغيير مجرى التاريخ ، وتغيير طبيعة الانسان » (٣٧) على السواء .

ويرى جورج كاونتس ، أن البلاشفة قد تفوقوا – فى نظرتهم الى التعليم – « على زعماء أى مجتمع آخر على ظهر الأرض ، ولا تقل عنايتهم الشديدة بأساليب التعليم ، ومحتويات البرامج المعدة لتشكيل عقول الشبان (والكبار) ، عن عنايتهم بعتاد قواتهم المسلحة ، أو بنظامهم الاقتصادى ، لأنهم يرون أن التربية (سلاح بتار) ، فى (قضية الشيوعية) ، ولولا ما أنشأه البلاشفة من هيئات تعليمية ، واسعة

---

(٣٣) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : « دراسة مقارنة ، للادارة المدرسية » – **اتجاهات جديدة ، فى الادارة المدرسية** – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٦٠ ، ص ٢٦٠ .

(٣٤) المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

(35) Christopher Lloyd : **Democracy and Its Rivals, An Introduction to Modern Political Theories** ; Longman, Green and Co., London, 1940, p. 177.

(36) Ingemar Fagerlind, and Lawrence J. Saha ; Op. Cit., p. 226.

(٣٧) الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : **دراسات فى التربية المقارنة** (مرجع سابق) ، ص ١٤٩ .

النطاق ، لما كان لهم من القوة فى العالم ، مايستمتعون به اليوم» (٣٨) ، كما يرى ان « منهج التعليم المنظم ، الذى وضعه الحزب الشيوعى ، ثم عدله ووسع مداه ، كُيِّعَد ، بعد الدكتاتورية نفسها ، الوسيلة التى يستطاع بها فهم المارد الجبار • ذلك أن هذا الشعب قد حشد جميع قوى التعليم النظامى ، أكثر مما حشدته أية دولة أخرى فى التاريخ كله ، كى ينال أغراضه ، ويتقدم نحو أهدافه المستقبلة البعيدة ، ولم يكن ينافسها فى ذلك الميدان خلال العصر الحديث ، الا المانيا تحت حكم النازيين ، واليابان الامبراطورية ، تحت حكم الطبقة العسكرية ، لكن الحكم النازى والعسكرى اليابانى ، لم يطل عهدهما ، حتى تبلغ برامجهما التعليمية حد الكمال » (٣٩) •

وهكذا تختلف الرأسمالية والشيوعية فى (المنطلقات) التى تنطلق منها كل منهما ، اختلافا يصل الى حد التناقض ، بين حرية لا حدود لها ، لا تقف عند حد حرية الانسان الشخصية ، « فى اختيار طريقته الخاصة فحسب ، بل ان السياسة العامة التى تسير عليها ذاتها ، ليست الا نتيجة للاختيارات التى اختارها الأفراد » (٤٠) ، فى المجتمعات الرأسمالية ، حيث « احترام الانسان كانسان » ، وحيث « الايمان بالفرد ، وبالشخصية الانسانية ، ومقدرة هذا الفرد على ان يحدث التغيير والتطور اللازمين » (٤١) - وبين تكبيل للحرية لا حدود له فى الاشتراكية / الماركسية ، على نحو ما رأينا من قبل ، فان الأيديولوجيتين المتناقضتين تتفقان فى شىء رئيسى يهمنا هنا ، وهو ان كلا منهما تترجم أيديولوجيتها التى تؤمن بها الى حياة تعاش ، وأسلوب فى التربية يتبع ، وتنشأ عليه الأجيال ، وهو عكس ما نراه فى بلاد العالم الثالث ، ومن بينها بلادنا العربية والاسلامية ، التى مُسخت شخصيتها القومية ، باخذها بالنموذج الغربى فى الحياة ، وفى أساليب التعليم ومؤسساته على السواء ، مما زاد فى تخلفها عن ركب الحضارة

---

(٣٨) جورج كاونتس (مرجع سابق) ، ص ٤٣٨ ، ٤٣٩ •

(٣٩) المرجع السابق ، ص ٩ •

(40) Francis S. Chase : **Education Faces New Demands, Horace Mann Lecture, 1956**; University of Pittsburgh Press, 1956, p. 13.

(٤١) الدكتور محمد لبيب النجيحى : **التربية وبناء المجتمع العربى** - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧١ ، ص١٧٩، ١٨٠ •

العالمية (٤٢) ، رغم ما تنفقه على برامج التعليم بها من أموال طائلة ، لأن المعروف أن « التربية ليست عامل تقدم من تلقاء نفسها ، وانما هى تستلهم خطواتها واجراءاتها من سياسة الأمة وتشريعاتها ، مثلما تستلهمها من قوانينها الخاصة ، التى استمدتها من تجربتها الذاتية ، على تراب أرض الوطن » (٤٣) .

جوانب التربية الاقتصادية :

عند الحديث عن (نظريات الاقتصاد) فى الفصل الثانى ، رأينا المرحوم عباس محمود العقاد يعرف (النظرية الاقتصادية) بأنها تلك القيود التى تضعها الدولة - أو لا تضعها - على تصرفات الأفراد الاقتصادية ، « داخل البلاد وخارجها » (٤٤) .

ويمكن أن نضيف الى هذا التعريف ، ما يراه من أن تدخل الدولة ليس هدفه « تطبيق نظرية اقتصادية ، أو تحقيق فلسفة اجتماعية ، ولكنه يحدث لتزويد الدولة بالقوة ، التى تحتمى بها من خصومها ، فى داخل البلاد وخارجها .

والحد الفاصل بين الحكومات التى تسيطر على المرافق العامة ، والتى لا تسيطر عليها ، يبين جليا ، أن الفارق السياسى هو الفارق المهم بين النوعين ، ثم تتبعه الفوارق الاقتصادية .

أن الفارق بين هذين النوعين من نظم الحكم ، هو الفارق بين الحكومة المطلقة ، والحكومة الديمقراطية » (٤٥) .

---

(٤٢) ارجع - على سبيل المثال - الى :

— Philip G. Altbach : "Servitude of the Mind ? Education, Dependency, and Neocolonialism", Chapter 24 from : **Comparative Education,** Edited by Philip G. Altbach and Others ; Macmillan Publishing Co., Inc., New York, 1982, pp. 469, 470.

(43) Fred M. & Grace Hechinger : **Growing Up in America** ; McGraw-Hill Book Company, New York, 1975, p. 6.

(٤٤) ب . ج . وودز (مرجع سابق) ، ص ١٠ (من المقدمة ، للأستاذ عباس محمود العقاد) .

(٤٥) المرجع السابق ، ص ١٣ (من المقدمة ، للأستاذ عباس محمود العقاد) .

وهكذا تكون قضية (النظرية الاقتصادية) ، هى قضية تملك موارد الثروة ، (والطريقة) التى يتم بها هذا التملك ، وتوزيع هذه الموارد بين الفرد والمجموع ، على نحو يعكس أيديولوجية الدولة كما سبق ، لأسباب قد لا تكون اقتصادية بالضرورة ، وانما هى سياسية بالدرجة الأولى ـ كما سبق أيضا .

وتدخل موارد الثروة البشرية ، أو الخبرة الفنية لدى الناس ـ فى عصر العلم الذى نعيشه اليوم ـ كما سبق ـ فى الحسبان ، عند الحديث عن هذه الموارد المتاحة للأمة ، مثلما تدخل فى الحسبان عند الحديث عن النظرية الاقتصادية ، فقد صارت العلاقة قوية ـ فى هذا العصر ـ بين ما يدور حوله التعليم من مناهج وبرامج ، وبين القوى الطبيعية المحيطة بالنظام التعليمى ، حيث « يجب أن يتضمن المنهج فى المرتبة الأولى دراسة القوى والظروف الطبيعية ، التى يتفاعل معها الانسان » (٤٦) ، وأن يكون المجتمع المحيط بالمدرسة هو « نقطة البداية ، ونقطة النهاية ، فى تعليم كل مادة ، منه يستمد التلاميذ الخبرة ، التى تعد اذهانهم لفهم الحقائق التى يتعلمونها ، كما يستمدون المشكلات التى تحفزهم الى البحث والتفكير » (٤٧) .

وهذا الربط بين التعليم والموارد الاقتصادية والطبيعية للأمة ، نجده واضحا فى البلاد المتقدمة ، على اختلاف نظمها السياسية والاقتصادية ، حيث صار التعليم فيها « قوة ديناميكية ، تعمل على تقدم المجتمع والمحافظة عليه » ، وصار « سبيل الدولة ، لتنمية مصادرها البشرية ، اللازمة لتقدمها الاجتماعى » (٤٨) ، ومن ثم تغيرت النظرة فيها « الى مضمونه ، وما يقدمه من مواد ومعارف ، فى ضوء مطالب التنمية الاقتصادية ، وحاجة المجتمع الى مختلف المهن والتخصصات » (٤٩) .

---

(46) Dan H. Cooper ; Op. Cit., p. 24.

(٤٧) اسماعيل محمود القبانى : **دراسات فى تنظيم التعليم بمصر** ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٨ ، ص ٤٧ .

(48) Harold A. Haswell : **Higher Education in the United States** ; Unesco, Educational Studies and Documents, No. 47, 1963, p. 78.

(٤٩) دكتور محمد الهادى عفيفى : **فى اصول التربية** ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ ، ص ٢٦ .

ويكاد هذا الربط بين التربية وبين موارد الأمة ، أن يكون هو الفارق الأساسي بين البلاد المتقدمة المعاصرة ، والبلاد المتخلفة ، التى رأيناها من قبل تبذل جهدها كله ، فى (نقل) ما هو موجود فى البلاد المتقدمة تلك ، من مؤسسات ومحتويات برامج ، مفتونة شعوبها وحكوماتها بذلك « الرقى المادى الحاضر فى دول الغرب (فى أوربة وبعض دول أميركا) » ، « الى حد جعل جمهور هذه الشعوب يعجب بكل شىء فى الغرب ، ولا غرو ، فالمغلوب - كما يقول ابن خلدون - مولع بتقليد الغالب ، ولكن الضعيف (المغلوب) يعجز بطبيعة الحال عن مجاراة القوى (الغالب) فى الخصائص ، التى تجعل القوى الغالب قويا غالبا ، فيكتفى المغلوب حينئذ بتقليد ذلك القوى الغالب فى ظاهر أعماله ، بما تسهل محاكاته » (٥٠) .

ويأتى الفارق بين بلد متقدم وآخر بعد ذلك ، حيث نجد التربية فى البلاد الليبرالية الغربية ، تركز - اضافة الى ما سبق - على تنمية الشخصية الانسانية - موضوع التربية - فى اطار فردى ، بتنمية مواهبها وملكاتها الفردية ، بينما تركز التربية فى البلاد الاشتراكية / الشيوعية - اضافة الى ما سبق أيضا - على تنميتها فى اطار جماعى ، لا يحس الانسان فيه بذاته وفرديته ، بقدر ما يحس بالمجتمع الذى يعيش فيه ، وينتمى اليه ، بمختلف قواه وأوضاعه ومشكلاته وعلاقاته .

كما يأتى الفارق بين بلد متقدم وآخر ، فى مدى (قدرة) كل بلد على الانفاق على مشروعات البحث والتطوير Research & Development فيه ، وفى المستفيد من هذه المشروعات فى الوقت ذاته ، بعد أن صار العلم Science اليوم سلعة باهظة التكاليف ، ولكنها عالية العائد أيضا ، ومن ثم صار الانفاق عليه فى مراكز البحوث مؤشرا من مؤشرات التقدم الحضارى ، « فيكفى أن نقرأ أنه لا يجسد الفجوة التكنولوجية الهائلة ، التى تفصل الدول المتقدمة عن الدول النامية ، مثل معرفة أن ٩٨٫٤٪ مما ينفق على البحث والتطوير فى العالم ، تتم فى الدول الراسمالية المتقدمة (٦٦٫٢٪) ، والدول الاشتراكية المتقدمة (٣٢٫٢٪) .

أما ما ينفق على البحث والتطوير فى الدول النامية ، فيبقى فى حدود ١٫٦٪ .

---

(٥٠) عمر فروخ : **تجديد التاريخ فى تعليله وتدوينه (اعادة النظر فى التاريخ)** - الطبعة الأولى - دار الباحث للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م ، ص ٢٦١ .

كذلك فان الولايات المتحدة الأمريكية قد ارتفع انفاقها الاجمالى على البحث والتطوير من ٦ مليار دولار عام ١٩٥٥ ، الى حوالى ٣٠ مليار دولار عام ١٩٦٥ ، والى أكثر من ٣٤ مليار عام ١٩٧٥ . وقد ساهمت الحكومة فى ٥٧٪ ، ٦٥٪ ، ٥٣٪ من قيمة هذه البحوث ، على التوالى ، وتركت الباقى للمؤسسات العملاقة ، والشركات الكبرى » (٥١) .

وقد تم التركيز هنا على (العلم) و (التعليم) دون سواهما من (جوانب التربية الاقتصادية) ، لأن العلم صار هو القوة الفاعلة فعلا فى حضارة اليوم - العلمية / التكنولوجية ، وصار الوصول الى شىء من التقدم الاقتصادى بدونه مستحيلا ، فقد « كان النمو الاقتصادى فى بلدان غرب أوربا وشمال أمريكا ، حيث بدأت الصناعة ، عملية بطيئة وممتدة ، لاكتساب رأس المال والموارد والتعلم والتكنولوجيا ، فقد مضت عقود استغرقتها حركة الانتقال من الاختراع الى التطبيق العملى ، ثم الى الاستثمار ، وأخيرا الى تحقيق العائد . ففى الولايات المتحدة على سبيل المثال ، زاد نصيب الفرد من مجمل الناتج القومى على مدى مائتى عام من ٢٥٠ دولار الى ٧٠٠٠ دولار ، وسارت العملية بعجلة أسرع فى اليابان ، ولكنها استغرقت أكثر من قرن ، لتنتقل من ١٠٠ دولار ، الى ٤٠٠٠ دولار » (٥٢) .

لقد كانت اليابان « أفقر من جارتيها الهند والصين ، فى موارد ثروتها الطبيعية ، ومع ذلك سبقتهما بمراحل » (٥٣) ، على حد تعبير نايار Nayar ، وذلك بفضل « أربع سنوات من التعليم الالزامى الاجبارى ، امتدت فيما بعد الى ست سنوات ، من سن ٦ الى ١٢ سنة » (٥٤) ، وذلك منذ سنة ١٩٠٠م ، وهو ما يمكن أن يقال عن بلدين آخرين ، لهما ظروف قريبة من ظروف اليابان ، من حيث قلة مصادرهما الطبيعية ، وهما الدنمرك وسويسرا .

---

(٥١) د. محمد عبد العليم مرسى : **التعليم العالى ومسئولياته فى تنمية دول الخليج العربى (دراسة تحليلية تربوية لأعمال الندوة الفكرية الأولى لرؤساء ومديرى الجامعات الخليجية ، ٩ - ١٢ ربيع الأول ١٤٠٧هـ / ٤ - ٧ يناير ١٩٨٢م - البحرين)** - مكتب التربية العربى لدول الخليج - الرياض - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ص ٣٥ .

(٥٢) هيرمان كان وآخرون (مرجع سابق) ، ص ٩٠ .

(53) D.P. Nayar ; Op. Cit., p. 58.

(٥٤) ج. سنجلتون : **المدرسة اليابانية** - ترجمة الدكتور محمد قدرى لطفى وآخرين - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٢ ، ص ٦ (من مقدمة الترجمة) .

لقد كان (العلم) هو الذى عوض هذه البلاد الثلاثة عن فقرها فى مصادر الثروة الطبيعية ، ومن ثم كان هو الذى رفع مستواها الاقتصادى والاجتماعى ، حتى صارت تنتمى اليوم الى مجموعة البلاد المتقدمة Advanced Countries ، فى الوقت الذى تقهقرت فيه بلاد كثيرة ، ذات حضارات قديمة رائعة ورائدة ، ومصادر ثروة طبيعية وفيرة ، الى مستوى البلاد المتخلفة Underdeveloped Countries ، التى تعرف اليوم ببلاد العالم الثالث Third World ، والتى تنتمى اليها البلاد العربية والاسلامية ٠

ولم يقف تاثير العلم فى هذه البلاد المتقدمة عند حد تحويله الى تكنولوجيا ، واستغلاله فى الاستفادة المثلى من موارد الطبيعة ، بل تعدى ذلك الى استغلاله فى تسيير مرافق المجتمع ومؤسساته ، وتنظيم قواه البشرية ذاتها ، بشكل افضل ، يمكن أن يوصف بأنه « درجة عالية من حسن التنظيم الاجتماعى والاقتصادى » (٥٥) ، وبأنه « الثمار التى يولدها (ذكاء المجتمع) وحسن تنظيمه ، ونوعية الحوافز التى يوفرها » (٥٦) ، مما يعود بدوره فينعكس على (جوانب التربية الاقتصادية) المختلفة ، فيرفع من مستوى أدائها ، ويزيد من (مخرجاتها) ، وهو على النقيض مما نراه فى بلاد العالم الثالث ، حيث « عدم الاستقرار » ، وحيث « التذمر وحب الفوضى » ، وحيث « يصعب العمل الايجابى البناء ، ومع ذلك فالناس مستعجلون ، يريدون اقتطاف الثمرة لاستقلالهم السياسى ، ويريدونها فى الغالب بدون تعب ، وبدون سهر ، وبدون تضحيات » (٥٧) ، مما ينعكس سلبا على (التربية الاقتصادية) فى هذه البلاد ، سواء فى المدرسة وخارجها على السواء ، وسواء على مصادر الثروة المتاحة ، وعلى مستوى العمل والأداء ، وعلى الاستهلاك ، سواء ٠٠٠

---

(٥٥) د٠ انطونيوس كرم (مرجع سابق) ، ص ٣٦ ، ٣٧ ٠

(٥٦) المرجع السابق ، ص ٤٠ ٠

(٥٧) الدكتور محمد فاضل الجمالى : **آفاق التربية الحديثة فى البلاد النامية** ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ ١٩٦٨ ، ص ٣٧ ٠

دور الأسرة فى التربية الاقتصـادية :

يرى ايدجار فور وزملاؤه أنه رغم أن المدرسة « ستظل فى الحاضر والمستقبل ، هى العامل الحاسم فى تكوين الانسان » ، فان « احتقـار التعليم غير المدرسى لم يعد الا اثرا من آثار الماضى البائد » (٥٨) .

واذا صح كلام ايدجار فور وزملائه بالنسبة لمؤسسـات التعليم غير النظامى الكثيرة ، التى تحيط بالانسان ، خاصة فى الحضارة المعاصرة، كالاذاعة والتليفزيون والراديو وغيرها من وسائل الاتصال المختلفة ، وهو - بالفعل - كلام صحيح ، فهو أكثر صحـة بالنسـبة للأسرة ، منذ كان الانسان على هذه الأرض ، ومنذ كانت الأسرة ، بل اننا لا نبـالغ اذا قلنـا ان الدور التربـوى للأسرة ، كان ولايزال ، يفوق دور المدرسـة ذاتها ، بوصف سنوات المهد هى السـنوات التى يقضـيها الطفل فى أحضان الأسرة ، قبـل أن يخرج الى المجتمع ويذهب الى المدرسـة ، وبوصف سنوات المهد تلك « تمثل سـنوات الأساس فى حيـاة الطفل ، حيث توضع فيها أسس كثير من أنماط السلوك ، وكثير من الاتجاهات نحو الآخرين ، ونحو الذات ، كما تتحـدد كثير من أنمـاط التعبير الانفعالى » (٥٩) ، فهى « الوحـدة الاجتمـاعية الأولى ، والبيئة الأساسية التى ترعى ، وهى لهذا تشـتمل على أقوى المؤثـرات ، التى توجه نمو طفولته » (٦٠) .

أى أن الطفل يذهب الى المدرسة - فى سن الخامسة أو السادسة - وقد تم تشكيل الملامح الرئيسية لشخصيته بالفعل ، فى نطاق الأسرة التى خرج من حياة المهد فيها الى المدرسة ، وذلك بفضل ما ركبه الله سبحانه فى الانسان من أجهزة وأدوات ومعدات ، يتمكن بها الانسان من الاتصال بعالمه المحيط به ، والتفاعل معه ، « فأعضاء الحس هى المسالك الأولية التى عن طريقها ينتسب الفرد الانسانى للعـالم المحيـط به ، والخلايا العصبية المستقبلة تتاثر بشكل من أشكال الطـاقة ، كالضوء أو الحرارة

---

(٥٨) ايدجار فور وآخرون (مرجع سابق) ، ص ٣٢ .

(٥٩) الدكتور محمد جميل محمد يوسف منصـور ، والدكتـور فاروق سيد عبد السلام : **النمو ، من الطفولـة الى المراهقة** - رقم (٣) من سلسلة (الكتاب الجامعى) - الطبعـة الثالثة - تهـامة - جدة - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ١٩٣ .

(٦٠) الدكتور فؤاد البهى السيد : **الأسـس النفسـية للنمو ، من الطفولة الى الشيخوخة** - الطبعة الرابعة - دار الفكر العربى - القاهرة- ١٩٧٥ ، ص ٦٢ .

أو الصوت ، وينتقل التأثير العصبى الى مركز المخ الذى يناسبه ، ومثل هذه الاشارات تساعد الفرد على أن يسلك ، حتى يدخل فى اعتبـاره الظروف المادية الواقعية . ويبدو أن التعلم لن يحدث دون المعلومـات الحسية ، والطفل بدون الامكانيـات الحسـية لا يمكن أن ينمو ، فمن خلال الحواس يعرف الفرد بناء العالم المحيط به ، الذى يجب أن يعيش فيه ، والذى يجب أن يتكيف معه الى حد ما » (٦١) .

وعلى طريق تكيف طفل المهـد خصـوصا ، وطفل ما قبل المدرسة الابتدائية على وجـه العموم ، « للبيئـة المحيطـة به » ، أو « لبيئته المادية والاجتمـاعية » (٦٢) ، يتشرب الطفـل ثقافة مجتمعه ، وقيمه وتقاليده، كما تقدمها له الأسرة ، حيث «يتلقى الطفل أولى قواعد السلوك عن طريق الأسرة ، وأخيرا يتعلم الطفل كل الـوان النشـاط ، وينمى قائمة من المفاهيم ، طبقا لمتطلبـات ثقافته » (٦٣) ، وحيث « تتأثر الطريقة التى ينمو بها الطفل بأسـلوب الحيـاة السـائد عند ولادته ، وبالفرص التعليمية المتاحة له ، وبخصوبة البيئة ، وصحتها الانفعالية، كما يدركها بحواسه وأجهزته العضلية » (٦٤) .

وتعتبر الأم هى (المدرسة) الأولى للطفـل من هذه الزاويـة ، بوصفها المعبر الأول عن الثقافة للطفل فى مرحلة المهد ، حيث « تبـدأ حياة الطفل بعلاقات بيولوجية تربطه بأمه ، تقوم فى جوهـرها على اشباع الحاجات العضوية ، كالطعام والنوم والدفء ، ثم تتطـور هذه العلاقات الى علاقات نفسية قوية وثقى ، ثم تتطور منها علاقـات أولية أساسية ، تربط الطفل بأبيه وأخوتـه ، ثم ما يلبث الطفـل أن ينشىء لنفسه علاقات وسطى ، تصل بينه وبين زملائه وأصدقـائه ، ثم يتصل بالمجتمع الواسـع العريض ، الذى يحيـا فيه ، فيقيم لنفسـه علاقـات ثانوية ، لربطه به .

---

(٦١) فيليب هـ. فينكس : **فلسفة التربية** - ترجمة وتقديم الدكتور محمد لبيب النجيـحى - دار النهضـة العربيـة - القـاهرة - ١٩٦٥ ، ص ٤٧٨ .

(٦٢) الدكتور عبد العزيز القوصى : **أسـس الصحة النفسـية** - الطبعة الرابعة - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، ص ٣ .

(٦٣) الدكتـور محمد جميل محمد يوسف منصـور ، والدكتـور فاروق سيد عبد السلام (مرجع سابق) ، ص ٤٣ .

(٦٤) المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

وهكذا تترك كل علاقة من هذه العلاقات ، وكل جماعة من تلك الجماعات ، مهما كانت صورتها ، أثرها الواضح فى حياة كل فرد » (٦٥) ، فبها « يمتص منها التقاليد والعرف ومعايير الخلق والحرمات والطقوس ، بل والأساطير والخرافات » (٦٦) – وتظل الأسرة ، التى يقضى فيها الانسان مرحلة المهد ، صاحبة البصمة الأوضح على الشخصية الانسانية ، والباقية التأثير فيها ، من بين الجماعات المجتمعية جميعا – كما سبق ٠

ومع المراحل الأولى من عمر الانسان ، فى حياة الأسرة وبعدها ، « تتكون الاتجاهات ، بالتقليد ، أو بالخبرات السارة وغير السارة » (٦٧) ، بما فيها الاتجاهات نحو العمل ، ونحو الانتاج ، ونحو الاستهلاك ، ونحو نواحى الحياة المختلفة ، ونحو علاقاته بالناس والأشياء ، ونحو عناصر الطبيعة ، وغيرها ، وهى ما رأيناها – فى الفصل السابق – تشكل العناصر الرئيسية للحياة الاقتصادية ، فى أى مجتمع من المجتمعات ، وبالتالى تتم تربية الانسان وفقها ، ليكون (عنصرا) اقتصاديا ، على نحو معين ، يتفق مع الثقافة السائدة فى المجتمع الذى تمت تربيته فيه ٠

ولا يقف تأثير الأسرة فى تربية الانسان المنتمى اليها عند سنوات المهد تلك ، بل ان أثر هذه التربية يمتد معه طوال حياته ، حتى عندما يصير ربا لأسرة ، اذ يظل الانسان هو الانسان ، ويظل « كيانه الجسدى أو البيولوجى ، هو الأساس الذى تقوم عليه شخصيته كلها ، والأساس الذى يقوم عليه نموها ، فى كافة جوانبه ، طوال حياتها » (٦٨) ، كما تظل حاجات هذا (الكيان) الانسانى هى هى حاجاته ، ومن بين هذه الحاجات ، الحاجة الى الأمن ، والحاجة الى المحبة ، والحاجة الى التقدير ، والحاجة الى الانتماء (٦٩) ، اضافة الى الحاجة الى

---

(٦٥) الدكتور فؤاد البهى السيد (مرجع سابق) ، ص ٦٣ ٠

(٦٦) المرجع السابق ، ص ٦٤ ٠

(٦٧) الدكتور محمد جميل محمد يوسف منصور ، والدكتور فاروق سيد عبد السلام (مرجع سابق) ، ص ٤٤ ٠

(68) Jack H. Curtis : **Social Psychology** ; McGraw-Hill Book Company, Inc., New York, 1960, p. 157.

(٦٩) لتفصيل هذه الحاجات ، ارجع – على سبيل المثال – لا الحصر – الى :

– الدكتور ابراهيم وجيه محمود : **التعلم** – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٧١ ، ص ٨٥ – ٩١ ٠

التجاوب ، والحاجة الى الاعتراف (٧٠) ، وهى حاجات لا تتحقق بصورة أفضل للانسان ـ مهما بلغت به السن ـ إلا فى جو الأسرة ، التى تظل ـ لذلك ـ تقوم بدورهـا فى تربية المنتمين اليهـا ، وتوجيـه سلوكهم ، بما فى ذلك سلوك المسئول عن الأسرة ، وخاصة من الناحية الاقتصادية ، بوصفه المسئول عن تأمين سبل الحياة الكريمة لها ، حتى يحس ـ بالفعل ـ بانتمائه اليها ، ويلقى التقديـر الواجب من كل فرد من أفرادها .

دور المدرسة فى التربية الاقتصادية :

اذا كانت الأسرة ـ كما رأينـاها سابقا ـ هى التى تضع بصـمتها الأولى ـ والعميقة والباقية ـ على (شخصية) الانسان ، فان الانسان يخرج الى خارج البيت ـ بهذه البصمة ـ ليمارس حياة خارج اطارها ، يكون أوضحها تأثيرا حياته المدرسـية ، حيث يتلقى برنـامجا منظما من التعليم ، يحقق به المجتمع طموحاته فى الجيل الجديد من أبنائه ، ويكتب لتراثه الماضى الاستمرار من خلال زرعه فى نفوسهم وقلوبهم ، ويغرس قيمه ومثله العليا ، لتتصل عملية نمو الفرد الانسانى ، « من الناحية الجسمية والفكرية والعقلية جميعـا » (٧١) ، بطريقة موجهة من الجماعة ، لتنشىء « نمطا متسـقا مؤتلفـا من الحيـاة الخصـبة العريضة » (٧٢) ، على النحو الذى تراه هذه الجماعة للحياة الخصبة العريضة ، من حيث « تعلم المهارات اللازمـة لشئون الحيـاة ، وتعلم المعايير الخلقية والقيم ، وتكوين الاتجاهـات ، والاسـتعداد لتحمل المسئولية ، وضبط الانفعالات » (٧٣) .

وصحيح أن التربية المدرسية تركز على (تعليم) المنتسبين اليها علوما ـ أو فنونا ـ بعينها ، أى على تزويدهم بالعـلم ، على حسـاب بقية جوانب النمو الانسانى بطبيعة الحال ، حيث أن « التدريس يجب أن يدور حول تدريب القدرات العقلية ، التى تهتم باستقبال الأفـكار ،

---

(70) Jack H. Curtis ; Op. Cit., pp. 232, 233.

(٧١) الدكتور محمد لبيب النجيحى : **مقدمة فى فلسفة التربية** ـ الطبعة الثالثة ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ ، ص ١١٧ .

(٧٢) الدكتور فؤاد البهى السيد (مرجع سابق) ، ص ١٢٧ .

(٧٣) دكتور حامد عبد السلام زهران : **علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)** ـ الطبعة الثانية ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ ، ص ٢٣٧ .

التى يتم تعليمها ، وانتاج هذه الأفكار — خاصة تلك القدرات المتصلة بالاستقبال والتمييز والربط والتجريد والتمثل » (٧٤) — ولكن التربية المدرسية لا تعلم هذه العلوم لذاتها ، بل لاعتبارها (وسيلة) لتوجيه النمو وجهة معينة ، هى الوجهة التى تراها الجماعة ، وترغب فيها ٠

وينبهنا بيترز Peters — فى هذا المجال — الى أن « التربية ليست مفهوما محددا ، كما هو الحال بالنسبة لمفهوم (الأحمر) ، الذى يدل على لون ، أو (الحصان) ، الذى يدل على حيوان بعينه ، أو (الجرى) أو (الابتسام) ، اللذين يدل كل منهما على حدوث شىء بعينه » (٧٥) ٠ ان (التربية) — عنده — « (كالإصلاح) ، ليست مفهوما محددا فى العقل » ، اذ هى شىء لا يمكن تصوره الا فى ضوء ما توصلت اليه من نتائج ، « فان (كون الانسان قد ربى) ، معناه انه قد صار قادرا على تحقيق عدد من المهام » (٧٦) ، وهى — على هذا الأساس — « لا تعنى اتقان مهارة معينة » ، كما « لا تعنى تزويد الانسان بمعلومات بعينها » (٧٧) ٠

كذلك يفرق ديردن Dearden بين التعليم Instruction والتدريس Teaching ، حيث « يتوجه ذهن الانسان — عند ذكر التعليم — الى المدرس ، أو المعلم ، بسماته وملامحه المحددة » ، مع أن « التعليم لا يحتاج الى أن يتم من خلال كلمة تخرج من الفم بالضرورة ، بل انه قد يتم من خلال العودة الى كتاب مقرر ، أو من خلال برنامج مناسب على آلة من الآلات ٠ ثم اننا يجب أن نفرق بين التعليم النظامى Formal والتعليم غير النظامى Non-formal أو العفوى Incidental ، حيث يتم الأول منهما فى وقت محدد ، يقدم المدرس فيه — أو من يساعده — درسا مخططا ، بينما الثانى يتم وقتيا وعفويا ، فيما بين هذه الدروس النظامية » (٧٨) — كما يلفت نظرنا

(74) Israel Scheffler : "Philosophical Models of Teaching", **The Concept of Educatiom,** Edited by R.S. Peters ; Fifth Impression, Routledge & Kegan Paul, London, 1973, pp. 121, 122.

(75) R.S. Peters : "What is an Educational Process?", **The Concept of Education** ; Ibid., p. 1.

(76) Ibid., p. 2.

(77) Ibid., p. 6.

(78) R.F. Dearden : "Instruction and Learning By Discovery", **The Concept of Education** ; Ibid., p. 138.

الى أنه « رغم أن كل التعليم ربمـا يحتـاج الى اللغة ، فـانه ليس كل التدريس يحتاج الى اللغة ، فى تحقيق التعليم » (٧٩) ٠

وبعيدا عن المماحكات الفلسفية حـول قضـايا التربية والتعليم أو التدريس ، فأن التربية - بطبيعتهـا - عملية اجرائية ، « والاجراءات التربوية التى تتخذ ، تكون ذات صلة بألوان النشـاط المتنوعة ، وأطر التفكير المختلفة ، ونماذج السـلوك ، التى تؤدى - فى النهـاية - الى تحقيق وجود الانسان الذى تتم تربيته ، ليكون على النحو الذى يخطط للوصول به اليه » (٨٠) ، ومن ثم فان « على المعلم أن يكون على وعى بما يفعله ، وبالهدف الذى يريد أن يصل اليه ، ويسعى لتحقيقه »(٨١) ، على حد تعبير بيترز Peters ٠

وفى غياب وضوح الهدف من التربية على هذا النحـو ، يمكن أن تؤدى التربية الى التخلف ، مثلمـا تؤدى الى التقدم ، فـان « التربية على شأوها وشأنها ، ليست دوما وأبدا أداة من أدوات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، بل قد تكون لتلك التنمية ضـدا ونقيضـا » ، على حـد تعبير الدكتور عبد الله عبد الدائم ، وعنده أن « التربية التى تؤدى الى التنميـة ، تضـع فى صلبها سـلفا أهـداف التنميـة الاقتصـادية والاجتماعية ، وتحكم الربط المسبق بينها وبين حاجات تلك التنمية »، « وبدونها تغدو عبئا على التنمية والتقدم » ، اذ « تخرج مجموعة من أشباه المتعلمين ، العاطلين عن العمل ، وأن نقلب البطالة ، من بطالة عادية ، الى بطالة مثقفة ، وأن نحرم سوق العمل من عمالها العاديين التقليديين ، لنضمهم فى اطار نظام تعليمى ، جل عطائه أن ينزع عنهم قدرتهم ، وأن يزودهم بمواقف واتجاهات ومعارف ، تبعدهم عن حاجات الانتاج ومستلزماته » (٨٢) ٠

---

(79) Ibid., p. 139.

(80) R.S. Peters : "What is an Educational Process?"; Op. Cit., p.9.

(81) Ibid., p. 10.

(٨٢) الدكتور عبد الله عبد الدائم : « التربية فى مرحلة التعليم الالزامى وما قبلها ، ودورهـا فى تحقيق أهـداف التنمية الاقتصـادية والاجتماعية » - **التربية من أجل التنمية** - المؤتمـر التربـوى لتطوير التعليم ما قبل الجـامعى ، المنعقد بدمشـق ، فى ٣ - ٨ آب ١٩٧٤ - الجمهورية العربية السورية - وزارة التربية - (دمشق) ، ص١٥٥ ، ١٥٦ ٠

وما يجرى على الساحة التربوية لبلاد العالم الثالث ، ومن بينها البلاد العربية والاسلامية، خير شاهد علىمقولة الدكتور عبدالله عبدالدائم تلك ، وهو ما تجمع عليه الدراسات الكثيرة المهتمة بالعلاقة بين (التربية والتنمية) فى بلاد العالم الثالث ، حيث ترى هذه الدراسات عجز نظم التعليم فى هذه البلاد عن توفير « الأشخاص ، الذين تتوافر فيهم الخبرة والمعرفة الفنية » (٨٣) اللازمة لحركة التنمية ، كما ترى أن « تشكيل هذه النظم لكوادرها تشكيل لا يتفق عادة مع متطلبات البلاد » (٨٤) ، وأن التعليم فيها يخلق « الحاجات والرغبات التى تتعارض والتنمية ، حتى فى أضيق معنى اقتصادى » (٨٥) ، مما يؤكد أن التربية المدرسية على وجه الخصوص ، ليست من عوامل التقدم فى هذه البلاد ، بقدر ما يمكن اعتبارها من أسباب استمرار تخلفها .

دور المجتمع فى التربية الاقتصادية :

ليس من الانصاف فى شىء ، أن نلقى على المدرسة ـ أو الأسرة ـ وحدها عبء التخلف الاقتصادى للمجتمع ، وسوء تربية أبنائه ، بحيث لا يحسنون استغلال مصادر الثروة الطبيعية التى من الله بها عليهم ، وذلك لأن المدرسة ـ شأنها فى ذلك شأن الأسرة ـ ليست الا خلية من خلايا المجتمع ، تصلح اذا كان الجو المحيط بها جوا صالحا، وتفسد اذا كان هذا الجو فاسدا ، ومن ثم تكون (قوة) المجتمع ذاته هى القوة الحقيقية ، التى تستمد منها المدرسة ـ والأسرة ـ قدرتها على أن تقود الأمة الى طريق التقدم ، فأسباب التقدم الحضارى والتكنولوجى ، « هى الثمار التى يولدها (ذكاء المجتمع) ، وحسن تنظيمه ، ونوعية الحوافز التى يوفرها » (٨٦) ، وذلك لأن هذا التقدم لا يعتمد على العلماء وحدهم ، وانما هو يعتمد « بالدرجة الأولى » ، « على مهارات وعضلات والروح المعنوية ، للجماهير

---

(٨٣) الدكتور على عبد العليم محجوب : « القيادة الادارية ، ودورها فى الاصلاح الادارى من أجل التنمية ـ **مجلة تنمية المجتمع** ـ يصدرها مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى ـ المجلد الرابع عشر ـ ١٩٦٧ ـ العددان الأول والثانى ، ص ٦٩ .

(84) Frederick Harbison and Charles A. Myers ; Op. Cit., p. 61.

(٨٥) آدم كيرل (مرجع سابق) ، ص ٤٣٤ .

(٨٦) د. انطونيوس كرم (مرجع سابق) ، ص ٤٠ .

العامـلة » (٨٧) ، « الواعيـة ذات الآفـاق التى تهرع الى المسـتقبل بما فيه من تغير وتطـور » (٨٨) ٠

وما دامت قضية التقدم - والتخلف - وقضية الاقتصاد و (التربية الاقتصادية) بالتـالى - تتعلق بالتنظيم الاجتمـاعى ، الذى ينتظم المدرسة وغيرها من التنظيمات المجتمعية المختلفة ، لتوجيه نمو المواطن وجهة بعينها ، فان الحديث يقودنا بالضرورة الى الحديث عن (الدولة) State ، ودورها فى هذه (التربية الاقتصادية) ، بوصفها الهيئة التى تملك اصدار القرار ، مثلما تملك القدرة على تنفيذه ، بما أوتيت من أنواع القدرة المختلفة ، بغض النظر عن مدى تعبيرها عن مجمـوع مواطنيها ، أو عن الأمة Nation ٠

والكلام عن الدولة ، أو « الكلام فى نظام الحـكم ، فى أمـة من الأمم ، لا يقف عند الفكرة العامة عن الحكم » ، « بل هو يتناول أمورا كثيرة » - فهو « يتناول النظام الاقتصادى والنظام الخلقى ، والنظام الاجتماعى ، وألوانا أخرى من النظم » (٨٩)، ومن ثم كانت السياسة - عند أسوالد اشبنجلر - « هى الشكل الذى يتحقق فيه تاريخ أمة ، بين تعددية من الأمم ، وهى الفن العظيم للحفـاظ على الأمة (فى شـكل لائق) » (٩٠) ، مما يلقى بظله على من يتولى شئون الدولة عنده ، حيث يرى أن « رجـل الدولة يتوجب أن يكـون ، الى حـد بعيـد ، مربيا » (٩١) - وهو ما يمكن أن نـراه واضحـا فى البلاد المتقدمـة اليوم ، وما يمكن أن يفسر فى ضوئه تقدم هذه البلاد ٠

وسوف نرى فى الفصول القادمة باذن الله ، كيف وفر الاسلام لأمته ضمانات ذلك النظام المتـكامل ، الذى يدفع بالأمـة فى طريق التقـدم والازدهار، وأنه « ليس دينا بالمعنى المجرد الخالص ، الذى نفهمه اليوم

---

(٨٧) دكتور سعد مرسى أحمد : **التربية والتقدم** - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٠ ، ص ١١٥ ٠

(٨٨) المرجع السابق ، ص ١١٧ ٠

(٨٩) الدكتور محمد حسـين هيكل : **الحكومة الاسـلامية** - دار المعارف بمصر ، القاهرة - ١٩٧٧ ، ص ٢٧ ٠

(٩٠) أسوالد اشبنغلر : **تدهور الحضارة الغربية** - الجزء الثالث (مرجع سـابق) ، ص ٤١٩ ٠

(٩١) المرجع السابق ، ص ٤١٢ ٠

من هذه الكلمة ، بل هو مجتمع بالغ تمـام الكمال ، يقوم على أساس دينى ، ويشمل كل مظاهر الحياة الانسانية » ، على حد تعبير المستشرق الانجليزى جب Gibb ،وذلك « لأن ظروف نموه » « أدت أول الأمر الى ربط الدين بالسياسة ، بل الى ربط علم الكلام بالسياسة . وقد أكد هذه النزعة الأصيلة ، ما تلا ذلك من صوغ القانون الاسلامى ، والتنظيم الاجتماعى » (٩٢) .

ويؤكد هذه الحقيقة ، التى سنراها فيما بعـد ان شـاء الله ، أن الضعف لم يتسرب الى الأمة الاسلامية ، الا عندما تخلت عن هذا النظام المحكم ، وقسمت الاسلام الى دين ودنيا ، أو الى روح ومادة ، وفرقت بين ما هو عبادات وما هو عادات ، مع أن (روح) الاســلام تقوم - كما سبق - على أساس أن « الحيـاة كلها عبـــادة ، والأرض كلهـا مسجد » (٩٣) ، وذلك لأنه « ماذا تكـون الروحانيـات ، اذا لم تغير صور الحياة المادية الدنيوية ؟ » (٩٤) ، على حد تعبير محمد صديقى، أو تساؤله .

---

(٩٢) هـ. ا. ر. جب وآخرون : **وجهـة الاســلام ، نظرة فى الحركات الحديثة فى العالم الاسلامى** - أشرف على تحريـره الأسـتاذ (جب) - ونقله عن الانجليزية محمد عبد الهادى أبو ريدة - المطبعة الاسـلامية - القـاهرة - ١٩٣٤ ، ص ١٥ ، ١٦ (من الفصـل الأول : مقدمة ، للأستاذ هـ. ا. ر. جب) .

(٩٣) محمد الحسنى : **الاسلام الممتحن** - تقديم المفكر الأسلامى الكبير ، أبو الحسن الندوى - الطبعة الأولى - المختـار الاســلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، ص ٩٢ .

(٩٤) محمد مظهر الدين صديقى : **ما هو الاسلام** - رقم (٣) من سلسلة (نحو وعى اسلامى) - المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، ص ٦٤ .

الفصل الرابع

الاسلام والمسألة الاقتصادية

تقـــــــديم :

بعد أن انتهينا من تحديد معنى التربية ، وتحديد بعض قضاياها ذات الصلة بموضوع البحث ، فى الفصل الأول ، ومن تحديد معنى الاقتصاد وتحديد بعض قضاياه ذات الصلة بموضوع البحث ، فى الفصل الثانى ، ومن المزاوجة بين الموضوعين معا فى الفصل الثالث ، حيث تم تحديد معنى التربية الاقتصادية ومعالجة بعض قضاياها – لا يكون أمامنا الا أن ننتقل ، بدءا من هذا الفصل ، الى توضيح هذه القضايا جميعا من وجهة نظر الاسلام .

ونبدأ – فى هذا الفصل – بالحديث عن (الاسلام والمسألة الاقتصادية) ، حيث يتم توضيح معنى الاقتصاد من منظور الاسلام ، ومنه ننتقل الى الحديث عن النظام الاسلامى ، حتى نقف على وضع النظام الاقتصادى الاسلامى ضمن منظومته ، ومنه ننتقل الى القضايا الاقتصادية الرئيسية من منظور الاسلام ، وهى قضايا الملكية العامة والملكية الفردية ، والعلم والعمل ، ثم نختم الفصل بالحديث عن المردود الاقتصادى للزكاة ، والمردود الاقتصادى لليوم الآخر .

معنى الاقتصاد فى الاسلام :

رأينا فى الفصل الثانى أن للاقتصاد فى اللغة العربية معنى يختلف عنه فى اللغة الانجليزية ، فبينما هو يعنى فى اللغة الانجليزية تدبير الأمور وتوفير المال عادة ، رأيناه يعنى فى اللغة العربية التوسط والاعتدال عادة – وهو فرق يعود الى ذلك الفرق الذى نراه واضحا بين الثقافة العربية ، التى نمت فى اطارها اللغة العربية وعبرت عنها ، وبين الثقافة الغربية التى نمت فى ظلها اللغة الانجليزية ، وغيرها من اللغات الأوربية – الغربية .

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يلاحظ – بوضوح – أن كلمة (اقتصاد) ، لم ترد فى القرآن الكريم على هذا النحو ، وانما ورد اسم الفاعل منها (مقتصد) ، كما ورد مجرد الفعل ، فعلا ومصدرا واسم فاعل ، وأن اللفظ حيثما ورد ، مجردا أو مزيدا ، فان معناه يدور حول هذا المحور (التوسط والاعتدال) ، وان ابتعد عنه أحيانا ، لأسباب يوضحها معنى الآية ذاته .

واذا ما بدأنا بمجرد الفعل ، وجدناه يرد فى القرآن الكريم ثلاث مرات ، بمعانى مختلفة ، نبدؤها بقول الله سبحانه ، على لسان لقمان – وهو يعظ ابنه :

- « واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، ان انكر الأصوات لصوت الحمير » (١) .

وهنا نجد (القصد) يعنى التوسط والاعتدال ، حيث نجد قوله سبحانه على لسان لقمان « (واقصد فى مشيك) ، أى امش مقتصدا ، مشيا ليس بالبطىء المثبط ، ولا بالسريع المفرط ، بل عدلا وسطا ، بين بين » (٢) ، أو « حتى يكون مشيا بين مشيتين ، لا تدب دبيب المتماوتين ، ولا تثب وثيب الشطار » (٣) .

واذا ما انتقلنا من فعل الأمر فى الآية السابقة ، الى مصدر الفعل، وجدنا قول الله سبحانه ، فى سورة النحل ، وسط حديثه سبحانه عن نعمه التى لا تعد ولا تحصى ، وبعد حديثه عما خلقه من انعام للإنسان، ليركبها ويتخذها زينة :

- « وعلى الله قصد السبيل ، ومنها جائر ، ولو شاء لهداكم أجمعين » (٤) .

وهنا نجد (القصد) يعنى الحق ، أو الاسلام ، « قال مجاهد فى قوله (وعلى الله قصد السبيل) ، قال : طريق الحق على الله . وقال السدّي (وعلى الله قصد السبيل) الاسلام . وقال ابن عباس : وعلى الله البيان ، أى يبين الهدى والضلالة . وقول مجاهد ههنا أقوى من حيث السياق ، لأنه تعالى اخبر أن ثمّ طرقا تُسلك اليه ، فليس يصل اليه منها الا طريق الحق ، وهى الطريق التى شرعها ورضيها ، وما عداها مسدودة ، والأعمال فيها مردودة ، ولهذا قال تعالى (ومنها جائر)،

---

(١) قرآن كريم : **سورة لقمان - ٣١ : الآية ١٩ .**

(٢) محمد على الصابونى : **مختصر تفسير ابن كثير ، مختصر لتفسير الامام الجليل ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء ، اسماعيل بن كثير الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤هـ** - المجلد الثالث - الطبعة الثانية - دار القرآن الكريم - بيروت - ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م ، ص ٦٧ .

(٣) الزمخشرى : **الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل، فى وجوه التأويل** ، تأليف أبىالقاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى (٤٦٧ - ٥٣٨) - **الجزء الثالث** - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر - القاهرة - ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م، ص ٢٣٤ .

(٤) قرآن كريم : **سورة النحل - ١٦ : الآية ٩ .**

أى حائد مائل زائل عن الحق . قــال ابن عبــاس وغيره : هى الطرق المختلفــة ، والآراء والأهــواء المتفرقــة ، كاليهوديـــة والنصرانيـــة والمجوسية » (٥) .

ويرى الزمخشرى أن « القصد مصدر بمعنى الفاعل ، وهو القاصد ، يقال سبيل قصد وقاصد : أى مستقيم ، كأنه الوجه الذى يؤمه السالك ، لا يعدل عنه . ومعنى قوله (وعلى الله قصد السـبيل) ، أن هدايــة الطريق الموصــل الى الحــق واجبــة عليــه ، كقــوله (ان علينـــا للهــدى) » (٦) .

ولو أننا تركنــا الفعل ومصدره ، لوجـدنا اسم الفــاعل فى قوله سبحانه فى سورة (التوبة) فى معرض حديثه عن المنافقين وتخاذلهم فى غزوة (تبوك) :

ـ « لو كان عرضا قريبــا وسـفرا قاصدا لاتبعوك ، ولكن بعدت عليهم الشــقة ، وســيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم ، والله يعلم انهم لكاذبون » (٧) .

وهنا نجد (القصد) يعنى السهولة والقرب ، فان (سفرا قاصدا) تعنى « موضعا قريبا سهلا » (٨) ، يدل على ذلك سياق الآية « (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك) ، أى : لو كان ما اسـتنفرتهم

---

(٥) محمد على الصابونى : **مختصر تفسير ابن كثير ، مختصر لتفسير الامام الجليل ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء ، اسماعيل بن كثير الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤هـ** ـ المجلد الثانى ـ الطبعة الثانية ـ دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م ، ص ٣٢٤ .

(٦) الزمخشرى : **الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل ، فى وجوه التـأويل** ، تأليف أبى القـاسم جـار الله محمــود بن عمــر الزمخشرى الخوارزمى (٤٦٧ ـ ٥٣٨) ـ الجزء الثانى ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ـ القاهرة ـ ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

(٧) قرآن كريم : **سورة التوبة ـ ٩** : الآية ٤٢ .

(٨) الطبرى : **تفسير الطبرى (جــامع البيــان ، عن تأويــل القرآن ، لأبى جعفــر محمــد بن جرير الطبرى ، ٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ)** ـ حققه وعلق على حواشيه محمود محمد شاكر ـ راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شــاكر ـ الجزء الرابع عشر ـ من سلسـلة (تراث الاسـلام) ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ ١٩٥٧ ، ص ٢٧١ .

له ، ودعوتهم اليه ، أيها الرسول ، عرضا - وهو ما يعرض للمرء من منفعة ومتاع ، مما لا ثبات له ولا بقاء - قريب المكان أو المنال ، ليس فى الوصول اليه كبير عناء ، وسفرا قاصدا ، أى وسطا ، لا مشقة فيه ولا تعب ، لاتبعوك فيه ، وأسرعوا بالنفر اليه ، لأن حب المنافع المادية والرغبة فيها لاصقة بطبع الانسان ، وناهيك بها اذا كانت سهلة المأخذ قريبة المنال ، وكان الراغب فيها من غير الموقنين بالآخرة ، وما فيها من الأجر العظيم للمجاهدين ، كأولئك المنافقين (ولكن بعدت عليهم الشقة) ، التى دعوا اليها ، وهى تبوك ، و (الشقة) : الناحية أو المسافة ، والطريق التى لا تقطع الا بتكبد المشقة والتعب ، كبر عليهم التعرض لقتال الروم فى ديار ملكهم ، وهم أكبر دول الأرض الحربية ..» (٩) .

ولو أننا تركنا مجرد الفعل (قصد) ، بصوره الثلاث التى أتى عليها فى القرآن الكريم ، الى مزيده ، لم نجد أمامنا سوى اسم الفاعل من الفعل (اقتصد) يتكرر ثلاث مرات أخرى ، بمعانى مختلفة ، تتصل بالمحور السابق الذي رأينا مجرد الفعل يدور حوله ، نبدؤها بقول الله سبحانه فى سورة (المائدة) ، يحدثنا عن أهل الكتاب :

- « ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ، ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليهم من ربهم ، لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم، منهم أمة مقتصدة، وكثير منهم ساء ما يعملون » (١٠) .

وهنا نرى (الاقتصاد) يعنى الاعتدال ، حيث نرى « قوله تعالى (**منهم أمة مقتصدة ، وكثير منهم ساء ما يعملون**) كقوله (**ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون**) ، فجعل أعلى مقاماتهم الاقتصاد ، وهو أوسط مقامات هذه الأمة ، وفوق ذلك مرتبة

---

(٩) السيد محمد رشيد رضا : **التفسير المختصر المفيد ، للقرآن المجيد ، مختصر تفسير المنار** - أتمه وعلق عليه القاضى الشيخ محمد أحمد كنعان - مراجعة زهير الشاويش - الجزء الثالث - المكتب الاسلامى - بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ص ٢٨٨ .

(١٠) قرآن كريم : **سورة المائدة - ٥** : الآيتان ٦٥ ، ٦٦ .

السابقين » (١١) ، على نحو ما سنرى عند الانتقال الى الآية التالية باذن الله ، ولعل المقصود هنا هو أن من أهل الكتاب « جماعة معتدلة فى أمر الدين ، لا تغلو بالافراط ، ولا تهمل بالتقصير ، قيل : هم العدول فى دينهم ، وقيل : هم الذين أسلموا منهم ، والمعتدلون لا تخلو منهم أمة ، ولكنهم يكثرون فى طور صلاح الأمة وارتقائها ، ويقلون فى طور فسادها وانحطاطها ، وهؤلاء المعتدلون فى الأمم ، هم الذين يسبقون الى كل صلاح واصلاح » (١٢) - وقيل هى الطائفة المؤمنة : عبد الله بن سلام وأصحابه ، وثمانية وأربعون من النصارى » (١٣) - كما قيل « مقتصدة فى القول فى عيسى بن مريم ، قائلة فيه الحق ، انه رسول الله ، وكلمته القاها الى مريم وروح منه ، لا غالية قائلة : انه ابن الله ، تعالى الله عما قالوا من ذلك ، ولا مقصرة قائلة : هو لغير رشدة ، (وكثير منهم) ، يعنى من بنى اسرائيل من أهل الكتاب ، اليهود والنصارى » ، و « (منهم أمة مقتصدة) ، وهم مسلمة أهل الكتاب » ، « أهل طاعة الله » (١٤) .

---

(١١) محمد على الصابونى : **مختصر تفسير ابن كثير ، مختصر لتفسير الامام الجليل ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء ، اسماعيل بن كثير الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤هـ** - المجلد الأول - الطبعة الثانية - دار القرآن الكريم - بيروت - ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م ، ص ٥٣٣ .

(١٢) السيد محمد رشيد رضا : **التفسير المختصر المفيد ، للقرآن المجيد ، مختصر تفسير المنار** - أتمه وعلق عليه القاضى الشيخ محمد أحمد كنعان - مراجعة زهير الشاويش - الجزء الثانى - المكتب الاسلامى - بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ص ٣٦١ .

(١٣) الزمخشرى : **الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل ، فى وجوه التأويل** ، تأليف أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى (٤٦٧ - ٥٣٨) - الجزء الأول - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر - القاهرة - ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م ، ص ٦٣٠ .

(١٤) الطبرى : **تفسير الطبرى (جامع البيان ، عن تأويل القرآن ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، ٢٢٤ - ٣١٠هـ)** - حققه وعلق على حواشيه محمود محمد شاكر - راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر - الجزء العاشر - من سلسلة (تراث الاسلام) - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٥٧ ، ص ٤٦٥ ، ٤٦٦ .

وفى الوقت الذى يمدح فيه القرآن الكريم (الاقتصاد) فيما سبق ، حيث يعنى (الاعتدال) أو (التوسط) فى أمر يحسن الاعتدال فيه ، فانه يتخذ موقفا مضادا من نفس (الاقتصاد) حيث يكون هذا (الاعتدال) بمعنى التقصير فى العبادة وأداء الشكر لله سبحانه ، على نحو ما نرى فى قول الله سبحانه فى سورة (لقمان) :

- « واذا غشيهم موج كالظلل ، دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الي البر فمنهم مقتصد ، وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور » (١٥) .

ان الموقف هنا هو موقف من كان على وشك الغرق فى البحر ، حيث شاهد « الأهوال ، والأمور العظام ، والآيات الباهرات فى البحر ، ثم بعد ما أنعم الله عليه بالخلاص ، كان ينبغى أن يقابل ذلك بالعمل التام ، والدؤوب فى العبادة ، والمبادرة الى الخيرات » ، « فالمقتصد ههنا هو المتوسط فى العمل ، ويكون من باب الانكار على من شاهد تلك الأهوال ، والأمور العظام » (١٦) - كما قد يكون المقتصد هنا « متوسط فى الكفر والظلم ، خفض من غلوائه ، وانزجر بعض الانزجار ، أو مقتصد فى الاخلاص الذى كان عليه فى البحر : يعنى أن ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قط ، والمقتصد قليل نادر ، وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله فى البحر » (١٧) .

وأخيرا ، قد يأتى الاقتصاد فى القرآن الكريم حدا وسطا بين الافراط والتفريط ، على حد ما نرى فى قول الله سبحانه فى سورة (فاطر) :

- « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بأذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير » (١٨) .

---

(١٥) قرآن كريم : سورة لقمان - ٣١ : الآية ٣٢ .
(١٦) محمد على الصابونى : مختصر تفسير ابن كثير .. المجلد الثالث (مرجع سابق) ، ص ٧٠ .
(١٧) الزمخشرى : الكشاف عن حقائق التنزيل .. الجزء الثالث (مرجع سابق) ، ص ٢٣٧ .
(١٨) قرآن كريم : سورة فاطر - ٣٥ : الآية ٣٢ .

والحديث هنا عن أمة الاسلام ، التى ورثت كتاب الله سبحانه ، « من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ومَن بعدهم الى يوم القيامة ، لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم ، وجعلهم أمة وسطا ، ليكونوا شهداء على الناس ، واختصهم بكرامة الانتماء الى أفضل رسل الله ، وحمل الكتاب الذى هو أفضل كتب الله ، ثم قسمهم الى ظالم لنفسه ، مجرم ، وهو المرجأ لأمر الله ، ومقتصد ، وهو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا ، وسابق من السابقين » (١٩) ، وهنا يكون المقتصد ، الذى اتخذ موقفا وسطا ، هو « المؤدى للواجبات ، التارك للمحرمات ، وقد يترك بعض المستحبات ، ويفعل بعض المكروهات » (٢٠) .

وهكذا تكون (المسألة الاقتصادية) هى (جوهر) الاسلام بالفعل ، على أن تفهم هذه المسالة فهما مغايرا تماما للفهم المعاصر لها ، سواء فى الغرب الرأسمالى وفى الشرق الاشتراكى / الشيوعى على السواء ، اذ المسالة فيه ليست رأس مال وانتاج واستهلاك وتملك وغيرها ، مما يدور حوله الفكر الاقتصادى المعاصر ويختلف على قضاياه ، وانما المسألة فيه مسألة (موقف) من الحياة ، بجوانبها المختلفة ، تترتب عليه اجراءات محددة ، تتم فى تعامل الانسان / المسلم مع عناصرها أو جوانبها المختلفة ، بما فيها جانبها الاقتصادى ، فلقد تنبه الاسلام ــ منذ البداية ــ الى ما لم يتنبه اليه البشر الا فى هذا العصر الحديث الذى نعيش فيه ، من أن الحياة البشرية كلها (مدخلات) و (مخرجات) ، وليست قضية المدخلات والمخرجات بقاصرة على الجانب الاقتصادى وحده ، على حد تعبير آدمز Adams (٢١) ، ومع ذلك فهو لم يغفل « قيمة الجانب المعيشى باقتصادياته وضروراته فى حياة الفرد وحياة الجماعة ، ولا يقل تقديره له عن أشد المذاهب المادية اهتماما به ، ولكنه فقط لا يحبس الانسان عليه ، ولا يغفل جوانبه الأخرى وأشواقه العليا ، وهذا هو مفرق

---

(١٩) الزمخشرى : **الكشاف عن حقائق التنزيل** .. الجزء الثالث (المرجع الأسبق) ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٢٠) محمد على الصابونى : **مختصر تفسير ابن كثير** .. المجلد الثالث (المرجع الأسبق) ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٢١) د. آدمز (مرجع سابق) ، ص ٥٠ .

الطريق بين تلك المذاهب وبين الاسلام » (٢٢) ، على حد تعبير الشهيد سيد قطب .

ولما كان الاسلام - فى هذا المجال - يعتبر (نسيج وحده) ، فانه يكون ضروريا توضيح الملامح الرئيسية للنظام الاسلامى ، حتى نستطيع - بعدها - فهم النظام الاقتصادى فى الاسلام .

النظام الاسلامى :

ليس من شأن النظام - أى نظام - أن يعيش بلا عقيدة أو أيديولوجيا ، تنتظم عناصره وفقها (٢٣) ، على نحو ما رأينا فى الفصول السابقة من الكتاب ، وانما شأنه أن يكون تجسيدا حيا لعقيدة أو أيديولوجيا .

ومن ثم فان النظام الاسلامى لا يمكن فهمه الا اذا نحن وقفنا على عقيدة الاسلام ، التى تختفى وراءه ، وتعتبر القوة المحركة له ، أو الروح الذى يسرى فى جسده ، و « تتلخص عقيدة الاسلام فى مطلق وحدانية الله ، خالق الكون ومالكه » ، « ومن هذا المبدأ الأساسى ، تنتج وحدة الخلق ، ومصير العالم ، أى الوحدة الحية بين المادة والروح ، وبين المكان والزمان ، فى تطور الكون ، الذى يتحد بالله على نحو ما ، لأن وجود هذا الكون المادى نفسه ، هو الذى يعبر عن وجود الله ويكشف عنه » (٢٤) .

أما الانسان ، فقد خلقه الله سبحانه - يوم خلقه ، ليكون (خليفة) له فى الأرض ، على نحو ما نرى فى قول الله سبحانه عن قصة الخلق تلك :

---

(٢٢) سيد قطب : **السلام العالمى والاسلام** - الطبعة السادسة - دار الشروق - القاهرة - ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(23) Alvar Elbing : **Behavioral Decisions in Organization** ; Second Edition, Scott, Foresman and Company, Glenview, Illinois, 1978, p. 18.

(٢٤) الدكتور أحمد عروة : **الاسلام فى مفترق الطرق** - نقله عن الفرنسية الدكتور عثمان أمين - دار الشروق - القاهرة - ١٩٧٥ ، ص ٥٢ .

- « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يُفسد فيها ويَسفك الدماء ، ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك ؟ قال انى أعلم ما لا تعلمون » (٢٥) .

وعلى عكس ما نراه فى الفكر الدينى اليهودى ، كما نراه فى التوراة المحرّفة ، وفى الفكر الدينى المسيحى المبنى عليه ، كما نراه فى الاناجيل المعترف بها من الكنيسة ، كان خلق الله للانسان ، وأمره سبحانه للملائكة بالسجود له ، على النحو الذى توضحه الآية الكريمة ، هو الفصل الأول من فصول ملحمة الوجود الانسانى على الأرض ، ليدور الفصل الثانى منها حول (هبوط) الانسان الى الأرض ، على نحو ما نراها مذكورة فى القرآن الكريم :

- - واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس ، أبى واستكبر ، وكان من الكافرين » (٢٦) .

- « واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم اجمعون . الا ابليس ابى أن يكون مع الساجدين . قال يا إبليس ما لك الا تكون مع الساجدين ؟ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون . قال فاخرج منها فإنك رجيم . وان عليك اللعنة الى يوم الدين » (٢٧) .

ثم ننتقل الى الفصل الثالث من فصول الملحمة ، وهو - على النقيض مما يراه الفكر الدينى اليهودى والفكر الدينى المسيحى - توبة الله على آدم ، وهبوطه الى الأرض ، لتبدأ - فيها - ملحمة صراع الانسان مع الشيطان الى يوم تقوم الساعة ، على نحو ما نرى فى قول الله سبحانه :

- « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغدا حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها، فاخرجهما مما كانا فيه، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ،

---

(٢٥) قرآن كريم : **سورة البقرة - ٢** : الآية ٣٠ .
(٢٦) قرآنكريم : **سورة البقرة - ٢** : الآية ٣٤ .
(٢٧) قرآن كريم : **سورة الحجر - ١٥** : الآيات ٢٨ - ٣٥ .

إنه هو التواب الرحيم • قلنا اهبطوا منها جميعـا ، فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحـزنون • والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (٢٨) •

ولقد كان من (المؤهلات) التى أهل بها الله سبحانه عبـده آدم ليكون (خليفة) له فى الأرض - كما يحدثنـا عنهـا القرآن الكريم - عقله ، وما زوده به من علم ومعرفة لم يتـاحا حتى للمـلائكة ، حيث يقول سبحانه :

- « وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين • قالـوا سبحـانك ، لا عـلم لنا الا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم » (٢٩) •

ويرى العلامة ابن كثير - فى شرحه للآية - أن « هذا مقـام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة ، بما اختصه من علم أسـماء كل شىء دونهـم » ، « ليبين لهـم شرف آدم ، بمـا فضـل عليهم فى العلم » (٣٠) ، كما يرى شيخ الاسلام ابن تيمية ، أن الملائكة لا تحتاج الى هذا العلم ، لأنمقرها هو السماء ، وانما الانسان هو الذى « يحتاج اليها ، بوصفه خليفة فى الأرض ، لا فى السماء » (٣١) •

وعلى النقيض مما يراه الفكر الدينى اليهـودى والمسيحى للدور الذى قام به ابليس فى قضية (هبوط) آدم الى الأرض ، وما يسـميه (بالخطيئة الأولى) ، التى نتجت عن (وسوسة) الشـيطان لآدم ، والتى ورثها بنوه وراثة الدم ، حيث « صار جميع نسل هذا الانسان الأول فاسـدا كفسـاده » (٣٢) ، وحيث أن « الخطيئة لم تقتصر على

---

(٢٨) قرآن كريم : **سورة البقرة - ٢** : الآيات ٣٥ - ٣٩ •

(٢٩) قرآن كريم : **سورة البقرة - ٢** : الآيتان ٣١ ، ٣٢ •

(٣٠) ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم ، للامام الجليل ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء ، اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤هـ** - الجزء الأول - ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م ، ص ٧٢ ، ٧٣ •

(٣١) شيخ الاسـلام ابن تيمية : **الايمان** - صححه وعـلق عليـه الدكتور محمد خليل هراس - دار الطباعة المحمدية بالأزهر - القاهرة، ص ٨٢ •

(٣٢) الإيغومانس ابراهيم لوقا : **المسيحية فى الاسلام** - الطبعة الأولى - مطبعة النيل المسيحية - القاهرة - يوليو ١٩٣٨ ، ص ١٥٨ •

الأبوين اللذين عصيا ، بل انها امتدت بحكم التناسل ، من ذات الدم الموبوء بالخطيئة ، الى البشرية كلها»(٣٣) - يرى المرحوم عباس محمود العقاد أن معرفة الانسان بالشيطان كانت « فاتحة خير » عليه وعلى بنيه ، « فقد كانت معرفة الشيطان فاتحة التمييز بين الخير والشر ، ولم يكن بين الخير والشر من تمييز قبل أن يعرف الشيطان ، بصفاته وأعماله ، وضروب قدرته ، وخفايا مقاصده ونياته » (٣٤) ٠

وهكذ يمكن أن يقال أن ما قام به ابليس فى قصة هبوط آدم ، كان فصلا من فصول قصة آدم ، والهبوط به الى الأرض ، التى خلق - فى الأصل - ليكون خليفة لله فيها ، على نحو ما نرى من مظاهر الآيات السابقة ، وهى قصة تمت كل فصولها بإرادة الله سبحانه ، لتأهيل الانسان للقيام بدوره المنوط به فى الأرض ، المتمشى مع فطرته التى فطره سبحانه عليها ، فقد « خلق الله هذا الانسان جسما كثيفا وروحا شفافا ، جسما يشده الى الأرض ، وروحا يتطلع الى السماء ، جسما له دوافعه وشهواته ، وروحا له آفاقه وتطلعاته ، جسما له مطالب أشبه بمطالب الحيوان، وروحا له أشواق كأشواق الملائكة » ، « وهذه الطبيعة المزدوجة ليست أمرا طارئا على الإنسان ولا ثانويا فيه ، بل هى فطرته التى فطره الله عليها ، وأهله بها للخلافة فى الأرض ، منذ خلق آدم خلقا يجمع بين قبضة الطين ونفخة الروح » (٣٥) ٠

ويلفت النظر - فى هذا المجال - أن الاسلام يأمر المؤمنين به وبنظامه بالاعتدال ، حيث « لا يجوز للمؤمن أن يبخس للجسد حقا ، ليوفى حقوق الروح ، ولا يجوز له أن يبخس للروح حقا ، ليوفى حقوق الجسد ، ولا يحمد منه الاسراف فى مرضاة هذا ولا مرضاة ذاك » (٣٦) ،

---

(٣٣) كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بالظاهر : **سر التجسد ، محاضرات وندوات للشباب الجامعى** - رقم (١٧) من مطبوعات مكتبة المحبة - مكتبة المحبة - القاهرة ، ص ٦ ٠

(٣٤) عباس محمود العقاد : **إبليس (بحث فى تاريخ الخير والشر ، وتمييز الانسان بينهما ، من مطلع التاريخ الى اليوم)** - الطبعة الخامسة - دار نهضة مصر ، للطبع والنشر - القاهرة - ١٩٧٤، ص ٣ ٠

(٣٥) الدكتور يوسف القرضاوى : **الإيمان والحياة** - الطبعة الثانية - مكتبة وهبة - القاهرة - ١٩٧٣ ، ص ٧٦ ، ٧٧ ٠

(٣٦) عباس محمود العقاد : **الانسان فى القرآن الكريم** (مرجع سابق) ، ص ٢٩ ٠

وهو أمر يحدث من تلقاء نفسه، اذا استقر فى قلب الانسان ايمان حقيقى بالله ، لأنه « حين تستقر العقيدة الاسلامية فى الضمير البشرى استقرارا حقيقيا ، فانها يستحيل عليها أن تبقى ساكنة » (٣٧) ، كما أن « الانتماء الى الاسلام يعنى — فى نهاية التحليل — الموافقة المبدئية على الدخول فى عمل مبرمج مرسوم » (٣٨) ، يتحقق به وجود الانسان المسلم والمجتمع المسلم على السواء ، ويتحقق به الاسلام كنظام حياة ، أو وجود (النظام الاسلامى) ، فى السياسة والاقتصاد والاجتماع ، وفى غيرها من مجالات حياة الفرد وحياة الجماعة على السواء .

والاسلام نظام حياة كامل متكامل ، يتعامل مع « الكائن البشرى، بجميع خصائصه ، وجميع طاقاته ، واستغلالها جميعا ، لتحقيق أهداف الدنيا » (٣٩) ، ومن ثم كان « الاسلام — وحده — هو الذى يجعل العبادة عملا ، والعمل عبادة ، والذى يربط النفس والجسم ، والسماء والأرض ، والدنيا والآخرة ، كلها فى نظام » (٤٠) ، ومن هنا تتجلى رحابة هذا النظام / الاسلامى ، حيث لا نجد العبادة فيه — كما هى فى غيره — وقتا محددا دون وقت ، وفى مكان معين دون مكان ، وانما هى — فيه — « تجربة حياة كاملة ، يتوازن فيها الأخذ والعطاء » (٤١) ، وتمتد « الى مساحات الحياة البشرية ، الظاهرة والخفية ، الخاصة والعامة ، الفردية والجماعية ، المادية

---

(٣٧) سيد قطب : **فى التاريخ ، فكرة ومنهاج** — الطبعة الثانية — دار الشروق — القاهرة — ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م ، ص ٢٣ .

(٣٨) الدكتور عماد الدين خليل : **حول اعادة تشكيل العقل المسلم** — كتاب الأمة ، سلسلة فصلية ، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية فى دولة قطر — الطبعة الثانية — رمضان ١٤٠٣هـ ، ص ٣١ ، ٣٢ .

(٣٩) محمد قطب : **منهج التربية الاسلامية** (مرجع سابق) ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٤٠) محمد قطب : **قبسات من الرسول** — الطبعة الثانية — دار الشروق — القاهرة ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٤١) د. عماد الدين خليل : « فى التفسير الاسلامى للتاريخ : المسألة الحضارية » — **المسلم المعاصر** — مجلة فصلية ، تعالج شؤون الحياة المعاصرة ، فى ضوء الشريعة الاسلامية — العدد التاسع (المحرم — صفر — ربيع الأول ١٣٩٧هـ — يناير — فبراير — مارس ١٩٧٧م) ، ص ١٩ .

والروحية ، تماما كما تمتد الدماء وتسرى فى أوصال الجسم البشرى وخلايـــاه » (٤٢) .

النظـام الاقتصـادى الاسـلامى :

من هذه (الرؤية) الاسلامية للحيـاة ، كما رأينـاها من قبل ، تنبع الرؤية الاسلامية للاقتصاد ، أو (النظام الاقتصادى) فى الاسلام، حيث لم تنقسم الحيـاة يومـــا فى حس المســـلم « الى (عبـادات) و (معـاملات) ، وانما هى عبادات مختلفة ، بعضها شعائر مفروضة، ذات أوقات محددة ، وبعضها معامـلات مفتوحة ، تشمل كل نشـــاط الانسان السـياسى والاقتصـــادى والاجتمـاعى والاخـلاقى والعـلمى والحضارى ، ولكنها كلها داخـلة فى دائرة العبـادة ، التى يذكر فيها اسم الله ، ويلتزم فيها بما أنزل الله » (٤٣) .

بل ان هذه الحياة الايمانية، أو العبادة ، تعيش مع الانسان المؤمن حيثما عاش ، فان « المؤمن يمارس ايمانه فى كل واقع بشرى » ، فهو « يمارس ايمانه مع المؤمن ،مع المنافق ، مع الـكافر .. انه يمـارس ايمانه مع كل الناس ، مع كل المجتمعات ، فى كل عصر وفى كل جيل وفى كل حال » (٤٤) ، مما يجمع له « الافادة ، فى العاجل والآجل »، ومما يحصل له « بـه خير الدارين ، وسعادة المحلين ، ان شـاء الله تعـالى » (٤٥) .

ويتفق الدارسون على أن قضية (كسب) أسباب الحياة تعتبر من القضايا الأولى التى شغلت المسلمين ، مثلما كانت تشغل المجتمع الذى

---

(٤٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٤٣) محمد قطب : **واقعنا المعـاصر** - الطبعة الأولى - مؤسسة المدينـة للصحـافة والطبـاعة والنشر - جدة - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ، ص ١٦٩ .

(٤٤) عدنان على رضا النحوى : **ملامـح الشورى فى الدعـوة الإسلامية** - الطبعة الثانية - مطابع الفرزدق التجـارية - الريـاض - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ص ٥٤٣ .

(٤٥) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمـن بن عمـر الوصـــابى الحبيشى ، المتوفى سنة ٧٨٢ : **البركة ، فى فضل السعى والحركة** - دار المعرفـة للطبـاعة والنشر والتـوزيع - بيروت - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص ٧١ .

نزل الاسلام فيه ، وهو مجتمع مكة ، فلقد « تميز المجتمع الأول الذى قام الاسلام فى وسطه ، بسيطرة الروح التجــارية عليه ، والنبى ﷺ شارك قبل البعثة بالأعمال التجارية » ، كما « أســهم المكيون فى عدد من الأعمال ذات الصلة المباشرة بالتجارة ، مثل بعض الأعمال الزراعية خارج مكة ، وبعض الأعمال الصناعية ، مثل دباغة الجلود » ، « وعلى هذا الأساس عاش الاسلام فى تاريخه المبكر تجربة اقتصادية شبه كاملة، فيها تجارة وزراعة وتربية مواشى وحيوانات ، وقام هذا الدين الحنيف بالتشريع لهذه الجوانب الاقتصادية » (٤٦) ٠

ويرى الامام الشيبانى (١٣٢ - ١٨٩ هـ = ٧٥٠ - ٨٠٤ م) أن « الاكتســاب فى عرف أهــل اللســان تحصــيل المــال ، بما يحــل من الأسباب » (٤٧) ، وأنه يعتبر فرضا من الفروض ، لأن « المرء باكتساب ما لا بد له منه ، ينال من الدرجة أعلاها ، وانما ينــال ذلك باقــامة الفريضة ، ولأنه لا يتوصل الى اقــامة الفرض الا به ، فيكون فرضــا ، بمنزلة الطهــارة لأداء الصــلاة » (٤٨) ، وهــذا هو - عنــده - معنى (الرزق) ، فلقد « أمرنا باكتساب السبب ، ليــاتينا ذلك الرزق عند الاكتساب » (٤٩) ، ومن ثم كان « المذهب عند جمهورالفقهاء ، رحمهم الله ، من أهل السنة والجمــاعة : أن الكسب بقدر مــا لابــد منــه ، فريضة » (٥٠) ، على عكس ما يراه « قوم من جهــال أهل التقشف ، وحماقى أهل التصوف » ، من أن « الكسب ينفى التوكل على الله ، أو ينقص منه » (٥١) ٠

وفى الوقت الذى يعتبر فيه (السعى) على كسب أسباب الحيــاة فى الفكر الدينى اليهودى / المسيحى ، عقــابا من الله ســبحانه لآدم - وبنيه من بعده - على (الخطيئة الأولى) التى وقع فيها آدم ، بأكــله

---

(٤٦) الامام محمد بن الحسن الشيبانى (تصنيف) : **الكسب** - تحقيق وتقديم الدكتور سهيل زكــار - الطبعــة الأولى - نشر وتوزيع عبد الهادى حرصــونى - دمشق - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ٥ ، ٦ (من المقدمــــة) ٠

(٤٧) المرجع السابق ، ص ٣٢ ٠

(٤٨) المرجع السابق ، ص ٣٣ ، ٣٤ ٠

(٤٩) المرجع السابق ، ص ٤٢ ٠

(٥٠) المرجع السابق ، ص ٤٤ ٠

(٥١) المرجع السابق ، ص ٣٧ ٠

من الشجرة التى أمره الله سبحانه بعدم الاقتراب منها ، على نحـو ما أشرنا من قبل (٥٢) ، فان هذا (السعى) ذاته يعتبر — فى الاسلام — الترجمـة الحيـة لاسـتخلاف الله للانسـان فى الأرض ، ومن ثم يعتبر (تشريفا) له ، على نحو ما سنرى عند الحديث عن (العـلم والعمل) فيما بعد ان شاء الله .

وفى قصة خلق آدم ، وأمر الله سـبحانه للملائكة بالسـجود له ، على نحو ما أشرنا اليها من قبل ، يرى الشـهيد سـيد قطب أن هذه القصة — بجوانبها المختلفة — هى هى قصة « المشيئة العليا ، تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد فى الوجود ، زمام هذه الأرض ، وتطلق فيها يده ، وتكل اليه ابراز مشيئة الخالق ، فى الابداع والتكوين ، والتحليل والتركيب ، والتحوير والتبديـل ، وكشف ما فى هذه الأرض من قـوى وطاقات ، وكنوز وخامات ، وتسخير هذا كله — بـاذن الله — فى المهمة الضخمة ، التى وكلها الله اليه .

واذن فقد وهب هذا الـكائن الجديد ، من الطـاقات الكامنـة ، والاستعدادات المذخورة ، كفاء ما فى هذه الأرض ، من قوى وطاقات، وكنـوز وخامـات ، ووهب من القوى الخفيـة ، مـا يحقق المشـيئة الالهيـة » (٥٣) .

كما يرى — يرحمه الله — فى تفسير معنى اسـتخلاف الله سـبحانه للمؤمنين به فى الأرض ، فى سورة (النور) (٥٤) مثـلا ، أن هذا

---

(٥٢) ونص ما ورد حول هذه (الخطيئة الأولى) فى التوراة — المحرفة بطبيعة الحال — منسوبا الى الله سبحانه :

— « وقال لآدم : لأنك سمعت لقول امرأتك ، وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا : لا تأكل منها ، ملعونـة الأرض بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيـام حياتك . وشوكا وحسكا تنبت لك ، وتأكل عشب الحقل . بعرق وجهك تأكل خبزا ... » .

(العهد القديم : **سفر التكوين** — ١ : الإصحـاح الثـانى : الآيات ١٦ — ١٩) .

(٥٣) سيد قطب : **فى ظلال القرآن** — المجلد الأول (الأجـزاء ١ — ٤) — الطبعـة الشرعيـة الرابعـة — دار الشروق — القـاهرة — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ، ص ٥٦ .

(٥٤) ونص الآية الكريمة :

— « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض ، كما اسـتخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى** =

« الايمان ، الذى يستغرق الانسان كله ، بخواطـر نفسـه ، وخلجات قلبه ، وأشواق روحه ، وميول فطرته ، وحركـات جسمه ، ولفتـات جوارحه ، وسلوكه مع ربه ، فى أهله ومع الناس جميعا ، يتوجه بهذا كله الى الله » ، وأن « ذلك الايمان منهج حياة كامل ، يتضمن كل ما أمر الله به ، ويدخل فيما أمر الله به ، توفير الأسـباب ، واعـداد العدة ، والأخذ بالوسائل ، والتهيؤ لحمل الأمانة الكبرى فى الأرض ٠٠ أمـانة الاستخلاف » (٥٥) ، وأن أمانة (الاستخلاف) تلك ، « ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم ٠٠ انما هى هذا كله ، على شرط استخدامه فى الإصلاح والتعمير والبنـاء » ٠ « ان الاسـتخلاف فى الأرض قدرة على تحقيق العدل والطمانينة ، لا على الظـلم والقهـر ، وقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظـام البشرى ، لا على الانحـدار بالفرد والجماعة ، الى مدارج الحيوان » (٥٦) ٠

ويتمشى الاستخلاف — بهذا المعنى — مع الفطـرة التى فطـر الله سبحانه الناس عليها ، ومع ما ركب فى النفس البشريـة من غرائـز وشهوات ، لا يتعدى دور الاسلام فيها « توجيهها وتهذيبها » ، « ولهذا يقر الاسلام ميل الانسان الى التملك ، وميله الى النسل ، وميـله الى الاطلاع والمعرفة ، وميله الى الاجتماع » ، « ومن هنـا لا يحرم عليه الملكية الفردية ، ولكنه فحسب لا يتركه يتحـكم عن طريق ما يملك فى اذلال غيره وامتهانه ، أو فى حرمـانه من حق الحياة » (٥٧) ، وهذا هو الأصل فى النظام الاقتصادى الاسلامى ٠

وأكثر من ذلك أن النظام الاسلامى يعمل على حماية هذه الملكية الفردية ، تشجيعا للناس على السعى والعمل وبـذل الجهـد ، وكسب المال من حلال ، ومحاربة للبطالة ، التى يعتبرها « أعـدى أعدائه ،

= **ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ، يعبدوننى لايشركون بى شـيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئـك هم الفـاسقون » (قرآن كريم : سورة النور — ٢٤ : الآية ٥٥) ٠**

(٥٥) سيد قطب : **فى ظلال القرآن** — المجـلد الرابع (الأجزاء ١٢ — ١٨) — الطبعـة الشرعيـة الرابعـة — دار الشروق — القـاهرة — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ، ص ٢٥٢٨ ، ٢٥٢٩ ٠

(٥٦) المرجع السابق ، ص ٢٥٢٩ ٠

(٥٧) الدكتور محمد البهى : **الاسلام فى حياة المسـلم** — الطبعة الخامسة — مكتبة وهبة — القاهرة — رجب ١٣٩٧هـ — يونية ١٩٧٧م — ص ٣٣٧ ٠

على أى لون ، وفى أى وضع ، وفى جميع الصور والأشكال » ، « ولو كان الأمر للاسلام ، لجند الجميع للعمل ، فان لم يجدوا فالدولة حاضرة ، وحق العمل كحق الطعام ، فالعمل زكاة للأرواح والأجسام ، وعبادة من عبادات الاسلام ، التى يجب أن تقيمها الدولة ، وتهيىء لها السبل » (٥٨) ٠

الملكية العامة فى الاسلام :

ليس معنى أن الاسلام يقدر العمل والسعى وبذل الجهد ، ويعمل على حماية الملكية الفردية ، أنه رأسمالى النزعة ، فالاسلام بعيد عن الرأسمالية ، بعُده عن الاشتراكية / الشيوعية ، فان « الاسلام لم يجىء ليخدم غرائز الانسان ، بتوفير ما ترنو اليه ، من مطعم وملبس وترف وشهوة ، لم يجىء الاسلام ليعلم الانسان : كيف يعيش حيوانا ، انما جاء ليزكى غرائزه ، ويطور حيوانيته ، أو جاء ليخرجه من ظلمة تلك الحيوانية البحتة : ظلمة تفكيرها وشهوتها وغايتها ، والعيش فى قيمها ، الى نور معرفة الله عز وجل ، وما يكشف ذلك النور لبصائر المرء من قيم وحقائق وغايات ومثل عليا » (٥٩) ، ومن ثم فهو « لم يهمل خطر النزعات الفردية فى الفساد والافساد ، حين يطلق لها العنان بلا ضابط ، بل نبه الى ذلك فى آيات القرآن الكثيرة ، وجعلها علامة انحراف عن سمت الغاية التى خلق لها الانسان ، وهى عبادة الله عز وجل » (٦٠) - وهو بذلك على النقيض تماما مما تنطلق منه الرأسمالية وتقوم عليه ٠

ومثلما يتناقض النظام الاقتصادى الاسلامى مع الرأسمالية ومنطلقاتها ، فانه يتناقض مع الاشتراكية / الشيوعية ومنطلقاتها ، ولذلك « يخطىء من يتصور الاسلام رأسماليا ، ويخطىء من يتصور الاسلام شيوعيا ، ويخطىء من يتصور الاسلام وسطا حسابيا بين النظامين ، أو تلفيقا بينهما » (٦١) ، فهو « منهج عملى واقعى ،

---

(٥٨) سيد قطب : **معركة الإسلام والرأسمالية** - الطبعة الخامسة - دار الشروق - القاهرة - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، ص ٥١ ، ٥٢ ٠

(٥٩) البهى الخولى : **الاشتراكية فى المجتمع الاسلامى ، بين النظرية والتطبيق** - مكتبة وهبة - القاهرة ، ص ١٥٥ ٠

(٦٠) المرجع السابق ، ص ١١١ ٠

(٦١) مصطفى محمود : **الماركسية والاسلام** - دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٧٥ ، ص ٧٢ ٠

يقيم المجتمع على العقيدة والخلق ، ويحرسه بالتشريع والنظام ، ويحول بينه وبين الانحراف والفساد ، باقامة جماعة واعية ، تدعو الى الخير ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر » (٦٢) .

والأصل فى النظام الاقتصادى الاسلامى - رغم حمايته للملكية الفردية - أن المال مال الله ، وأن الانسان مستخلف فيه ، « فالمال ليس ملكا للأفراد ، كما هو الحال فى الرأسمالية ، كما أنه ليس ملكا للدولة ، كما هو الحال فى الاشتراكية ، ولكنه ملك لله سبحانه ، شانه فى ذلك شأن كل موجود فى المجتمع ، من أناس وأشياء وشأن كل موجود فى هذه الحياة .

ولا تعنى ملكية الله سبحانه للمال ، أو لرأس المال ، أن هذا المال شىء (مشاع) ، لا علاقة له بالأفراد ، أو بالدولة ، وانما هو يعنى أن من يملكه ، لا يملكه بشخصه ، وانما هو (مستخلف) فيه عن الله سبحانه ، شأن المال فى ذلك شأن كل شىء (يملكه) الانسان ، بلغتنا نحن ، بما فى ذلك جسده وأسرته » (٦٣) .

ومعنى أن الانسان - فى الاسلام - مستخلف فى المال ، أن الانسان المسلم (مقيد) فى تصرفه فيه بما أمر الله به ، سواء فى الحصول عليه وفى انفاقه على السواء ، والأساس فى الحصول عليه - كما سبق - هو (العمل) ، بالمعنى الواسع لهذا العمل ، حيث يبدأ الاسلام « بتقرير حق كل فرد فى المجتمع المسلم ، فى دار الاسلام ، فى الحياة ، وحقه فى كل الوسائل الضرورية لحفظ الحياة » ، « والاسلام كذلك يتشدد فى وسائل جمع المال ، فلا تقوم الملكية الفردية فيه الا من حلال ، ومن ثم لا تثير الملكية الفردية فى المجتمع المسلم أحقاد الذين لا يملكون ، ولا تثير أطماعهم فى سلب ما فى أيدى الآخرين ، وخاصة أن النظام يكفل لهم الكفاية ، ولا يدعهم محرومين .

والاسلام يربى ضمائر الناس وأخلاقهم ، فيجعل تفكيرهم يتجه الى العمل ، والكسب عن طريقه ، لا الى السرقة ، والكسب عن

---

(٦٢) محمد شديد : **منهج القرآن فى التربية** - مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، القاهرة ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٦٣) دكتور عبد الغنى عبود : **ديناميات المجتمع الاسلامى** (مرجع سابق) ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

طريقها ، فاذا لم يوجد العمل ، أو لم يكف لتوفير ضرورياتهم ، أعطاهم حقهم بالوسائل النظيفة الكريمة .

واذن فلماذا يسرق السارق فى ظل هذا النظام ؟ انه لا يسرق لسد حاجته ، وانما يسرق للطمع فى الثراء ، من غير طريق العمل ، والثراء لا يطلب من هذا الوجه ، الذى يروع الجماعة المسلمة فى دار الاسلام ، ويحرمها الطمأنينة التى من حقها أن تستمتع بها ، ويحرم أصحاب المال الحلال أن يطمئنوا على مالهم الحلال » (٦٤) .

وفى الوقت الذى يأمر فيه الاسلام بقطع يد السارق (٦٥) ، حتى يحافظ على حق العاملين الكادحين ، و « يحافظ على نفوسهم وأموالهم وأعراضهم » (٦٦) ، فانه يأمر أمرا بإعطاء هذا المال - فرضا - لفئات بعينها من المجتمع تستحقه ، ويعتبر حق هذه الفئات هو هو حق الله سبحانه فى هذا المال ، على نحو ما نرى فى مثل قوله سبحانه :

- **« إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » (٦٧) .**

ومن ثم « فهذه الصدقات - أى الزكاة - تؤخذ من الأغنياء ، فريضة من الله ، وترد على الفقراء ، فريضة من الله ، وهى محصورة فى طوائف من الناس ، يعينهم القرآن ، وليست متروكة لاختيار أحد ، حتى ولا اختيار الرسول » .

« وبذلك تأخذ الزكاة مكانها فى شريعة الله ، ومكانها فى النظام الاسلامى » . « انها احدى فرائض الاسلام ، تجمعها الدولة المسلمة

---

(٦٤) سيد قطب : **فى ظلال القرآن** - المجلد الثانى (الأجزاء ٥-٧) - الطبعة الشرعية الرابعة - دار الشروق - القاهرة - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، ص ٨٨٢ ، ٨٨٣ .

(٦٥) وهذا الأمر بقطع يدالسارق ، نراه فى مثل قوله سبحانه:
- **« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ، جزاء بما كسبا ، نكالا من الله ، والله عزيز حكيم » (قرآن كريم : سورة المائدة - ٥ : الآية ٣٨).**
وحولها دار تفسير الشهيد سيد قطب ، فى المرجع السابق .

(٦٦) أبو الأعلى المودودى : **تدوين الدستور الاسلامى** - الطبعة الثانية - دار الفكر - دمشق ، ص ٧٢ .

(٦٧) قرآن كريم : **سورة التوبة - ٩ : الآية ٦٠ .**

بنظام معين ، لتؤدى بها خدمة اجتماعية محددة ، وهى ليست احسانا من المعطى ، وليست شحاذة من الآخذ ٠٠ كلا ، فما قام النظام الاجتماعى فى الاسلام على التسول ، ولن يقوم ٠

ان قوام الحياة فى النظام الاسلامى هو العمل - بكل صنوفه وألوانه - وعلى الدولة المسلمة أن توفر العمل لكل قادر عليه ، وأن تمكنه منه ، بالاعداد له ، وبتوفير وسائله ، وبضمان الجزاء الأوفى عليه ، وليس للقادرين على العمل من حق فى الزكاة » (٦٨) ٠

وهكذا لا تكون الزكاة « صدقة منثورة ، كما توهم بعض الناس ، وليس فيها اذلال للفقير ، وليست همجية ، كما ادعى البعض ، انما هى الضريبة الاجتماعية ، ان صح لنا أن نعبر عن هذه الفريضة الدينية بهذا التعبير » (٦٩) ٠

وهكذا لا تغيب الجماعة المسلمة عن الانسان المسلم لحظة ، فيما يمارسه من نشاط اقتصادى ، ومن ثم فليست الحرية الفردية المكفولة له فى هذا النشاط حرية سائبة ، وانما هى حرية مقيدة ، يقيدها ضميره الواعى، وخوفه من يوم الحساب، فان غفل هذا الضمير عن أداء واجبه الدينى، كان على الجماعة أن توقظ هذا الضمير وتنبهه ، مما يحد تماما من غلواء الملكية الفردية ، ومن شرورها وويلاتها ، على نحو ما نلاحظ من أمر هذه الملكية الفردية ، فى غير النظام الاسلامى ٠

الاسلام والملكية الفردية :

يرى الشهيد سيد قطب ، أنه « من الرق الرومانى الشهير ، الى الاقطاع ، الى الرأسمالية ، الى الماركسية والنازية ٠٠ غلو فى طرف ، يعالجه غلو آخر ، لطبقة أخرى ٠٠ وظلم لطبقة ، يعالجه ظلم آخر ، لطبقة أخرى ٠٠ واعتداء على (الانسان) وخصائصه الأساسية فى نظام ، يعالجه اعتداء على (الانسان) وخصائصه الأساسية فى النظام الآخر ٠٠ ولا يعتدل الميزان مرة واحدة بالعدل بين الطبقات كلها ، والتناسق بين طاقات الانسان كلها ، واتاحة المجال (للفردية) التى يتميز بها كل فرد ، مع رعاية حق (الجماعة) ،

---

(٦٨) سيد قطب : **فى ظلال القرآن** - المجلد الثالث (الأجزاء ٨ - ١١) - الطبعة الشرعية الرابعة - دار الشروق - القاهرة - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، ص ١٦٦٨ ٠

(٦٩) الامام محمد أبو زهرة : **فى المجتمع الاسلامى** - دار الفكر العربى - القاهرة ، ص ٨٦ ٠

الممثلة لخصائص الأفراد جميعا ، فى تناسق واعتدال ٠٠ الأمر الذى لا يتوافر الا فى منهج الله ٠٠ » (٧٠) ٠

وقد رأينا فيما سبق ، أن الاسلام يقيم حياة المسلم على العمل ، وأنه « يمنح العمل قداسة ، ترفعه وترفع العمال » (٧١) ، وأنه « فضله على الانقطاع للعبادة » (٧٢) - وحين يقيم الاسلام حياة المسلم على هذا الأساس، فانه انما يقيمها عليه استجابة لأمرين ، كلاهما فطرى فى الانسان ، ركبه الله سبحانه فيه ، أولهما هو ما ركبه الله فى الانسان من قابلية لأن يكون مستخلفا ، وفى أن يعمل ويبنى ويعمر بالتالى ، وفى أن يكون - بالفعل - (راعيا ، ومسئولا عن رعيته) ، على حد تعبير الحديث الشريف (٧٣) ، وثانيهما هو ما ركبه سبحانه فيه من رغبة فى التملك ، فإن « الإسلام يعد العمل هو السبب الوحيد للملكية والكسب » ، « وكذلك يحدد الاسلام لتنمية المال طرقا معينة ، ولا يقر أى نمو يخرج عن حدود الوسائل المشروعة فيه هذه الوسائل ، لا يدخل فيها الربا - كما تقدم - ولا المقامرة ولا الغش ولا الاحتكار ولا الربح الفاحش » (٧٤) مما يحد - كما سبق - من

---

(٧٠) سيد قطب : **الاسلام ومشكلات الحضارة** - دار الشروق - القاهرة ، ص ٩٣ ٠

(٧١) سيد قطب : **السلام العالمى والاسلام** (مرجع سابق) ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ ٠

(٧٢) عبد الرحمن عزام : **الرسالة الخالدة** - الطبعة الأولى - مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، ص ٥٠ ٠

(٧٣) ونص الحديث - كما أورده البخارى - هو :

- « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل فى أهله راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راعية ، وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم فى مال سيده راع، وهو مسئول عن رعيته » ٠

- البخارى (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى) : **صحيح البخارى** - الجزء الثالث - كتاب الشعب - دار ومطابع الشعب - القاهرة - ١٣٧٩/٧٨هـ، ص ١٩٧ (كتاب فى العتق) ٠

(٧٤) سيد قطب : **معركة الاسلام والراسمالية** (مرجع سابق) ، ص ٤٠ ٠

غلواء الاندفاع وراء المال وتملكه ، حتى يصير الانسان - فى النهاية - عبدا له ، فالمسلم مطالب بأن يملك الدنيا كلها لو استطاع ، ليخدم بها دينه ، على ألا تملكه هذه الدنيا وتسيطر عليه ، فتنسيه ربه ٠

واذا كان الله سبحانه يأمرنا بالصدقة ، فى مثل قوله سبحانه :

- « يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ٠٠ » (٧٥) ٠

فان مثل هذا الأمر يستدعى السعى لتحقيق الكسب ، « لأنه لا يتصور الانفاق من المكسوب الا بعد الكسب ، وما لا يُتوصل الى اقامة العبادة الا به، ولا يتوصل الى اقامة الفرض الا به، يكون فرضا» (٧٦)، على حد تعبير الامام الشيبانى ، « فان فى الكسب نظام العالم ، والله تعالى حكم ببقاء العالم الى حين فنائها ، وجعل سبب البقاء والنظام كسب العباد ، وفى تركه تخريب نظامه ، وذلك ممنوع منه » (٧٧) ، مما جعل بعض العلماء يرون أن الاشتغال بالكسب أفضل من التفرغ للعبادة ، وذلك على أساس أن « منفعة الاكتساب أعم ، فان ما اكتسبه الزارع تصل منفعته الى الجماعة عادة ، والذى يشتغل بالعبادة انما ينفع نفسه » ، « وما كان أعم نفعا فهو أفضل » (٧٨) ٠

بل ان ثمة من يرى أن الانقطاع للعبادة ضرب من الأنانية ، هو فى حد ذاته رذيلة ، فان « الزاهد يحسب أنه قد فر من الرذائل الى فضائله ، ولكن فراره من مجاهدة الرذيلة هو فى نفسه رذيلة لكل فضائله ، وماذا تكون العفة والأمانة والصدق والوفاء والبر والاحسان وغيرها ، اذا كانت فيمن انقطع فى صحراء ، أو على رأس جبل ؟ » (٧٩) - على حد تعبير المرحوم مصطفى صادق الرافعى ٠

ويرى الدلجى أن « التوكل فى اللغة عبارة عن اظهار العجز ، والاعتماد على الغير ، وخُص بما يكون الاعتماد فيه على الله تعالى ، وفى الاصطلاح عبارة عن دوام حسن ملاحظة القضاء والقدر فى جميع

---

(٧٥) قرآن كريم : سورة البقرة - ٢ : الآية ٢٦٧ ٠

(٧٦) الامام محمد بن الحسن الشيبانى (تصنيف) : الكسب (مرجع سابق) ، ص ٤٦ ٠

(٧٧) المرجع السابق ، ص ٤٧ ٠

(٧٨) المرجع السابق ، ص ٤٨ ٠

(٧٩) مصطفى صادق الرافعى : وحى القلم - الجزء الثانى - الطبعة السابعة - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ، ص ٩٧ ٠

الحوادث ، دون اقتصار النظر على الاسباب الطبيعية ، ودوام حسن الملاحظة يجامع التعلق بالاسباب ولا ينافيها » (٨٠) ، مما يؤكد أن العمل والسعى – كالاخذ بالاسباب – كلها أمور تساير الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، تحقيقا للكسب ، وسيرا فى طريق تحصيل أسباب الحياة ، وهى أمور تتفق مع أحاديث الرسول ﷺ ، ومنها قوله :

– « من زرع زرعا أو غرس غرسا ، فاكل منه انسان أو سبع أو طائر ، فهو له صدقة » (٨١) .

– « اطلبوا الرزق فى أخبايا الأرض » (٨٢) .

وليس معنى انفاق المسلم المال الذي حصل عليه من حلال ، بعرقه وكده ، أن هذا المسلم لا يعنيه أمر هذا المال الذي حصل عليه ، فقد سبق الحديث عن قطع يد السارق ، الذي يبيح لنفسه استلاب عرق الكادحين الشرفاء ، حماية لهذه الملكية الفردية ، كما أن المسلم ذاته مطالب – اسلاميا – بأن يذود عما يملك ، وهو شهيد ان هو مات فى سبيل الدفاع عنه ، أو على حد تعبير الرسول ﷺ :

– « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ،

---

(٨٠) شهاب الدين أحمد بن على الدلجى : **الفلاكة والمفلوكون** – مكتبة الأندلس – بغداد – ١٣٨٥ هجرية ، ص ١٢ .

(٨١) رواه مسلم من طرق كثيرة عن الأعمش ، ورواه البخاري من حديث انس بمعناه .. عن أبى سفيان عن جابر عن رسول الله ﷺ – ارجع الى :

– القرشى (يحيى بن آدم القرشى ، المتوفى سنة ٣٠٣هـ) : **كتاب الخراج** – صححه وشرحه ووضع فهارسه أبو الأشبال أحمد محمد شاكر – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، ص ٨٢ .

(٨٢) عن عائشة رضى الله عنها ، أخرجه أبو يعلى والطبرانى فى الكبير ، والبيهقى فى شعب الايمان – ارجع الى :

– العماد مصطفى طلاس : **المصطفى ، من أحاديث المصطفى** – الطبعة الخامسة – دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر – دمشق – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، ص ٧٢٣ .

ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » (٨٣) .

العـلم والعمل فى الاسـلام :

يستهل الحبيشى كتابه (البركة ، فى فضل السعى والحركة) ، بالباب الأول ، الذى يجعله (فى فضل الحـرف والزرع وتوابعـه) ، ويستهله بقوله : « قال النبى ﷺ : (ان الله يحب المؤمن المحترف) ، قال ﷺ : (علّم الله تعالى آدم عليه السلام ألف حرفـة من الحرف ، وقال له : قل لولدك وذريتك ان لم يصبروا فليطلبوا الدنيا بهذه الحرف، ولا يطلبوها بالدين ، فـان الدين لى وحـدى خالصـا ، ويل لمن طلب الدنيا بالدين ، ويل له) . وقال ﷺ : (اصلحوا دنياكم ، واعمـلوا لآخرتكم) .

وقد كان لكل واحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حرفة يعيش بها ، فكان آدم حراثا وحائكـا ، وكانت حـواء غزالة ، وكان ادريس خياطا وخطاطا ، وكان نوح وزكريا نجارين ، وهود وصالح تاجرين ، وكان ابراهيم زرّاعـا ، وكان داود زرّادا ، وكان سليمان خوّاصـا ، وكان موسى وشعيب ومحمد ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام رعـاة ، وكان نبينا ﷺ أيضا فى بيته فى مهنـة أهـله ، يفلى ثوبـه ، ويحلب شاته ، ويرقع الثوب ، ويخصف النعـل ، ويخـدم نفسه ، ويقـم بيته . ويعقل بعيره ، ويعلف ناضحه ، وياكل مع الخادم ، ويقول : (أكلك مع أهلك صدقة) ، ويطحـن معها اذا أعيت ، ويعجن معها ، وكان يقطع اللحم معهن ، ويحمل بضاعته من السوق ، وكان يسم الغنم وابل الصدقة ، وكوى سعداً واسعد وغيرهمـا ، ونحر فى حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة بيده ، ونحـر عن نسائه بقرا ، وكان ينقل التـراب يوم الخندق ، حتى اغبّر بطنه .. » (٨٤) .

وهكـذا يكـون العمل الشريف هو أسـاس العمران البشرى ، منذ كانت الحياة البشرية على الأرض ، وكان هو (الفطرة) التى فطر الله الناس عليها ، ليستقيم أمر هذه الحياة ، حيث « يتم الاكتساب بالكد والتعب ، وهنا تاتى منـافع الكسب عامة وضروريـة ، فالزارع يكتسب لنفسه ، ولكنه يفيد بانتاجه الجماعة ، والصـانع يفعل نفس الشىء ،

---

(٨٣) عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنه ـ أخرجه الترمذى وأبو داود والنسائى ـ ارجع الى :

ـ العماد مصطفى طلاس (المرجع السابق) ، ص ٢٥١ .

(٨٤) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمـن بن عمـر الوصـابى الحبيشى (مرجع سابق) ، ص ٦ .

ولا يمكن أداء العبادات بدون كسب ، فالصلاة مثلا تقتضى الوضوء ، والمتوضىء يحتاج الى الماء ، والماء لابد له من وعاء يوضع به ، كما أن المصلى يحتاج الى الثوب ، لأنه لا يمكن أداء الصلاة عاريا ، وعلى هذا كان العمل للكسب فرضا ، (لأن ما لا يتأتى اقامة الفرض الا به، يكون فرضا فى نفسه » (٨٥) .

ورغم أن الحبيشى يرى - معتمدا فيما يراه على القرآن الكريم والحديث الشريف - أن « دلائل فضل الزراعة أكثر من أن تحصر ، واشهر من أن تذكر ، وارتفاعها على سائر الحرف لا ينكر » (٨٦) ، فان الأساس - فى الاسلام - هو أن كل عمل الانسان الشريف ، الذى يتحقق به صالح الفرد والجماعة ، عبادة ، على نحو ما يوضح لنا القرآن الكريم فى مثل قول الله سبحانه :

- « أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » (٨٧) .

وفى الآية الكريمة ، نجد أن الكل « (مسخر) لخدمة الكل ، أراد أم لم يرد ، فالطبيب مسخر لخدمة المريض ، والمدرس مسخر لخدمة تلاميذه ، ورئيس الدولة مسخر لخدمة شعبه ، والأب مسخر لرعاية أولاده ، وهلم جرا .

ويكون التفاضل بين الناس قائما لا محالة ، الا أنه تفاضل لا تحدده (سلطة) توضع فى اليد ، ، أو (دخل) يصب فى الجيب ، أو ما الى ذلك من مقاييس (التفاضل) بين الناس ، وانما يحدده (اتقان) العمل ، وابتغاء وجه الله به ، طلبا لرحمة الله (ورحمة ربك خير مما يجمعون) » (٨٨) .

---

(٨٥) الامام محمد بن الحسن الشيبانى (تصنيف) : **الكسب** (مرجع سابق) ، ص ١٩ .

(٨٦) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابى الحبيشى (مرجع سابق) ، ص ١٠ .

(٨٧) قرآن كريم : **سورة الزخرف** - ٤٣ : الآية ٣٢ .

(٨٨) دكتور عبد الغنى عبود : **قضية الحرية ، وقضايا أخرى** - الكتاب السابع من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - القاهرة - يناير ١٩٧٩ ، ص ٧٦ .

ويرى الزمخشرى أن الله سبحانه أراد أن يبين للكفار أنهم عاجزون عن تدبير أمور حياتهم الخاصة ، « وما يصلحهم فى دنياهم ، وأن الله عز وعلا هو الذى قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر أحوالهم ، تدبير العالم بها ، فلم يسو بينهم ، ولكن فاوت بينهم فى أسباب العيش ، وغاير بين منازلهم ، فجعل منهم أقوياء وضعفاء ، واغنياء ومحاويج ، وموالى وخدما ، ليصرف بعضهم بعضا فى حوائجهم ، ويستخدموهم فى مهنهم ، ويتسخروهم فى أشغالهم ، حتى يتعايشوا ويترافدوا ، ويصلوا الى منافعهم ، ويحصلوا على مرافقهم ، ولو وكلهم الى انفسهم ، وولاهم تدبير أمرهم ، لضاعوا وهلكوا ، واذا كانوا فى تدبير أمور المعيشة الدنية فى الحياة الدنيا على هذه الصفة ، فما ظنك بهم فى تدبير أمور الدين ، الذى هو رحمة الله الكبرى ، ورأفته العظمى ، وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة ، والسلم الى حلول دار السلام » (٨٩) .

واذا كان الاسلام قد شرف العمل ، كل العمل الشريف - تشريفا ، « وحتى رعى الغنم مقابل اجر ، يعتبر عملا شريفا ، زاوله النبى ﷺ » (٩٠) ، واعتبره جهادا فى سبيل الله ، اذا كان سعيا على عيال أو زوجة أو أبوين كبيرين ، أو ليقى الإنسان نفسه شر الحاجة ، أو ليتصدق على الفقراء والمحتاجين (٩١) ، فان باب العمل واسع ، يشمل - عند الشيبانى - « أربعة أصناف من العمل ، هى : الاجارة والتجارة والزراعة والصناعة » (٩٢) .

واذا كان الاسلام دين كل زمان ، مثلما هو دين كل مكان ، فان « حصر القيم الاسلامية وفاعليتها وعطائها الحضارى بفترة تاريخية معينة ، يتنافى أصلا مع خلودها ، كما يتعارض مع ختم الرسالة ،

---

(٨٩) الزمخشرى : الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل ، فى وجوه التأويل - الجزء الثالث (مرجع سابق) ، ص ٤٨٦ .

(٩٠) مولاى محمد على : الاسلام والنظام العالمى الجديد - ترجمة أحمد جودة السحار - الطبعة الثانية - لجنة النشر للجامعيين - مكتبة مصر - القاهرة ، ص ٦٠ .

(٩١) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابى الحبيشى (مرجع سابق) ، ص ٢٦ - ٣٠ .

(٩٢) الامام محمد بن الحسن الشيبانى (تصنيف) : الكسب (مرجع سابق) ، ص ١٩ .

فلابد اسلاميا اذن وباستمرار ، من النزول الى الساحة ، وتقديم الحل الاسلامى » (٩٣) ، مما يعنى أننا - فى عصر العلم الذى نعيشه اليوم - لا يمكن أن ننسى أهمية العلم ، ونحن نتحدث عن العمل ومفهومه وأصنافه ، بعد أن صار العلم اليوم (صناعة) من الصناعات ، تعتبر أخطر هذه الصناعات على الاطلاق ، ومن قديم نبهنا الامام ابو حنيفة النعمان رضى الله عنه الى أن « العمل تبع للعلم ، كما أن الأعضاء تبع للبصر » (٩٤) .

وفى الوقت الذى يرفع فيه الاسلام من شأن العمل الى مرتبة الجهاد فى سبيل الله ، كما سبق ، فانه يرفع العلم الى درجة أعلى ، حيث يجعل الرسول ﷺ « العلماء ورثة الأنبياء » (٩٥) ، كما يرى البعض أن (العلماء) هم (أولو الأمر) - شأنهم فى ذلك شأن الحكام - فى قول الله سبحانه :

- « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم .. » (٩٦) .

والذى يرى هذا الرأى هو ابن قيم الجوزية ، الذى يرى - فى تفسير الآية - أن « العلماء والأمراء ولاة الأمر الذى بعث الله به رسوله، فان العلماء ولاته حفظا وبيانا وذبا عنه ، وردا على من ألحد فيه وزاغ

---

(٩٣) الدكتور أكرم ضياء العمرى : **التراث والمعاصرة** - كتاب الأمة ، سلسلة فصلية ، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية فى دولة قطر - شعبان ١٤٠٥هـ ، ص ١٣ (من التقديم ، بقلم عمر عبيد حسنة) .

(٩٤) الامام الأعظم ، أبو حنيفة ، رضى الله عنه : **العالم والمتعلم** - تحقيق محمد رواس قلعجى ، وعبد الوهاب الهندى الندوى - رقم (٢) من (تراث الاسلام) - الطبعة الأولى - مكتبة الهدى بحلب - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، ص ٣٢ .

(٩٥) البخارى (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى) : **صحيح البخارى** - الجزء الأول- كتاب الشعب - دار ومطابع الشعب - القاهرة - ١٣٧٨/٧٩هـ ، ص ٢٦ (من كتاب العلم) .

(٩٦) قرآن كريم : **سورة النساء - ٤ : الآية ٥٩** .

عنه » ، « والأمراء ولاته قياما وعناية وجهادا ، والزاما للناس بـه » (٩٧) .

وقد وصل العلم الى هذه المنزلة التى وصل اليها فى الاسلام ، من كونه « أداة - ضرورية - من أدوات عمارة الأرض ، والسعى وراء الرزق ، والقيام بدور الخلافة فى الأرض ، ولذلك فهو مسخر لهذه الأهداف ، وليس هو هدفا فى حد ذاته .

ثم ان الانسان كله - كما أسلفنا - مخلوق للعبادة ، التى تشمل الاعتقاد فى وحدانية الله ، وتشمل الشعائر التعبدية ، وتشمل عمارة الأرض ، واقامة الحق والعدل فيها ، باتباع ما أنزل الله » (٩٨) .

واذا كان علم الدين ، أو « العلم الشرعى ، فريضة بديهية على كل مسلم ، ليعرف كيف يعبد الله العبادة الصحيحة ، ويعرف الحلال والحرام وما ينبغى الانتهاء عنه » (٩٩) ، فإن علم الدنيا ، الذى تستقيم به أحوال المسلمين ، مثل « الفيزياء والكيمياء والرياضيات والميكانيكا ، وعشرات غيرها من العلوم » (١٠٠) ، يجب أن تكون واردة فى الاعتبار ونحن نتحدث عن العلم ، فان « الدين لا يقف فى طريق البحوث الفنية والعلمية » ، فان « البحوث الفنية والعلمية لا تصدم الدين ولا تخدشه ، حينما تخلص فيها النية ، وتتجرد من الحذلقة والادعاء ، وان حرية الفكر لا تعد حتما مجافاة للدين ، كما يفهم بعض المقلدين فى التحرر ، حين يرون الجفوة بين الدين والفن والعلم فى أوربا ، لظروف تاريخية خاصة بالقوم هناك ، فينقلونه نقلا الى العالم الاسلامى ، الذى لم تقع الجفوة بين الدين والعلم والفن فيه ، فى يوم من أيام التاريخ » (١٠١) .

---

(٩٧) الامام شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية : **الرسالة التبوكية** - الطبعة الثالثة - نشرها قصى محب الدين الخطيب - مطبوعات المطبعة السلفية - القاهرة - ١٣٩٦هـ ، ص ٤٠ ، ٤١ .

(٩٨) محمد قطب : **واقعنا المعاصر** (مرجع سابق) ، ص ٩٢ .

(٩٩) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(١٠٠) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(١٠١) سيد قطب : **التصوير الفنى فى القرآن** - دار الشروق - القاهرة ، ص ٢٠٣ .

وأكثر من ذلك ، أن الاسلام يأمرنا بأن « لا ينعزل المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات ، بل يستطيع أن يقتبس منها وينتفع بما لديها من معارف وخبرات ومهارات لا تضر بكيانه المادى والمعنوى » ، فى الوقت الذى يأمرنا فيه بالرفض « للعقائد والمبادىء والأفكار والقيم والشعارات التى تقوم عليها المجتمعات الأخرى غير المسلمة وتميزها » (١٠٢) .

المردود الاقتصادى للزكاة :

مثلما تعد (الخطيئة الأولى) هى (المفتاح) الذى يصعب فهم المسيحية المحرفة بدونه ، فانه يصعب فهم الاسلام بدون فهم معنى (الاستخلاف) فيه ، وتقوم فكرة (الاستخلاف) تلك - كما سبق فى أكثر من موضع - على أساس أن الله سبحانه استخلف الانسان فى الأرض يوم خلقه ، وعلى أن « الله خلق الكون ، وسخر كل ما فيه للانسان ، أى لمطلق الانسان ، مؤمنا وكافرا » ، حيث « يتميز المؤمن بأن عقله وقلبه دائما مع الله ، الذى خلق له كل هذه النعمة » (١٠٣) ، وعلى أن « تكفل الله برزق عباده ، انما هو فى ايداعه موارد الرزق فى الكون ، وأسباب كسبه فى الانسان ، وفى تنظيمه لتوزيع هذه الأرزاق عن طريق الأديان والشرائع ، وعلى الانسان الافادة من نعم الله المادية والروحية ، لاحسان كسب هذه الأرزاق ، واحسان تداولها واقتسامها » (١٠٤) .

كما رأينا فيما سبق أن الأساس الذى يقوم عليه النظام الاقتصادى فى الاسلام هو (السعى) ، تعميرا للأرض ، وتحقيقا لاستخلاف

---

(١٠٢) الدكتور يوسف القرضاوى : **الخصائص العامة للاسلام** - الطبعة الأولى - مكتبة وهبة - القاهرة - رمضان ١٣٩٧هـ - أغسطس ١٩٧٧م ، ص ٢٢٨ .

(١٠٣) محمد متولي الشعراوى : **الأعمال الكاملة لفضيلة الشيخ الامام محمد متولى الشعراوى - الجزء الثانى (من فيض الرحمن فى تربية الانسان)** - اعداد منير عامر - الكتاب الذهبى - كتاب دورى ، يصدر شهريا عن مؤسسة روز اليوسف - القاهرة - ١٩٨١ ، ص ١٦٨ .

(١٠٤) ميرزا محمد حسين : **الاسلام وتوازن المجتمع** - ترجمة فتحى عثمان - رقم (٣٥) من (سلسلة الثقافة الاسلامية) - دار الثقافة العربية للطباعة - بيروت - ذو القعدة ١٣٨١هـ - مايو ١٩٦٢م ، ص ١٦ (من الهامش للمترجم) .

الانسان فيها ، « فمن كانت حركـاته فى طلب الرزق على ما وصفنا ، من اقـامة الحق ، والوقوف على تجاوز الحدود ، وتصحيح الورع فى المتجر ، وفى الصناعات ، وفى كل المضطرب فيه ، كان لله جل وعز بذلك مطيعا » ، « ومن خالف شيئا مما وصفنا ، لتعدى فى الحركة ، وتخلف عما يجب عليه من الصدق ، وكان بذلك مذموما ، قد نقص بذلك توكله ، ولم يـؤد فرضـه » (١٠٥) ، ومن ثم فـانه « ليس من شرط التوكل ترك الأسباب واطراحهـا ، واهمـال الكسب بالبدن ، والتدبير بالقلب » (١٠٦) ، مما يدل على أن « الدنيا ليست مكروهـة لعينها ، والا لأمرهم ﷺ بالانسـلاخ من امـوالهم » (١٠٧) ، على حـد تعبير الدلجى ، ولكن المهم عنده - كما سبق - هو أن يكون « وجود المال فى اليدين ، لا فى القلب ، ودخـول الدنيا على العبد وهو خارج عنها ، لا ينافى الزهد ، فان ترك المال واظهار الخشونة ، سهل على من أحب المدح » (١٠٨) .

ومعنى أن يكون المـال فى اليـدين هو أن ينفق ، لا أن يكتنز ، حيث « لا تنفع الأموال إلا بانفاقها » (١٠٩) ، على حد تعبير الخطيب البغدادى ، انطلاقا من منظور الاسلام ذاته الى (قضية المال) ، كما نراها - بكثرة - فى القرآن الكريـم ، وكما نراها كذلك فى الأحاديث النبوية الشريفة ، ومنها قوله ﷺ :

---

(١٠٥) الحارث بن أسد المحاسبى : المكاسب ، والورع والشبهة ، وبيان مباحها ومحظورها ، واختلاف النـاس فى طلبهـا ، والرد على الغالطين فيها - دراسـة وتحقيـق عبد القـادر احمـد عطـا - الطبعة الأولى - مؤسسـة الكتب الثقـافية - بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ٥١ .

(١٠٦) شهاب الدين أحمد بن على الداجى (مرجـع سابق) ، ص ١٤ .

(١٠٧) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(١٠٨) المرجع السابق ، ص ١٧ .

(١٠٩) الخطيب البغدادى : اقتضاء العلم العمل - تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى - الطبعة الرابعة - المكتب الاسلامى - بيروت - ١٣٩٧هـ ، ص ١٦ .

- « ما من يوم يصبح العباد فيه، الا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا » (١١٠) .

على أن الانفاق هنا ليس الانفاق على علاتيه ، وانما المقصود به هو ذلك الإنفاق فى كل ما شرعه الله سبحانه وحدده ، مما رأينـاه من قبل يدخل فى باب العبادة ، « فلا ينفع البذل والجـود ، اذا كان عن عصبية جاهلية ، ونزعة دنيوية » ، وهو « لا يفيد اذا لم يكـن سـعيا للآخرة ، وتحقيقا للإيمان ، واخلاصا لله سـبحانه وتعـالى ، وصـدقا فى النية » (١١١) .

ويعلو على درجة انفاق المال على ما هو واجب شرعا ، من أب وأم وزوجة وأطفال ، إنفاقه فى سبيل الله خارج هذه الأوجه ، على نحو مانرى فى « سير السلف الصالح » ، « على وجه الاقتداء برسول الله ﷺ ، فلقد كانوا رضى الله تعالى عنهم ، مكتسبين للمال به (أى بالتبتل) ، فيما أبيح لهم ، منفقين له حيث ندبوا ، لم يتعلق بقلوبهم منه شىء ، اذا عنّ لهم أمر أو نهى ، بل قدموا أمر الله ونهيه ، على حظوظ أنفسـهم العـاطلة ، على وجه لم يخل بحظوظهم فيه ، وهو التوسط » (١١٢) .

ولكن حكمة الله سبحانه أن يكون فى كل مجتمع من المجتمعات ، المؤمن والكافر على السواء ، القـادر على الكسب والعاجز عنه فى نفس الوقت ، وأن يكون فيه الموسـع عليـه فى الرزق والمضـيق عليه فيه ، وينطلق الاسلام - فى منظـوره الاقتصـادى - « من فكـرة التوفيق والمصالحة ، والتعاون والتـكامل ، وليس من فكـرة الصراع الطبقى

---

(١١٠) عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أخرجه البخارى ومسلم - ارجع الى :
- العماد مصطفى طلاس (مرجع سابق) ، ص ٣٣٩ .

(١١١) عدنان على رضا النحوى : **لقاء المؤمنين** - الجزء الثانى - الطبعة الأولى - مطابع الفرزدق التجـارية - الريـاض - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ص ٣٨ .

(١١٢) الشاطبى (العلامة المحقق الأصولى النظار ، الامام أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد ، اللخمى الشاطبى ، ثم الغرناطى ، رحمه الله تعالى) : **الاعتصام** - الجزء الثـانى - الطبعة الأولى - دار الكتب الحديثة - مطبعة المنـار بمصر - القـاهرة - ١٣٣٣ - ١٩١٤ ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

والتناقض » (١١٣) ، يؤيد ذلك ما يراه الشهيد سيد قطب - عند تفسيره لمصارف الزكاة ، كما وردت فى قوله سبحانه :

- « **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم** » (١١٤) .

ونقف معه - يرحمه الله - عند تفسيره لفئة الغارمين ، لنرى المراد ، حيث نراه يرى أن « (الغارمين) ، وهم المدينون فى غير معصية ، يعطون من الزكاة ، ليوفوا ديونهم ، بدلا من اعلان افلاسهم ، كما تصنع الحضارة المادية بالمدينين من التجار ، مهما تكن الأسباب . فالاسلام نظام تكافلى ، لا يسقط فيه الشريف ، ولا يضيع فيه الأمين ، ولا يأكل الناس بعضهم بعضا ، فى صورة قوانين نظامية ، كما يقع فى شرائع الأرض ، أو شرائع الغاب » (١١٥) .

واذا ما تركنا الزكاة المفروضة الى الصدقة الجارية ، وجدنا أبوابها كثيرة ، منها التيسير على المعسر ، على نحو ما نرى فى مثل قول الرسول ﷺ :

- « من يَسّر على مُعسر ، يسّر الله عليه فى الدنيا والآخرة » (١١٦) .

وهكذا ، « لم يجعل الاسلام الفقر سببا لازدراء صاحبه » (١١٧) ، بل ان وجود الفقير والضعيف فى المجتمع ، هو رحمة الله الواسعة للأغنياء والقادرين ، ليتقربوا - من خلال العطف عليهم ورعايتهم - الى الله سبحانه ، ويتقوا عذابه يوم القيامة .

---

(١١٣) مصطفى محمود : **الماركسية والاسلام** (مرجع سابق) ، ص ٧٢ .

(١١٤) قرآن كريم : **سورة التوبة - ٩** : الآية رقم ٦٠ .

(١١٥) سيد قطب : **فى ظلال القرآن** - المجلد الثالث (مرجع سابق) ، ص ١٦٧٠ .

(١١٦) عن أبى هريرة رضى الله عنه - أخرجه مسلم والترمذى وأبو داود وابن حبان والنسائى وابن ماجة - نقلا عن :
- العماد مصطفى طلاس (مرجع سابق) ، ص ٣٣٧ .

(١١٧) عبد الرحمن عزام (مرجع سابق) ، ص ٤٨ .

وهكذا لا تكون (الزكاة) و (الصدقة) ، وغيرهما من ألوان (بذل المال) ، مجرد اخراج للمال ، لا يستفيد منه الا المستفيد من اخراجه، بل انها رياضة لنفس القادر المخرج للمال ذاته ، لتضع هذا المال ـ فى حياة الانسان ـ حيث يجب أن يوضع ، مجرد (وسيلة) ، يستعين بها على الطاعات ، ويتقرب بها الى الله ، فيعلو ـ بها ـ على غرائزه الحيوانية ، ويتميز ـ بها ـ على الكافر ، الذى يكون المال ـ وغيره من أسباب الحياة الدنيا ـ هو مبتدأ حياته ومنتهاها ٠

ثم انها رياضة لهذه النفس على أن تعمل وتبنى وتكسب ، حتى **تتمكن من الحصول على ما تريد أن تنفقه من صدقة أو زكاة ، وعلى أن** تحسن فيما تعمل ، وتتقى الله فيه ـ ومن هنا يأتى مردودها الاقتصادى ، بالمعنى المحدد الضيق للاقتصاد ٠

وهى ـ كذلك ـ وقاية للانسان من الانجراف وراء المادة ، التى يدخل الشيطان من خلالها عادة ؛ ليخرب حياة الانسان ، الفردية والاجتماعية والدينية ، فان « الانصراف المطلق الى الكسب ، أى تحصيل المال وجمعه ، فيه اخلال بنظام الحياة ، وذلك أن ثروات الدنيا تكفى فقط الناس جميعا ، فاحتكار البعض زيادة عن الآخرين فيه اخلال بالتوازن ، لا يجوز الرضى به والسكوت عنه » (١١٨) ـ فاذا نظرنا الى الزكاة من هذه الزاوية ، وجدنا للزكاة مردودا اقتصاديا آخر ، بالمعنى الواسع الذى رأيناه من قبل للاقتصاد ، وهو معنى التوسط والاعتدال ، لا فى المال وحده ، ولكن فى شتى جوانب الحياة ٠

المردود الاقتصادى لليوم الآخر :

لعل أكثر (موضوعات) القرآن الكريم تكرارا ، هو موضوع اليوم الآخر ، أو موضوع البعث بعد الموت ، والحساب ، وهو موضوع لا تكاد تخلو منه سورة من سور القرآن ، اضافة الى ما ورد عن هذا اليوم ـ الآخر ـ فى الأحاديث النبوية الشريفة ، و « يلفت نظر قارىء القرآن الكريم ، بشكل واضح ، أن حديثه عن حياة الانسان الآخرة ، لم يرد مطلقا منفصلا عن حديثه عن حياة الانسان الدنيا ، وانما هو يرد ـ دوما ـ تذكرة بالمستقبل ، حيث الجنة أو النار ، فى دار الخلد ، التى لا مستقبل للانسان الا فيها ، حتى يظل الانسان على

---

(١١٨) الامام محمد بن الحسن الشيبانى (تصنيف) : الكسب (مرجع سابق) ، ص ٢٠ (من المقدمة) ٠

وعى دائم برسالته ، التى من أجلها خلق فى هذه الحيـاة الدنيا ، فيظل ــ دوما ــ على مستوى المسئولية ، وأهـلا لذلك التكريم ، الذى كرمـه به ربـه ، يوم خلقه واستخلفه .

وكثيرا ما استطرد القرآن الكريم فى حديثه عن الجنة والنـار ، خاصة فى الآيات المكية الأولى ، إلا أن هذا الاسـتطراد كان مناسـبا لهذا العهد المكى الاول ، وما اتسم به من عناد كفار مكة ومكـابريها ، ومن صبر المؤمنين على أذى هؤلاء المعـاندين المكابرين ، ورغم ذلك ، لم يكن هذا الاستطراد يأتى الا لغرض دنيوى أيضا » (١١٩) .

واذا كانت المسيحية المحرفة ــ على سبيل المثال ــ ترى فى مثل هذا التهديد للكفار والعصاة بالنار دعوة الى محاربة شهوة الجسد والى اهلاك النفس (١٢٠) ، بل ودعوة الى كراهية العالم والاكتئاب والحزن والبكاء (١٢١) ، تخليصـا للانسـان من (الخطيئة الأولى) ، التى

---

(١١٩) دكتور عبد الغنى عبود : **اليوم الآخر ، والحياة المعاصرة** ــ الكتاب الخامس من سلسلة (الاسلام وتحديـات العصر) ــ الطبعة الأولى ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ــ يونية ١٩٧٨ ، ص ١١١ ، ١١٢ .

(١٢٠) ينسب الى السيد المسيح ــ فى هذا المقام ــ قوله :

ــ « من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجلى يجدهـا » .

(العـهد الجـديد : **انجيل متى** ــ ١ : الإصحـاح السادس عشر : الآيـة ٢٥) .

كما نجد فى رسالة بولس الرسول الى أهل غلاطية قوله لهم :

ــ « اسلكوا بالروح ، فلا تكملوا شهوة الجسد ، لأن الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد » .

(العهد الجديد : **رسـالة بولس الرسـول الى أهل غلاطية** ــ ٩ : الإصحـاح الخـامس : الآيتـان ١٦ ، ١٧) .

(١٢١) نقرأ فى رسالة يعقوب قوله للناس جميعا :

ــ « أيها الزناة والزوانى ــ أما تعلمون أن محبـة العـالم عداوة لله ، فمن أراد أن يكون محبا للعالم فقد صار عـدوا لله » . « اكتئبوا ونوحوا وابكوا . ليتحول ضحككم الى نوح ، وفرحكم الى غم . اتضعوا قدام الرب فيرفعكم » .

(العهد الجديد : **رسالة يعقوب** ــ ٢٠ : الاصحاح الرابع : الآيات ٤ ، ٩ ، ١٠) .

رأينا – فيما سبق – أن الانسان ورثها وراثة الدم عن أبى الخلق آدم ، يوم عصى ربه ، واقترب من الشجرة – فإن الإسلام يرى فى مثل هذا التهديد دعوة الى الانغماس فى الحياة ، إصلاحا لها ، ومحاربة للشيطان كما سبق ، فى أماكن كثيرة .

ولو اننا وقفنا عند موضع واحد من المواضع التى ورد فيها ذكر اليوم الآخر فى سورة واحدة من سور القرآن الكريم ، على سبيل المثال ، هى سورة الكهف (١٢٢) ، لوجدنا قول الله سبحانه :

– « **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شىء مقتدرا . المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا . يوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ، وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا . وعرضوا على ربك صفا ، لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ، بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا . ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون ياويلتنا ، ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها؟ ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا** » (١٢٣) .

ويرى الزمخشرى أن « (الباقيات الصالحات) أعمال الخير ، التى تبقى ثمرتها للانسان ، وتغنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا » (١٢٤) ، وقيل « كل ما أريد به وجه الله (خير عند ربك ثوابا) » (١٢٥) ، مما يدل على أن القضية الواردة فى هذا المقام ، هى قضية الدنيا التى نحياها ، والتى نملك فيها (حرية الحركة) و (حرية الاختيار) ، فى مواقف الحياة المختلفة .

وقريب من معنى الآيات السابقة ، قول الرسول ﷺ :

– « ان هذا المال خضرة حلوة ، من أصابه بحقه بورك له فيه ، ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ، ليس له يوم

---

(١٢٢) ورد الحديث عن اليوم الآخر فعلا فى عدد من المواضع فى سورة الكهف وحدها .

(١٢٣) قرآن كريم : **سورة الكهف** – ١٨ : الآيات ٤٥ – ٤٩ .

(١٢٤) الزمخشرى : **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل** – الجزء الثانى (مرجع سابق) ، ص ٤٨٦ .

(١٢٥) المرجع السابق ، ص ٤٨٧ .

القيامة الا النار » (١٢٦) .

وهكذا يتأكد لنا من الكتاب والسنة ، أن (اليوم الآخر) ليس وسيلة (لتخريب) هذه الحياة الدنيا وتدميرها ، كما رأينا فى المسيحية على سبيل المثال ، وانما هو وسيله لتعمير هذه الحياة وتنميتها ، وفق المنهج السماوى المرسوم لهذه التنمية ، وذلك التعمير ، والذى يتلخص فى أن يكون المال مجرد (وسيلة) لإعلاء كلمة الله ، وانفاقه فى حدود ما أمر الله به ، بعد اخراج حق الله فيه ، الذى هو هو حق خلق الله فى هذا المال ، على نحو ما نرى فى مثل قول الرسول ﷺ:

ـ « ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم ، لا يؤدى حقها ، الا اقعد لها يوم القيامة ، بقاع قرقر ، تطؤه ذات الظلف بظلفها ، وتنطحه ذات القرن ، ليس فيها يومئذ أجماء ، ولا مكسورة القرن ، قلنا : يارسول الله ، وما حقها ؟ قال : اطراق فحلها ، واعارة دلوها ، ومنحها وحلبها على الماء ، وحمل عليها فى سبيل الله » (١٢٧) .

أى أن فكرة اليوم الآخر ، واستيعابها فى الحياة اليومية للانسان المسلم ، مما يجعل هذا الانسان ـ المسلم ـ أقدر على أن يكون عنصرا اكثر ايجابية ، وأكثر انتاجا ، وأكثر قدرة على الإضافة الى الحياة ، والاستفادة مما أودعه الله سبحانه فيها من أسباب الحياة أيضا ، مما يجعل الفكرة فكرة اقتصادية ، أو ذات مردود اقتصادى واضح ، فان « الإنسان يعتبر فى حد ذاته عاملا غير عادى » فالشخص الواحد يستطيع أن ينتج فى ظروف معينة ، ضعف ما ينتجه هو نفسه ، فى ظروف أخرى ، دون ما تعديل فى الآلات أو المعدات أو المهارات المطلوبة للعمل ، بسبب الاثارة أو الحافز أو السرعة ، أو

---

(١٢٦) عن خولة بنت قيس الانصارية رضى الله عنها ـ أخرجه البخارى والترمذى ـ نقلا عن :

ـ العماد مصطفى طلاس (مرجع سابق) ، ص ٧١٦ .

(١٢٧) عن جابر رضى الله عنه ـ رواه أحمد ومسلم ـ نقلا عن:

ـ الشوكانى (الشيخ الامام المجتهد ، قاضى قضاة القطر اليمانى ، محمد بن على بن محمد الشوكانى) : نيل الأوطار ، شرح منتقى الاخبار ، من احاديث سيد الاخيار ـ الجزء الخامس ـ الطبعة الأخيرة ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ـ القاهرة ، ص ٣٣٩ .

غيرهــــا» (١٢٨) .

ان استقرار فكرة اليوم الآخر فى الأعماق مما يحرك الانسان فى الحياة الدنيا فى اتجاه يكون فيه ممن (يحركون) الحياة ويتحركون معها ، لا ممن (تجرفهم) هذه الحياة ، حتى يسقطوا على جنباتها، على نحو ما نرى فى مثل قول الله سبحانه :

- « كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين . فى جنـات يتساءلون عن المجرمين : ما سلككم فى سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين . فما تنفعهم شفاعة الشافعين » (١٢٩) .

---

(١٢٨) ف. ك. ر. ف. راو : « التعليم كاســتثمار » (مرجع ســابق) ، ص ٨٢ .

(١٢٩) قرآن كريم : **سورة المدثر - ٧٤ : الآيات ٣٨ - ٤٨ .**

[illegible]

[illegible]

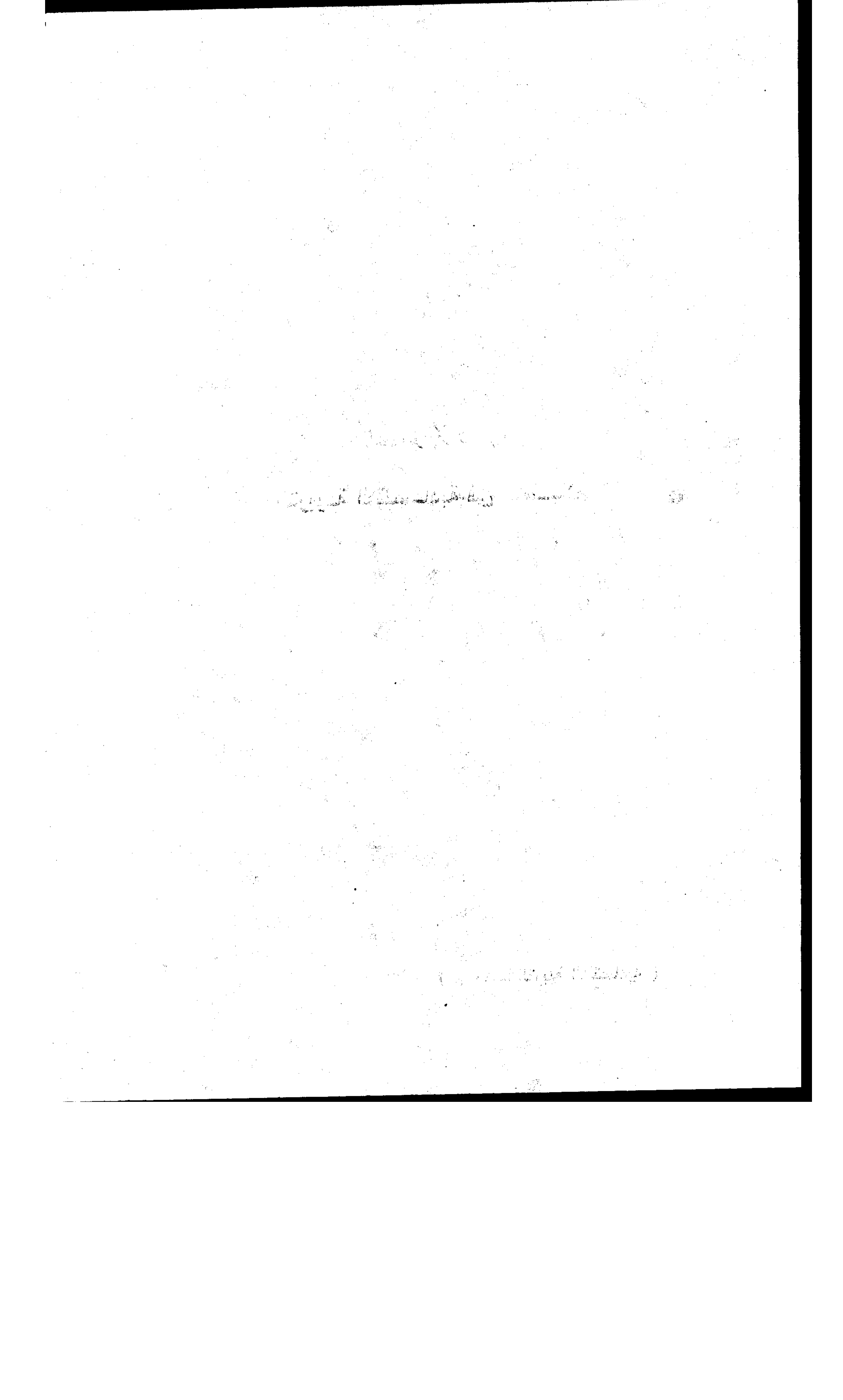
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

الفصل الخامس

التربيــة الاقتصــادية فى الاســلام



تقـــــديم :

يكاد (المنظور) الى هذه الحياة الدنيا التى نحيـاها ، وما اذا كانت هذه الحياة الدنيا هى مبتدأ حيـاة الانسان ومنتهـاها ، أم أنها مجرد حلقة فى سلسلة الحياة الانسانية الممتدة - يكاد هذا المنظور الى هذه الحياة الدنيا أن يكون هو (الفيصل) فى قضية الكفر والايمان، وما يترتب عليهما من تغيير فى سلوك الانسان فى حياته الدنيا .

ويلفت نظر القارىء للقرآن الكريم - كما سبق - لفته الدائم الى الحياة الآخرة ، خاصة فى العهد المكي الأول ، تقويضا لدعـائم الكفر ، الذى كان يقوم - ولا يزال - وسيظل يقوم حتى تقوم السـاعة - على (معطيـات) هذه الحياة الدنيا وحدها ، دون ما نظر يذكر الى مـا وراءها ، من تدبير الهى محكم ، أو ما بعدها من حساب ، وثواب أو عقاب ، (**يـوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم**) ، على حد التعبير القرآنى المحكم ، **كما ورد على** لسان الخليـل ابراهيم فى سورة الشـعراء (١) .

ولقد كانت زلزلة دعـائم هذا المنظور الضيق القـاصر الى حيـاة الانسان ، هى مبتدأ عمل الرسل عليهم أفضل الصلاة والسـلام ، ليقام على أنقاض هذا المنظور الضيق القاصر الى الحياة بناء المنظور الواسع الصحيح اليها ، الذى « تتحقق به كرامة الانسان ، ويتحقق استحقاقه لذلك التكريم الذى كرمه به ربه ، يوم خلقه واسـتخلفه - ويقطع على الشيطان تلك السبل التى يسلكها الى هذا الانسان ، فى لحظات ضعفه،

---

(١) ونص الآيات التى ورد فيها هذا التعبير ، هى قول الخليل ابراهيم ، داعيا ربه ، بعد استعراض قصته مع قومه وأبيه :

- « **رب هب حكما والحقنى بالصالحين . واجعل لى لسان صدق فى الآخرين . واجعلنى من ورثة جنة النعيم . واغفر لأبى ، انه كان من الضالين . ولا تخزنى يوم يبعثون . يوم لا ينفع مال ولا بنـون . الا من أتى الله بقلب سليم** » .

(قرآن كريم : **سورة الشعراء** - ٢٦ : الآيات ٨٣ - ٨٩) .

ويمكن الرجوع - فى هذا المجال - الى رسالتى الماجستير الرائعتين:

- سهير جابر : **التربية الاسلامية فى العبادات** - رسالة ماجسـتير غير منشورة - كلية التربية / جامعة أسيوط - ١٩٨٥ .

- سيد أحمد طهطاوى : **القيم التربويـة فى القصـص القرآنى** - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية / جامعة أسيوط - ١٩٨٥ .

فيتمرد على العبودية لله ، ليسير فى طريق العبودية لغير الله ، وهى عبودية تحط من قدره ، ولا تجلب له شرفا » (٢) .

وتتطور الحياة - منذ نزل القرآن الكريم - تطورات سريعة ، تبلغ ذروتها فى هذا العصر الذى نعيشه ، لتنجرف فى طريق المادية الصرف ، ولتجرف - معها - بقايا الديانات السماوية السابقة ، حتى صار المؤمنون بها أشد من الكفار كفرا ، وحتى صار الاسلام اليوم يتصدى « للمسيحية المحرفة » ، « ولليهودية الثائرة الموتورة » (٣) ، على حد تعبير العلامة أبى الحسن الندوى ، تصديه للشيوعية وغيرها من المذاهب المادية / الالحادية / الدنيوية القاصرة ، على حد سواء ، بل ان هذه (اليهودية الثائرة الموتورة) صارت هى التى تقود هذا العالم المادى اليوم ، « فى العلم والفن ، والاكتشاف والاختراع ، وفى السيطرة على هذه الحضارة ، وتملك زمامها ، وتوجيهها فى صالحهم .. » ، « حتى أصبحوا العنصر الفعال الرئيسى ، فى قيادة الحضارة الغربية ، التى ظهرت فى بيئة مسيحية » (٤) ، على حد تعبيره أيضا .

ويزيد من عنف هذه المادية الالحادية المعاصرة وجبروتها ، أنها استطاعت أن تنمى - خاصة فى هذا القرن - مفاهيم ونظما وهياكل ومؤسسات وأنماط حياة ، صارت تحتذى فى عالم اليوم ، رغم ما تحمله من بصمتها المادية القاسية الغليظة ، وقد انتقلت كلها الى العالم الاسلامى كما انتقلت الى عوالم كثيرة غيره ، فكانت آثار هذا الانتقال ، التى سنتحدث عنها فيما بعد ان شاء الله تعالى .

وقد كان فى مقدمة هذه المفاهيم والنظم التى انتقلت الينا من هناك ، تلك المفاهيم والنظم التى تتعلق بالاقتصاد وبالتربية ، وبغيرهما من العلوم الاجتماعية ، رغم أن للاسلام مفاهيمه ونظمه المغايرة لتلك المفاهيم والنظم ، على الأقل فى منطلقاتها التى تنطلق منها ، أو تقوم عليها ، مما يعطى هذا الفصل أهمية خاصة به ، فى مثل هذه الدراسة .

---

(٢) دكتور عبد الغنى عبود : **أنبياء الله والحياة المعاصرة** - الكتاب السادس من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - القاهرة - سبتمبر ١٩٧٨ ، ص ٣٠ .

(٣) أبو الحسن الندوى : **تأملات فى سورة الكهف** - الطبعة الثالثة - المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، ص ١٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥ .

معنى التربية الاقتصـادية فى الاسـلام :

يلفت نظر الباحث المنصف أن زمام الحضارة فى عـالم اليوم بيد الكفار ، فبيدهم - فى الشرق وفى الغرب على السواء - أسباب العـلم والمعرفة ، وأسباب القوة ، وأسباب عمـارة الأرض ، بكل معنى لهذه العمارة وتلك القـوة ، فى الوقت الذى يعيش فيه المسـلمون حـالة من الضعف والهوان والتخلف فى شـتى مجـالات الحيـاة ، لا تحتاج الى اثبـــات .

وينتهز أعداء الاسلام هذه الظـاهرة ، وهم كثيرون كما سـبق ، للنيل من الاسـلام ذاته ، على نحو ما يفعل اليهودى الحـاقد رافائيل باتاى Raphael Patai ، فى كتـــابه عن (العقـــل العـربى) The Arab Mind (٥) ، الذى لا يجد نقيصـــة فى الحيـــاة الا وينسبها الى العرب ، ويفسرها بأحداث التـاريخ التى يقرؤها بطريقة ترضى حقده الأسود ، بقدر ما لا ترضى المعـالجة العلمية الهـادئة ولا تتفق معها .

ولو أن باتاى ومن سـار سيره فى قراءة القرآن الكريـم وقراءة التـاريخ كان منصفـا ، لعرف أن تخلف المسـلمين اليوم لا يعـود الى الاسلام ، وانما هو يعود الى أخذ المسلمين أنفسهم بقشوره دون اللباب ، بسبب مايعيشون فيه من « جهل طاغ » « بمنهاج الله ، قرآنا وسنة » ، مما سهل « على الكثيرين أن يقـودوا العواطف الملتهبة للمـلايين من المسلمين ، تحت شعارات ورايات زاهية الألوان ، لايكتشف زيفها الا بعد عشرات السنين أو القرون ، وبعد أن يسقط القتلى ، وتنتهب الثروات ، وتضيع الديار » (٦) .

ان القرآن الكريم ، الذى نجد فيه مثل قول الله سبحانه :

- « وفى السماء رزقكم وما توعدون » (٧) .

---

(5) **Raphael Patai : The Arab Mind** ; Charles Scribner's Sons, New York, 1973.

(٦) عدنان على رضا النحوى : **الشـورى ، لا الديمقراطيـة** - الطبعة الأولى - مطابع الفرزدق التجـــارية - الريـــاض - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م ، ص ١٥ .

(٧) قرآن كريم : **سورة الذاريات** - ٥١ : الآية ٢٢ .

نجد فيه مثل قول الله سبحانه أيضا :

ـ « ٠٠ ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين » (٨) ٠

كما نجد فيه مثل قوله سبحانه :

ـ « ٠٠ فمن الناس من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا ، وما له فى الآخرة من خلاق ٠ ومنهم من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ٠ أولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب » (٩) ٠

ان النجاح فى الدنيا رهن بالأخذ بأسبابه ، فان الله سبحانه « قد خلق الكون ، وسخر كل ما فيه للانسان ، أى لمطلق الانسان ، مؤمنا وكافرا » (١٠) ٠

ومن ثم فان تفوق الكفار فى عالم اليوم يكون مؤكدا للمنهج الاسلامى ، ولا يكون مضادا لهذا المنهج ، كما يحاول باتاى وأمثاله من أعداء الاسلام ، أن يصوروا القضية ، ويكون الخطأ هنا هو خطأ المسلمين حين أخذوا بعض المنهج ، وتركوا بعضه ، أو حين آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه الآخر ، وهو ما نعاه القرآن الكريم ذاته ، على بنى اسرائيل ، **حيث يقول الله سبحانه :**

ـ « واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل : لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا ، وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا ٠٠٠ واذ أخذنا ميثاقكم : لا تسفكون دماءكم ، ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ، ثم اقررتم وأنتم تشهدون ٠ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ٠٠٠ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون ٠ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب ، ولا هم ينصرون » (١١) ٠

---

(٨) **قرآن كريم : سورة آل عمران ـ ٣** : الآية ١٤٥ ٠
(٩) **قرآن كريم : سورة البقرة ـ ٢** : الآيات ٢٠٠ ـ ٢٠٢ ٠
(١٠) محمد متولى الشعراوى : **الأعمال الكاملة لفضيلة الشيخ الامام محمد متولى الشعراوى ـ الجزء الثانى** (مرجع سابق)، ص١٦٨ ٠
(١١) **قرآن كريم : سورة البقرة ـ ٢** : الآيات ٨٣ ـ ٨٦ ٠

فالقضية اذن ليست قضـية المنهج الاسلامى ، بقدر ما هى قضية الأخذ بهذا المنهج وتطبيقه فى دنيا المسـلمين ، ولقد أدى تعطيـل هذا المنهج ـ لحكمة أرادهـا الله سبحانه ـ فى غزوة أحـد ، الى ما أصـاب المسلمين فيها ، بعد انتصار بدر ، كما أدى تعطيـله ـ لحكمة أرادهـا الله سـبحانه ـ فى غزوة حنين ، الى ما أصـاب المسـلمين فيها ، مما تحكيه كتب التاريخ ، ومما يقصـه علينا القرآن الكريم ذاتـه ، تعليمـا للمسلمين وتأديبا لهم حتى تقوم الساعة ، حيث يقول سبحانه :

ـ « لقد نصركم الله فى مواطـن كثيرة ، ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئـا ، وضاقت عليـكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين • ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنودا لم تروها ، وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين » (١٢)•

ويوم طبق هذا المنهج ـ بعد ذلك ـ في رد التتار، كان له مفعوله، الذى تحدثنا عنه كتب التاريخ ، ويوم طبق فى مقاومة الصليبيين ، كان له مفعوله الواضح فى اقتلاع شافتهم من الشـام ـ ومن بيت المقدس ـ بعد احتلال له استمر ٩٨ عاما ، كما نقرأ فى كتب التاريخ ، بل ان ما يجرى على الساحة الإسـلامية مما نعايشـه اليـوم ، لأكبر دليـل على امكانات هذا المنهج فى دنيا المسلمين ، عندمـا يرتفعون الى مسـتوى تحقيقه فى حياتهم ، حتى يتاح له ـ بالفعل ـ أن يحـول هذه الحيـاة الدنيا التى يحيونها الى الأفضل ، تحقيقا لقول الله سبحانه :

ـ « كنتم خير أمة اخرجت للناس ، تامرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ، ولو آمـن أهل الكتـاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون » (١٣) •

واذا كانت الآية السـابقة تتضـمن معنى التربية الاقتصـادية فى الاسلام بشكل مجمل ، لا يتعـدى الأمر بالمعـروف والنهى عن المنـكر والايمان بالله ، فان آيات قرآنية أكثر من أن تحصى تشير الى تفصيلات (اجرائية) محددة له ، فى مثل قول الله سبحانه :

ـ « ان الانسان خلق هلوعا • اذا مسه الشر جزوعا • واذا مسـه الخير منوعا • الا المصلين • الذين هم على صلاتهم دائمون • والذين هم من عذاب ربهم مشفقون • ان عذاب ربهم غير مأمون • والذين هم

---

(١٢) قرآن كريم : **سورة التوبة ـ ٩** : الآيتان ٢٥ ، ٢٦ •

(١٣) قرآن كريم : **سورة آل عمران ـ ٣** : الآية ١١٠ •

لفروجهم حافظون • الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين • فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون • والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون • والذين هم بشهاداتهم قائمون • والذين هم على صلاتهم يحافظون • أولئك فى جنات مكرمون » (١٤) •

وهكذا يمكن أن يقال أن التربية الاقتصادية فى الاسلام لا تقتصر على تربية الانسان المسلم على التعامل مع شئون المال - والاقتصاد - دون غيرها من شئون حياة المسلم - على نحو معين ، بل أنها تتسع لتشمل تربية هذا الانسان - المسلم - على التعامل مع شئون حياته كلها - بما فى ذلك شئونها المالية والمادية - بشكل معين ، يتفق مع منهج الله المرسوم للتعامل معها ، دون ما إفراط ، شريطة أن يبتغى الإنسان فى كل ما يقوله ويفعله ، وجه الله سبحانه - ومن هنا الاختلاف بين هذه التربية الاقتصادية الاسلامية - والتربية الاسلامية على وجه العموم - وبين أية تربية اقتصادية أو غير اقتصادية ، فى أية تربية أخرى ، غير التربية الاسلامية ، فى القديم وفى الحديث على السواء.

تربية المسلم على الإنتاج :

رأينا - فيما سبق من فصول - وفى أكثر من مناسبة - أن الله سبحانه خلق الانسان - يوم خلقه - ليكون خليفة له سبحانه فى الأرض، على النقيض مما تقول به ديانات أخرى ، سماوية محرفة ووضعية - وأن الله سبحانه قد زود الانسان الذى استخلفه فى الأرض بكل الوسائل والملكات والمواهب ، التى يستطيع - بها - أن يقوم بمهام الاستخلاف تلك •

كما رأينا أن معنى الاستخلاف هو عمارة الأرض ، واستخراج الرزق وتوزيعه وفق المنهج الذى حدده الله سبحانه ، والسير فى الحياة كلها وفق هذا المنهج •

ومعنى ذلك أن الإنسان المسلم - بطبيعته - يحوله الإيمان - اذا عمر قلبه - الى قوة فاعلة فى الحياة بأمر ربه ، والى طاقة انتاجية ، يتحقق بها - بالفعل - استخلاف الله له فى الأرض ، ولحكمة أرادها الله سبحانه ، كان انبياؤه المصطفون ، عليهم افضل الصلاة والسلام ، محترفين ، وكانت النسبة الغالبة منهم ممن احترفوا رعى الغنم ، على نحو ما يوضح لنا الحديث الشريف :

---

(١٤) قرآن كريم : سورة المعارج - ٧٠ : الآيات ١٩ - ٣٥ •

– « ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم » (١٥) .

والاحتراف – مهما كان قدر الحرفة التى يحترفها الانسان ومردودها المادى – هى الضمانة الوحيدة لان ياكل الانسان – حين ياكل – من عمل يده ، فضلا عما يزيد عن حاجته ، فيتصدق به ، فقد روى عن رسول الله ﷺ قوله :

– « أطيب ما أكل المؤمن من كسبه » (١٦) .

وليس معنى ذلك أن المسلم مطالب بان يفتش عن اقل الأعمال شانا ليقوم بها ، حتى يتقرب الى ربه ، ولكن معناه أن المسلم مطالب بأن يعمل ، وبأن يتحول الى قوة منتجة ، حتى ولو لم يجد الا مثل هذه الأعمال ، التى توصف فى عالم اليوم بأنها (أعمال وضيعة) ، تجنبا لما هو أوضع منها ، وهو (البطالة) التى تعتبر – فى الاقتصاد المعاصر – هدرا فرديا واجتماعيا واقتصاديا ، لا مثيل له (١٧) .

وهكذا تكون حياة العمل والانتاج والسعى وراء الرزق الذى أودعه الله لعباده ، وزودهم بوسائل تحصيله ، وأمرهم بالسعى فى هذا التحصيل ، هى الحياة التى يأمر بها الاسلام المؤمنين به ، والسائرين على منهجه ، دون أن يكون فى ذلك أية مجافاة لمعنى التوكل ، بل ان فيه – كما رأينا من قبل – وكما سنرى فيما بعد باذن الله – فهما أصح لمعنى (التوكل) ، وتفريقا بينه وبين معنى آخر ، ينهى عنه الاسلام ، وهو (التواكل) ، كما لا يوجد تناقض بين حياة العمل والانتاج تلك، وبين معنى (الزهد) ، الذى قد يتحقق فى وجود المال ووفرة النعمة، وقد لا يتحقق مع الفقر والحاجة والعوز ، فالقضية – فى الزهد – هى قضية قلب يتعلق بالله ، فى وجود المال فى اليد ، أو فى غيابه عنها ،

---

(١٥) أخرجه البخارى فى صحيحه ، ومسلم فى صحيحه ، ومالك فى الموطأ، والامام أحمد فى المسند، وابن ماجه فى سننه ، وابن سعد فى طبقاته .. – ارجع الى :

– الحارث بن أسد المحاسبى : **المكاسب والورع والشبهة** .. (مرجع سابق) ، ص ٤٩ .

(١٦) أخرجه ابن ماجة فى سننه ، والدارمى فى سننه، والنسائى فى سننه ، والامام أحمد فى المسند ، وأورده السيوطى فى الجامع الصغير – ارجع الى المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(17) Ronald A. Wykstra ; Op. Cit., p. 115.

ومن ثم فان « وجـود المـال فى اليـدين ، لا فى القلب ، لا ينـافى الزهد » (١٨) ، على حد تعبير الدلجى ٠

والمسلم مأمور حتى فى يـوم الجمعة (١٩) بـأن يؤدى صلاتـه وينتشر في الأرض ، (يبتغي من فضـل الله) ، على حـد التعبير القرآنى المحكم ، فى قول الله سبحانه :

- « يأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ٠ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضـل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (٢٠) ٠

واذا كان كفار اليـوم قد (ربـوا) أنفسـهم على احترام العمل وزيادة الانتاج وتنظيم الحياة تنظيما أفضل ، بحيث صاروا يسيطرون على أمور الدنيا ، كما نرى فى عالم اليوم من حولنا ، كما سبق ، فان هذا حقهم على الله ، رغم كفرهم ، بوصـفهم من عباده الذين أخـذوا بمنهج الحياة الذى وضعه للحصول على أسباب الحياة ، على نحـو ما نرى فى قول الله سبحانه :

- « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ، نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النـار ، وحبط ما صنعوا فيها ، وباطل ما كانوا يعملون » (٢١) ٠

واذا كان الحديث الشريف - فيما سبق - يبدأ بالرعى وغيره من الأعمال التى ينظر اليها بمقـاييس اليـوم المـادية على أنها (أعمـال وضيعة) ، رفعا لشأن العمل الحلال على عمومه ، فـان هـذا العمل يمتد ليتسع - فى النهاية - لكل عمل حلال ، ينفع الفرد وينفع الأمـة على السـواء ، ولذلك يرى الامـام الشـيبانى أن « المكاسب أربعـة ، الاجارة ، والتجارة ، والزراعة ، والصناعة » (٢٢) ، كما يرى الحارث

---

(١٨) شهاب الدين أحمد بن على الدلجى (مرجـع سـابق) ، ص ٢١ ٠

(١٩) نذكر هنا بأن العمل محرم يوم السبت ، على أسـاس أنه يوم (راحة الرب) ، وهو نفس ما استندت اليه المسيحية فى تحريمها العمل - ولكن يوم الأحـد ٠

(٢٠) قرآن كريم : سورة الجمعة - ٦٢ : الآيتان ٩ ، ١٠ ٠

(٢١) قرآن كريم : سورة هود - ١١ : الآيتان ١٥ ، ١٦ ٠

(٢٢) الامام محمد بن الحسن الشـيبانى (تصـنيف) : الكسب (مرجع سابق) ، ص ٦٣ ٠

المحاسبى أن « أكثر العلماء ، والأغلب فى جميع الأمصار ، يرون الغزو والحج ، والشراء والبيع ، والمعاملات والوكالات والصنائع ، ماضية أبدا مذ كان أول الاسلام ، الى آخر عصابة يقاتلون الدجال ، لا يضر المتقى الحافظ لدينه جور جائر ، ولا ظلم ظالم ، اذا كان فقيها متخلصا فى تجارته وصنعته ، يكابد أن يسلم من أكل الشبهة ، وغير ذلك يجاهده بالنفقة » (٢٣) ٠

ويرى الشاطبى أن « الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصناع ، قال على رضى‌الله عنه (لا يصلح الناس الا ذاك) ، ووجه المصلحة أن‌الناس لهم حاجة الى الصناع » (٢٤) ، ويدخل الدلجى ضمن هذه الصناعات، صناعة — أو حرفة — العلم ، حيث أن « قاعدة الحرف (عنده) أن موجوديتها وكثرتها ومهارة أهلها ، يدور مع التمدن والحضارة ، فكلما ازداد القطر تمدنا وحضارة ، ازدادت الحرف احكاما ومهارة ، فلذلك لا نجد فى القرى من المصنوعات ما يوجد فى المدن ، ولا فى صغير المدن ما يوجد فى كبيرها » ، رغم ما يلاحظه فى عصره من أن العلماء بعد أن كانوا « هم الملوك والأعيان » ، صار « نفاق العلماء والاحتياج اليهم ، فوق نفاق الخياط والحداد والحائك والاحتياج اليه ، واسترزاق العلماء بعلمهم ، فوق استرزاق هؤلاء بحرفتهم » (٢٥) ٠

ولو سرنا بنفس المنطق الذى سار به هؤلاء العلماء والفقهاء فى النظر الى الحرف والصنائع والانتاج ، لأدخلنا المفاهيم الحديثة للعلم، والمفاهيم الحديثة للعمل، ضمن منظومة (العمل) و(الانتاج) فى الاسلام، فان «الاسلام لا يرفض أية مفاهيم موضوعية ، يمكن أن يواجه بها الفرد أو المجتمع مشكلة من المشاكل الدنيوية ، طالما أن هذه المفاهيم لا تتعارض شكلا أو جوهرا مع المبادىء التى أرسيت دعائمها فى الكتاب الكريم ، والسنة النبوية المطهرة » (٢٦) ، فان كثيرا من أمور دنيانا ،

---

(٢٣) الحارث بن أسد المحاسبى : **المكاسب والورع والشبهة** (مرجع سابق) ، ص ٨٣ ٠

(٢٤) الشاطبى (مرجع سابق) ، ص ٢٩٢ ٠

(٢٥) شهاب الدين أحمد بن على الدلجى (مرجع سابق) ، ص ٦٥ ٠

(٢٦)دكتور عبد الرحمن يسرى أحمد : **التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الاسلام** — مؤسسة شباب الجامعة — الاسكندرية — رمضان ١٤٠١هـ — يوليو ١٩٨١م ، ص ٧ ٠

ننظمها حسبما تهدينا اليه عقولنا ، فى اطار مقاصد عامة ، وغايات حددها لنا سبحانه وتعالى ، وأمرنا بتحقيقها ، بشرط ألا تحل حراما ، أو تحرم حلالا » (٢٧) .

وهكذا يفرض الإسلام أن يكون جو المجتمع الاسلامى جو عمل وانتاج وسعى ونشاط ، ولا مكان فيه للتنطع أو التبطل ، الا عند العجز عن الكسب ، حيث يروى عنه ﷺ :

ـ « من سأل الناس وهو غنى عما يسأل ، جاءت مسألته يوم القيامة خدوشا أو خموشا أو كدوحا فى وجهه » (٢٨) .

ويدخل فى منظومة العمل تلك المرأة فى بيتها ، والأب الطاعن فى السن ، وغيرهم من فئات المجتمع ، التى تعتبر طاقة مدخرة للأمة الاسلامية ، رغم أنها تعد ـ فى النظم المادية المعاصرة ـ عبئا على الحياة والأحياء ، على نحو ما سنرى بإذن الله . ومثل هذا الجو العام الذى نجد كل انسان فيه يعمل ، مهما اختلف (الدور) الذى يقوم به الكل فى دفع عجلة الحياة فى المجتمع ، هو (وسط) تربوى فاعل ومؤثر ، فى توجيه الأجيال الصاعدة نحو العمل والانتاج وبذل الجهد ، لا يقل تأثيرا عن (التربية المقصودة) التى توجه هذه الأجيال الصاعدة نحو العمل ، بطريقة مقصودة ومخططة .

تربية المسلم على حسن الاستهلاك :

رغم أن قضية الانتاج وترشيده تعتبر هى القضية (الأم) فى الفكر الاقتصادى المعاصر ، كما سبق ، فان « للاستهلاك أهمية خاصة فى النظام الاقتصادى بأكمله ، ذلك أن كل فرد فى المجتمع يعتبر مستهلكا . واذا كانت الغالبية العظمى من أفراد المجتمع منتجة ومستهلكة فى نفس الوقت ، الا أنه قد توجد فئة من المجتمع غير منتجة أطلاقا ، فهى تعيش على أموال مدخرة ، أو ورثتها عن طريق القرابة ،

---

(٢٧) الأستاذ حسن اسماعيل الهضيبى : **دعاة ، لا قضاة (أبحاث فى العقيدة الاسلامية ، ومنهج الدعوة الى الله)** ـ رقم (١) من (كتاب الدعوة) ـ دار الطباعة والنشر الاسلامية ـ القاهرة ـ ١٩٧٧م ، ص ٧٣ .

(٢٨) سنن أبى داود والجامع الصغير ـ بعبارات مختلفة ـ ارجع الى :

ـ الامام محمد بن الحسن الشيبانى (تصنيف) : **الكسب** (مرجع سابق) ، ص ٩٠ .

أو أتتها عن طريق سهل سريع ، وهى أموال خامدة ، قد لا تستثمر .

أما من ناحية الاستهلاك ، فلا يوجد بين الأفراد غير مستهلك . وقد يكون الاستهلاك مشبعا لحاجات ضرورية ، لا يمكن الاستغناء عنها ، وقد يكون الاستهلاك مشبعا لحاجات ثانوية ، وهذا هو استهلاك الكماليات » (٢٩) .

على أن قضية الاستهلاك - فى الاسلام - ليست كما هى فى الفكر المادى المعاصر - قضية انفاق يتناسب مع الانتاج ، أو مع ما رزقه الانسان من رزق ، بل هى قضية (اعتدال) فى الانفاق ، مهما وسع الله سبحانه على الانسان فى الرزق ، أو على حد التعبير القرآنى المحكم ، فى وصف (عباد الرحمن) المؤمنين :

- « **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما . انها ساءت مستقرا ومقاما . والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما ...** » (٣٠) .

وأحيانا يضع القرآن الكريم اليد - فى مسالة الاعتدال الواجب تلك - على مسائل بعينها فى حياة الانسان اليومية ، فى مقدمتها الطعام والشراب بطبيعة الحال ، على نحو ما نرى فى قول الله سبحانه :

- « **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق ؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** » (٣١) .

وفى هذه الآية الأخيرة ، نجد نفس (الاعتدال) الذى يأمرنا به الله سبحانه فى مسألة الطعام والشراب ، وغيرهما من مسائل الحياة

---

(٢٩) الدكتور محمد منير مرسى ، والدكتور عبد الغنى النورى: **تخطيط التعليم واقتصادياته** - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٧٧م ، ص ١٤٥ .

(٣٠) قرآن كريم : **سورة الفرقان - ٦٥** : الآيات ٦٣ - ٦٧ .

(٣١) قرآن كريم : **سورة الأعراف - ٧** : الآيتان ٢١ ، ٢٢ .

اليومية ، يأمر به سبحانه أيضا فى مسألة (الزهد) الواجب فى هذه الحياة الدنيا ، تقربا الى الله سبحانه ، على نحو ما نرى فى انكاره سبحانه تحريم الزينة وتحريم الطيبات من الرزق — كما يأمرنا به سبحانه (أى بالاعتدال) حتى فى اخراج الزكاة (وهى شعيرة من الشعائر) ، على نحو ما نرى فى قول الله سبحانه :

— « وهو الذى انشا جنات معروشات وغير معروشات ، والنخل والزرع مختلفا أكله ، والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره اذا اثمر ، وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا ، انه لا يجب المسرفين . ومن الأنعام حمولة وفرشا ، كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين » (٣٢) .

ونفس هذا (الاعتدال) فى الحياة ، الذى يأمر به القرآن الكريم ، حتى فى مسائل العبادة ، تسير عليه السنة النبوية المطهرة وتأمر به ، قولا وعملا ، على نحو ما نرى فى قوله ﷺ فى مسألة الطعام والشراب :

— « يأكل المسلم فى معى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » (٣٣) .

— « طعام الاثنين يكفى ثلاثة ، وطعام الثلاثة كافى الأربعة » (٣٤) .

— « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فاعلا ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » (٣٥) .

---

(٣٢) قرآن كريم : **سورة الأنعام — ٦** : الآيتان ١٤١ ، ١٤٢ .

(٣٣) البخارى (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، البخارى الجعفى) : **صحيح البخارى — الجزء السابع** — كتاب الشعب — دار ومطابع الشعب — القاهرة — ١٣٧٨/١٣٧٩هـ ، ص ٩٢ (من كتاب الأطعمة) .

(٣٤) المرجع السابق ، ص ٩٢ (من كتاب الأطعمة) .

(٣٥) أخرجه الترمذى — نقلا عن :

— عبد الرحمن بن على ، المعروف بابن الديبع الشيبانى : **تيسير الوصول الى جامع الأصول ، من حديث الرسول** — الجزء الثالث — شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر — القاهرة ، ص ١١٥ .

واذا كانت الأحاديث السابقة تتصل (بالاعتدال) فى الطعام والشراب ، فان الحديث التالى يتصل بالاعتدال فى العبادة ، ونصه كما يرويه البخارى في (صحيحه) :

- « جاء ثلاثة رهط الى بيوت النبى ﷺ ، يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا ، فإنى أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : وأنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله انى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » (٣٦) .

ويرى الامام الشيبانى أن الانسان المؤمن يثاب على الأكل اذا كان من حلال ، لأن « كل ما كان الأكل فيه فرضا عليه ، فانه يكون مثابا على الأكل ، لأنه يتمثل به الأمر ، فيتوصل به الى أداء الفرائض ، من الصوم والصلاة ، فيكون بمنزلة السعى الى الجمعة ، والطهارة لأداء الصلاة ، والأصل فيه قوله ﷺ : (يؤجر المؤمن فى كل شىء ، حتى اللقمة يضعها فى فمه) ، وفى حديث آخر قال ﷺ : (يؤجر المؤمن فى كل شىء ، حتى فى مضاجعة أهله) ، فقيل : انه يقضى شهوته ، أفيؤجر على ذلك ؟ قال : (أرأيت لو وضعها فى غير حله ، أما كان يعاقب على ذلك ؟) » (٣٧) - وهو فى الوقت ذاته يرى أنه « يحرم على المرء فيما اكتسبه من الحلال : الافساد والسرف والمخيلة والتفاخر والتكاثر » (٣٨) ، ويقف طويلا عند السرف من بينها ، فيرى أن « السرف فى الطعام أنواع : فمن ذلك الأكل فوق الشبع » ، « لأنه انما يأكل لمنفعة نفسه ، ولا منفعة فى الأكل فوق الشبع ، بل فيه مضرة ، فيكون ذلك بمنزلة القاء الطعام فى مزبلة ، أو شرا منه ، ولأن ما يزيد على مقدار حاجته من الطعام فيه حق غيره ، فانه يسد به جوعته اذا أوصله اليه ، بعوض أو بغير عوض ، فهو فى تناوله جان

---

(٣٦) البخارى ... - الجزء السابع (المرجع الأسبق) ، ص ٢ (من كتاب النكاح) .

(٣٧) الامام محمد بن الحسن الشيبانى (تصنيف) : **الكسب** (مرجع سابق) ، ص ٩٩ .

(٣٨) المرجع السابق ، ص ٧٩ .

على حق الغير ، وذلك حرام ، ولأن الأكل فوق الشبع ربما يمرضه ، فيكون ذلك كجراحته نفسه » (٣٩) ٠

ومن انواع « الاسراف فى الطعام » ـ عنده ـ « الاستكثار من المباحات والألوان » ، « ومن الاسراف أن يضع على المائدة من الوان الطعام فوق ما يحتاج اليه للأكل » (٤٠) ، « ومن الاسراف أن ياكل وسط الخبز ويدع حواشيه ، أو ياكل ما انتفخ من الخبز ، كما يفعله بعض الجهال ، يزعمون أن ذلك ألذ » (٤١) ، « ومن الاسراف التمسح بالخبز عند الفراغ من الطعام من غير أن ياكل ما يتمسح به ، لأن غيره يستقذر ذلك ، فلا ياكله » ، « ومن الاسراف اذا سقط من يده لقمة أن يتركها ، بل ينبغى أن يبدأ بتلك اللقمة فياكلها ، لأن فى ترك ذلك استخفافا بالطعام ، وفى التنازل اكرام ، وقد أمرنا باكرام الخبز » (٤٢) ٠

وأخيرا يرى الامام الشيبانى أن « أمر اللباس نظير الأكل فى جميع ما ذكرنا » (٤٣) ٠

وقد وقفنا طويلا عند الامام الشيبانى ومعه ، لنرى كيف استطاع الفقهاء أن يحولوا هذه المبادىء العامة الواردة فى الكتاب والسنة الى إجراءات سلوكية تمارس فى الحياة اليومية ، مما يسهل انتقالها الى الأجيال الجديدة من المسلمين ، بالتقليد ، مما يحول دون السير فى طرق (الترف) ، الذى يعتبره الدكتور عماد الدين خليل « ممارسة (مدمرة) ، سواء للجماعة كلها ، التى تسكت عليها ، وتغض الطرف ، أو تغلو فى انهزاميتها ، فتتملق وتتقرب وتداهن ، أو للمترفين أنفسهم ، الذين يعمى الثراء الفاحش ، وما ينبثق عنه من ممارسة مرضية متضخمة ، مبالغ فيها ، بصائرهم ، ويطمس على أرواحهم ٠٠ » ، « كل رؤية حقيقية ، لدور الانسان فى الدنيا » (٤٤) ٠

---

(٣٩) المرجع السابق ، ص ٧٩ ، ٨٠ ٠
(٤٠) المرجع السابق ، ص ٨١ ٠
(٤١) المرجع السابق ، ص ٨١ ، ٨٢ ٠
(٤٢) المرجع السابق ، ص ٨٢ ٠
(٤٣) المرجع السابق ، ص ٨٣ ٠
(٤٤) د٠ عماد الدين خليل : « القرآن والمسألة الاجتماعية (خطوط عريضة) » ـ **المسلم المعاصر** ـ فصلية فكرية ، تعالج شؤون الحياة المعاصرة ، فى ضوء الشريعة الاسلامية ـ العدد العاشر ـ ابريل ـ مايو ـ يونيو ١٩٧٧ ، ص ٩٤ ٠

ان الانسان لم يخلق فى هذه الحياة ليأكل ويتمتع ، ولكنه خلق أساسا ليقوم برسالة الاستخلاف فى الأرض ، التى يأكل من أجل أن يتمكن من القيام بها ، أما أولئك الذين يفهمون الحياة على أنها أكل واستمتاع ، فهم الكفار ، الذين أعمى الله سبحانه بصائرهم ، حتى صاروا يعيشون ، كالانعام ، بل هم أضل ، أو على حد التعبير القرآنى المحكم :

ـ « ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار ، والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، والنار مثوى لهم » (٤٥) .

تربية المسلم على تحصيل العلم :

أشرنا ـ فى مناسبات مختلفة فيما سبق من فصول ـ الى أهمية العلم ومنزلته فى الاسلام ، ومدى تكريم الله سبحانه للسائرين فى طريقه .

ويرى الدلجى ان تكريم الاسلام هكذا للعلم وللسائرين فى طريقه ، أمر يتفق مع (منظور) الاسلام الى الانسان ، « فتميز الانسان بما هو انسان ، بالعلم والبيان ، والا فغير الانسان من الدواب والسباع أكثر أكلا منه ، وأقوى بطشا ، وأكثر جماعا وأولادا ، وأطول عمرا ، وانما يتميز عن الدواب بعلمه وبيانه ، فاذا عدم العلم ، بقى معه القدر المشترك بينه وبين سائر الدواب ، وهى الحيوانية المحضة ، فلا يبقى فيه فضل عليهم ، بل قد يبقى شرا منهم » (٤٦) ، ومن أجل ذلك كان قول الرسول ﷺ فى الحض على طلب العلم :

ـ « من سلك طريقا يطلب به علما ، سهل الله له طريقا الى الجنة » (٤٧) .

---

(٤٥) قرآن كريم : **سورة محمد ـ ٤٧** : الآية ١٢ .

(٤٦) شهاب الدين أحمد بن على الدلجى (مرجع سابق) ، ص ٦٩ .

(٤٧) البخارى ... الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٣٦ (من كتاب العلم) .

وكان قوله ﷺ - فى المفاضلة بين العالم والعابد ، فيما يرويه أبو أمامة رضى الله عنه :

- « ذكر رسول الله ﷺ رجلين ، عالم وعابد ، فقال : فضل العالم على العابد ، كفضلى على أدناكم رجلا » (٤٨) .

وكان تبريرة ﷺ ذلك بقوله :

- « فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد » (٤٩) .

ولا يكاد كتاب من كتب الفقه يتعرض لهذه المسألة الا ويورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، مايؤيد وجهة نظره ، على نحو ما نرى الحبيشى يفعل ، عند حديثه عن « طلب العلم واكرام المشايخ والعلماء ، والتماس البركة فى مؤاكلتهم ومجالستهم ، وترك الوقيعة فيهم » (٥٠) ، حيث يستشهد على ما يراه بما « قال ﷺ : (من غدا فى طلب العلم صلت عليه الملائكة ، وبورك له فى معاشه ، ولم ينقص له من رزقه ، وكان عليه مباركا) ، وقال ﷺ : (من طلب العلم تكفل الله برزقه) ، وقال ﷺ : (ان الملائكة لتضع أجنحتها ، رضى لطالب العلم) ، وقال ﷺ : (أكرموا العلماء ، فإنهم ورثة الأنبياء ، من أكرمهم فقد أكرم الله ، ومن أكرم عالما فقد أكرم سبعين نبيا ، ومن أكرم متعلما ، فقد أكرم سبعين شهيداً ، ومن أحب العلم والعلماء ، لا تكتب عليه خطيئة أيام حياته » (٥١) .

واذا كانت قضية اعلاء الاسلام من شأن العلم والعلماء قضية لا يختلف عليها أحد العلماء - أو الفقهاء - المسلمين ، لوفرة ما دار حولها

---

(٤٨) رواه الترمذى وصححه - نقلا عن :

- عبد الرحمن بن على ، المعروف بابن الديبع الشيبانى : **تيسير الوصول ، إلى جامع الأصول ، من حديث الرسول** - الجزء الثالث (مرجع سابق) ، ص ١٥١ .

(٤٩) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة : **الجامع الصحيح ، وهو سنن الترمذى** - تحقيق وتعليق ابراهيم عطوة عوض - الجزء الخامس (كتاب العلم) - الطبعة الثانية - شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر - القاهرة - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، ص ٤٨ .

(٥٠) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابى الحبيشى ، المتوفى سنة ٧٨٢ : **البركة ، فى فضل السعى والحركة** (مرجع سابق) ، ص ١٧٨ .

(٥١) المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

من آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، فان الجدل يدور أحيانا - وفى العصور المتأخرة بالذات - حول (نوع) العلوم التى أعلاها الاسلام وأعلى من شأن المشتغلين بها ، بين قائل بأنها علوم الدين وحدها ، وبين قائل بأنها علوم الدين وعلوم الدنيا على السواء ، وأحسب أن ظروف الزمان كانت تترك بصمتها بوضوح على الميل الى الأخذ بهذا الرأى أو ذاك ، فحيث يكون هناك اختلال فى التوازن بين العلوم لصالح العلوم الدنيوية ، يكون التنبيه الى فضل علوم الدين ، خاصة اذا كان من هذه العلوم الدنيوية ما يمس (عقيدة) المسلم ، ولذلك كانت الحملة الضارية ضد الفلسفة - على سبيل المثال - فى العصر العباسى ، وحيث يجرف الاهتمام بالدين وعلومه المسلمين عن الدنيا والسعى فيها ، باسم الزهد ، يكون التنبيه الى أهمية العلوم الطبيعية والدنيوية ، صيانة للدين ذاته - وهكذا .

وعلى العموم ، فقد « أوضح القرآن الكريم بما لا يدع مجالا للشك ، أن العقيدة - كما جاء بها الاسلام - لا تتنافى مع العقل ، ولا ينبغى لها أن تتنافى معه ، وأنها تكون - على خير تقدير - ناقصة اذا لم تنسجم معه ، فالدين الاسلامى دين عقلى » ، « والقرآن لا يفتح المجال للبحث فحسب ، بل يشبع كذلك الغريزة العقلية فى الانسان ، ويستميلها ، بل يدفعها ويلزمها أن تقوم بوظيفتها ، بما يضربه لها من أمثال ، وما يذكره من آيات » (٥٢) .

ويرى المرحوم عباس العقاد أن مما يدل على اهتمام الإسلام بالعقل ، وإعلائه من شأنه ، تنويهه به ، « والتعويل عليه فى أمر العقيدة ، وأمر التبعة والتكليف ، ففى كتب الأديان الكبرى إشارات صريحة أو مضمونة الى العقل ، أو الى التمييز ، ولكنها تأتى عرضا غير مقصودة ، وقد يلمح فيها القارىء بعض الأحايين شيئا من الزراية بالعقل ، أو التحذير منه ، لأنه مزلة العقائد ، وباب من أبواب الدعوى والانكار .

ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل الا فى مقام التعظيم ، والتنبيه الى وجوب العمل به ، والرجوع اليه ، ولا تأتى الاشارة اليه عارضة ،

---

(٥٢) الدكتور محمود حب الله : « موقف الاسلام من المعرفة والتقدم الفكرى » - **الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة** ، مجموعة البحوث التى قدمت لمؤتمر برنستون للثقافة الاسلامية - جمع ومراجعة وتقديم محمد خلف الله - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ، ص٣٠ ، ٣١ .

ولا مقتضبة فى سياق الآية ، بل هى تأتى فى كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة ، باللفظ والدلالة ، وتتكرر فى كل معرض من معارض الأمر والنهى ، التى يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله ، أو يلام فيها المنكر على اهمال عقله ، وقبول الحجر عليه » (٥٣) .

ولا نود أن ننجرف فى تيار الدفاع عن العلوم الدنيوية والعقل ، أو العلوم الدينية والنقل ، فليس فى الاسلام – كما سبق فى أكثر من موضع – تفرقة بين عقل وقلب ، أو بين دين ودنيا ، أو بين عقل ونقل – فهى كلها منظومة واحدة ، يأمرنا الاسلام بالاعتدال فى النظر اليها ، وفى التعامل معها ، بما يحقق رسالة الانسان فى الحياة ، على النحو الذى حدده الله سبحانه ، ولذلك فان العلم فى الاسلام يتسع ليشمل منظومة العلم كلها ، وهو « لا يقتصر على علم الشريعة ، أو العلم الدينى ، كما يتبادر الى بعض الأذهان ، أو ما ذاع فى عهود التخلف عن القرآن ، فقد دعا الى النظر فى ظواهر الوجود ومظاهر صنع الله فيه ، ودعا الى التفكر فى آياته ، واستكناه أسراره ، وفهم نظمه ونواميسه ، ففتح بهذا العرض والتوجيه باب العلم ، وحرر العقول والتفكير من أسر الجمود والجهل ، وأغرى بالبحث والدراسة والعلم » (٥٤) .

ورغم أن علم الدين وعلم الدنيا ينتظميان – فى الاسلام – فى منظومة واحدة ، فان ثمة أمرين يحكمان حركة العلم تلك ، يجب التنبه اليهما ، أولهما إننا يجب أن نفرق من حيث فرضية العلم – بين ما هو فرض عين ، وما هو فرض كفاية ، « ففرض العين ، ما يتعين على كل أحد اقامته نحو أركان الدين ، وفرض الكفاية ما اذا ما قام به البعض ، سقط عن الباقين ، لحصول المقصود » (٥٥) .

واذا ما نظرنا الى منظومة العلوم التى يوجبها الاسلام من هذه الزاوية ، وجدنا امكانية تقسيم العلوم – مع الدكتور مصطفى السباعى – يرحمه الله – الى نوعين من العلوم :

---

(٥٣) عباس محمود العقاد : **التفكير فريضة اسلامية – الطبعة الأولى** – المؤتمر الاسلامى – دار القلم – القاهرة ، ص ٥ ، ٦ .

(٥٤) محمد شديد : **منهج القرآن فى التربية** – مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز – القاهرة ، ص ١٣٧ – ١٣٩ .

(٥٥) الامام محمد بن الحسن الشيبانى (تصنيف) : **الكسب** (مرجع سابق) ، ص ٧١ .

« ١ - **ما هو فرض عين** : اى ما يطلب تعلمه مما يحتاج اليه الانسان وجوبا من كل فرد مكلف ، ولا يعذر احد فى الجهل به ، وهو ما يحتاج اليه الانسان فى اقامة دينه ، وقبول عملـه عند الله تعالى ، واستقامة معاملته ومعاشرته للنـاس » ٠

« ٢ - **ما هو فرض كفاية** : وهو كل ما يحتاج المجتمع اليه ، من غير نظر الى شخص بذاته ، كتعلم الصناعات التى يحتاج اليها الناس، وتعلم المهن التى لابد للناس عنها » ، اى « كل ما يحتاج اليها فى شئون المجتمع ، من تجارة وطب واقتصاد وهندسة وكيمياء وفيزياء وكهرباء، وكذا صناعة الأسلحة والذخائر ، وجميع أنـواع الصناعات » ، « وكذا كل ما يجد فى المستقبل من الحـاجة الى عـلوم أخرى ، فانها تعتبر من فروض الكفاية ، بحيث يجب على الأمة أن يكون فيها من العلمـاء بتلك العـلوم ، ما يكفى لحصول الأمـة على ثمار تلك العـلوم ٠ فلو كانت تحتاج فى علم من العلوم الى مائة عالم مثـلا ، ولم يكن فيها الا خمسون عالما ، تكون الأمة آثمة ، حتى يوجد فيها العدد البـاقى اللازم من العلماء » (٥٦) ٠

أما الأمر الثانى الذى يحكم حركة العلم الاسلامى ، سواء فى ذلك علم الدين وعلم الدنيا على السواء ، فهو أن يكون توجه المشتغل به ، معلمـا ومتعلمـا على السواء ، الى الله سـبحانه ، أو على حـد تعبير النبى ﷺ :

- « من طلب العلم ليجارى به العلماء ، أو ليجارى به السفهاء ، أو ليصرف به وجوه الناس اليه ، أدخله الله النار » (٥٧) ٠

- « من تعلم علما لغير الله ، أو أراد به غير الله ، فليتبوأ مقعده من النـار » (٥٨) ٠

---

(٥٦) الدكتور مصطفى السباعى : **اشتراكية الاسلام** - دار ومطابع الشعب - القاهرة - ١٩٦٢ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ٠

(٥٧) رواه الترمذى وابن ماجه - نقلا عن :

- الشيخ منصور على ناصف : **التاج الجامع للأصول ، فى أحاديث** الرسول ﷺ - الجزء الأول - الطبعة الرابعـة - دار الفكر - بيروت - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، ص ١٧٤ ٠

(٥٨) رواه الترمذى وابن ماجة - نقلا عن :

- المرجع السابق ، ص ٩٤ ٠

وإذا كان هذا هو شأن العلم على عمومه ، فان العقاب على استغلال علوم الدين - وهي أشرف العلوم على الاطلاق - لتحقيق مصالح دنيوية ، يكون أشد ، أو على حد تعبير الرسول ﷺ :

- « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » (٥٩) .

وإذا ما سارت حركة المسلم في المجتمع الاسلامى على هذا النحو ، كانت - فى حد ذاتها - وسطا تربويا فاعلا - يدفع الجميع نحو العلم - كل العلم ، الذى يبتغى به وجه الله ، والذى يحقق صالح المجتمع ، على نحو ما يدلنا تاريخ الاسلام الطويل ، حتى فى فترات الضعف ، التى اتجه فيها هذا العلم وجهة معينة ، تحقق أهداف التعبد ، بأضيق معنى من معانى التعبد ، على نحو ما سنرى فيما بعد بإذن الله .

تربية المسلم على ممارسة العمل :

سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الانسان الجنة ، فقال ﷺ :

- « تقوى الله ، وحسن الخلق » (٦٠) .

كما لخص ﷺ رسالة الاسلام فى كلمات محدودة ، حيث قال :

- « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (٦١) .

وإذا كان « الخلق صفة نفسية لشىء خارجى » ، يسمى « سلوكا أو معاملة » (٦٢) ، فان معنى ذلك أن الاسلام انما جاء ليحدث (انقلابا) فى السلوك الانسانى - ان صح التعبير - يتم به ترشيد هذا السلوك ،

---

(٥٩) رواه أبو داود وابن ماجة - نقلا عن :
- الشيخ منصور على ناصف : **التاج الجامع للأصول ، فى أحاديث الرسول** ﷺ - الجزء الخامس - الطبعة الرابعة - دار الفكر - بيروت - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، ص ٧٤ .

(٦٠) رواه الترمذى - نقلا عن :
- المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٦١) العينى (الشيخ الامام العلامة ، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العينى) : **عمدة القارى ، شرح صحيح البخارى** - الجزء الثانى والعشرون - دار الفكر - بيروت ، ص ١١٨ .

(٦٢) أحمد أمين : **كتاب الأخلاق** - الطبعة الثالثة - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٦٩ ، ص ٦٣ .

ورفعه الى الدرجة التى ترفع الانسان ذاته الى مستوى الانسانية الشامخ ، الذى كرم الله به الانسان ، يوم خلقه واستخلفه ، ولذلك يربط القرآن الكريم دائما بين الايمان وصالح العمل ، على نحو ما نرى فى مثل قول الله سبحانه :

- « انه من يأت ربه مجرما فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى • ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى » (٦٣) •

- « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ، ثم اهتدى » (٦٤)•

- « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى ، لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » (٦٥) •

ولا يقف القرآن الكريم عند حد ربط العمل بالقول ، بل انه ينكر على المؤمنين أن يقولوا ما لا يفعلون ، ويعتبره مما يمقته الله سبحانه ، على حد ما نرى فى قوله الكريم :

- « يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (٦٦) •

بل ان القرآن الكريم يعتبر الايمان الذى لا يدل عليه عمل ، نقيضا للإيمان وخداعا لله سبحانه ولعباده المؤمنين ، على نحو ما نرى فى قول الله سبحانه :

- « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين• يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون • فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون » (٦٧) •

---

(٦٣) قرآن كريم : سورة طه - ٢٠ : الآيتان ٧٤ ، ٧٥ •
(٦٤) قرآن كريم : سورة طه - ٢٠ : الآية ٨٢ •
(٦٥) قرآن كريم : سورة النور - ٢٤ : الآية ٥٥ •
(٦٦) قرآن كريم : سورة الصف - ٦١ : الآيتان ٢ ، ٣ •
(٦٧) قرآن كريم : سورة البقرة - ٢ : الآيات ٨ - ١٠ •

ولم يقف رسول الله ﷺ من هذا (الانقلاب) فى السلوك عند حد مجرد (التبليغ) والوعد بالجنة للمستجيبين لبلاغه ، بل تعدى ذلك الى تمثل هذا السلوك الذى دعا اليه ، بل لقد كان ﷺ (تعبيرا) عنه ، وهو ما لخصته السيدة عائشة رضى الله عنها ببراعة لمن سال عن اخلاقه ﷺ ، حيث قالت :

- « كان خلقه القرآن » (٦٨) .

ولقد أمر الله سبحانه المؤمنين من عباده بان يتخذوا من رسول الله ﷺ (أسوة حسنة) ، حيث قال سبحانه :

- « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (٦٩) .

وكان رسول الله ﷺ يربى أصحابه بالرفق واللين والحكمة ، دون أن يشق عليهم ، حتى يحول سلوكهم الى هذا السلوك الاسلامى الجديد، فقد « ذكر عمرو الدانى فى كتاب البيان له بإسنادة عن عثمان وابن مسعود وأبى : أن رسول الله ﷺ كان يقرئهم العشر ، فلا يجاوزونها ، الى عشر أخرى ، حتى يتعلموا ما فيها من العمل ، فيعلمنا القرآن والعمل جميعا .

وذكر عبدالرازق عن معمر عن عطاء بن السائب عن ابى عبدالرحمن السلمى قال : كنا اذا تعلمنا عشر آيات من القرآن ، لم نتعلم العشر التى بعدها ، حتى نعرف حلالها وحرامها ، وأمرها ونهيها .

وفى موطأ مالك ، أنه بلغه أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثمانى سنين ، يتعلمها » (٧٠) .

ويحكى لنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما نفسه هذ القصة فيقول :

---

(٦٨) رواه أحمد ومسلم وأبو داود - نقلا عن :
- محمد ناصر الدين الألبانى : **صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير** - الجزء الثانى - الطبعة الثانية - المكتب الاسلامى - بيروت - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٧م ، ص ٢٨٢ .

(٦٩) قرآن كريم : **سورة الأحزاب** - ٣٣ : الآية ٢١ .

(٧٠) القرطبى (أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى): **الجامع لأحكام القرآن** - المجلد الأول - الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ص ٣٠ .

- « كنا صدر هذه الأمة ، وكان الرجل من خيار أصحاب رسـول الله ﷺ ، **ما معه الا السورة من القرآن أو شبه ذلك ، وكان القرآن ثقيلا** عليهم ، وزرقوا العمل به ، وان آخر هذه الأمة يخفف عليهم القرآن ، **حتى يقرأه العربى والأعجمى ، فلا يعملون به » (٧١)** ٠

وهكذا لا يكون العلم فى الإسلام سفسطة فارغة ، ولا مجرد متعة عقلية خالصة ، ولا حلية يتحلى بها الانسـان المسـلم تحليه بالثيـاب وغيرها ، **وانما هو (أداة) يستعين بها على أن يعيش حياة أفضل ، وعلى أن يقوم بدوره فى الحياة ، وهو الدور الذى خـلق الانسـان له** يوم خلق ، **ومن ثم كان واجبا أن يتحول الى (تكنولوجيا) اجتماعية،** ان صح التعبير ، ومن هنا كان ربطه - فى الفكر الاسلامى كله - بالعمل، أو ربط العمل به ، وبناؤه عليه ، اذا نحن أردنا الى الدقة فى التعبير، اقتداء بالرسول ﷺ ، ومن ثم كان ما رآه الامام أبو حنيفة النعمان من ان « العمل تبع للعلم ، كما أن الأعضـاء تبع للبصر » (٧٢) ، وكان ما رآه حاجى خليفة من أن « السعادة الأبدية لا تتم الا بالعلم والعمل ، **ولا يعتد بواحد منهما بدون الآخر ، وأن كلا منهما ثمرة الآخر »(٧٣)،** وكان ما يحشده الخطيب البغدادى فى كتابه (اقتضاء العـلم العمل) **من مأثور ما قيل فى هذه القضية ، تأييدا لقوله فى أوائل الكتاب -** على سبيل المثال : « ثم انى موصيك يا طالب العلم باخلاص النية فى **طلبه ، واجهاد النفس على العمل بموجبه ، فان العلم شجرة ، والعمل** ثمرة ، وليس يعد عالما من لم يكن بعلمه عاملا » ، « فلا تأنس بالعمل

---

(٧١) الآجرى (محمد بن الحسين أبو بكر الآجرى - ت ٣٦٠هـ): **اخلاق حملة القرآن** - دراسة وتحقيق وتعليق محمود النقراشى السـيد على - الطبعة الأولى - مكتبة النهضة - القصيم - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ١٥٩ ٠

(٧٢) الامام الأعظم أبو حنيفة ، رضى الله عنه : **العالم والمتعلم** - تحقيق محمد رواس قلعة جى ، وعبد الوهاب الهندى النـدوى - رقم (٢) من (تراث الاسلام) - مكتبة الهدى - حلب - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص ٣٢ ٠

(٧٣) حاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله) : **كشف الظنـون عن أسامى الكتب والفنـون** - المجلد الأول - طبعه مصورة بالأوفست - مكتبة المثنى ببغداد ، ص ٥٣ ٠

مادمت مستوحشا من العلم ، ولا تانس بالعلم ما كنت مقصرا فى العمل، ولكن اجمع بينهما ، وان قل نصيبك منهما » (٧٤) .

واذا كان مفهوم العلم يشمل علم الدين وعلم الدنيا على حد سواء كما سبق ، فان هذا الكلام عن ارتباط العلم بالعمل ينطبق على العلوم الطبيعية انطباقه على العلوم الدينية ، مما يخلق فى المجتمع - الاسلامى - جوا خاصا ، يكون وسطا تربويا ، يؤثر فى كل الأجيال ، ويدفعها دفعا الى السير فى هذا الطريق ، كما نراه يحدث الآن فى البلاد المتقدمة ، بالنسبة للعلوم الطبيعية والحضارة المادية بطبيعة الحال .

الوسط التربوى الاسلامى ووقت الفراغ :

فى ظل نظام كالنظام الاسلامى ، يكون لكل انسان قيمة ، كبيرا كان أم صغيرا ، رجلا كان أم امرأة ، أبيض كان أم أسود ، مسلما كان أم غير مسلم ، بحكم انتمائه الى النوع الانسانى ، الذى كرمه ربه يوم خلقه - ويكون لكل انسان - فى الوقت ذاته - وجود فاعل فى المجتمع ، لا يحول بينه وبين القيام به الا نكوص منه - لا يمكن أن نجد مكانا لما يسمى بوقت الفراغ ، أو التبطل ، الذى ينشأ عادة عن خواء الروح وفراغ الحياة من المعنى ، الذى ينتج عن تقوقع حياة الانسان حول ذاته ، مما يؤدى به الى الاحساس بالوحدة والعزلة والاغتراب ، بالنسبة لعناصر الكون المختلفة ، ومما يدفع به الى الضيق والضجر ، والاحساس بالحياة عبئا ثقيلا يسعى للتخلص منه بطرق شتى « وان انتشار ظاهرة الانتحار ، والتمرد الجماعى ، والشذوذ الجنسى ، الآن فى أوروبا ، لهو مظهر لاغتراب الشخصية عن المجتمع ، وحتى عن ذاتها » (٧٥) ، رغم ما حققته هذه البلاد التى يسيطر على أبنائها هذا الاحساس القاتل ، من مستوى حياة عال ، بكل مقاييس الحياة المادية ، مما يدل على أن قضية الانسان قضية أكبر من قضية جسده وحاجاته البيولوجية ، التى يركز عليها الماديون فى القديم والحديث على السواء ، والتى تنطلق منها الحضارة المعاصرة فى التفكير والتدبير على السواء أيضا ، على نحو ما رأينا فى نهايات الفصل الثانى .

---

(٧٤) الخطيب البغدادى : **اقتضاء العلم العمل** (مرجع سابق) ، ص ١٤ .

(٧٥) دكتور محمد أحمد سلامة : **علم النفس الاجتماعى - الجزء الأول (حول النظرية)** - مؤسسة سعيد للطباعة بطنطا (مصر) - ١٩٧٩ ، ص ٥٨ .

واذا كان الوسط التربوى فى بلاد الرفاهية المادية الغربية مما يدعو الى هذا الاحساس القاتل ، الناتج عادة عن فراغ الروح - بل خوائها ، وعن وقت الفراغ الناتج عنه ، رغم ما تقوم به المؤسسات الاجتماعية ووسائل الاعلام والثقافة من جهد لملئه بسبل شتى ، يصل الينا - على البعد - كثير منه - فان الوسط التربوى فى النظام الاسلامى لا يدع أية فرصة لظهور مثل هذا الاحساس ، حتى عند أولئك الذين هجروا حياة الناس وانزووا فى صوامع خاصة ، للانشغال بالعبادات والطاعات ، الذى لا يدع فرصة لهذا الفراغ أن يتسلل الى النفس ، والحال أفضل كثيرا بطبيعة الحال ، بالنسبة للكثرة الكاثرة ، التى آثرت أن تعيش (بين) الناس ، رغم كل شىء ، فإن (الرغبة فى العطاء) ، التى يزرعها فى نفس المسلم اسلامه ، لما يقضى على وقت الفراغ وآلامه وويلاته وآثاره المدمرة فى نفس الوقت ، ويجعل الانسان يحس بأنه يعطى ، وبأن له فى الحياة رسالة ، وبأن لحياته - من أجل ذلك - معنى ، مما يجعله يحبها ، ويضيف اليها أيضا ، وها هو الحبيشى ينصحنى واياك فيقول : « فاجتهد الا ينقضى عليك يوم الا وتتصدق فيه بشىء وراء الواجب ، ولو كسرة خبز ، فترتفع بذلك عن درجة البخلاء ، وقال ﷺ : (اتقوا النار ، ولو بشق تمرة) ، وقال صلى الله عليه وسلم لأم بجيد : (ان لم تجدى شيئا تعطيه اياه - يعنى المسكين - الا ظلفا محرقا فادفعيه اليه فى يده) ، واعطت عائشة سائلا حبة عنب وقالت: ان فيها لذرا كثيرا ، تعنى قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) - واعطت أم سلمة السؤال كل واحد تمرة تمرة ٠ وافضل الصدقة سقى الماء ، وما وافق ضرورة أو حاجة ، فان لم تملك ، فليست الصدقة كلها فى المال ، لكن كل معروف الى غنى أو فقير صدقة ، وتبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وارشادك الرجل فى أرض الضلال صدقة ، وبصرك للرجل الردىء البصر صدقة ، وافراغك من دلوك فى اناء أخيك صدقة ، وامساكك عن الشر صدقة ، وتعين الرجل على دابته فتحمل عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تخطوها الى الصلاة صدقة ، وأمرك بالمعروف صدقة ، ونهيك عن المنكر صدقة ، وكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، واتيانك زوجتك صدقة ، وما أكلت من مالك صدقة ، ومشيتك بدينك تقضيه صدقة ، و ٠٠ » (٧٦) وغيرها وغيرها ، مما يجعل لكل

---

(٧٦) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابى الحبيشى (مرجع سابق) ، ص ٨٨ ٠

لحظة فى الحياة قيمة ، ومما يجعل لكل حركة فيها قيمة أيضا ، وهو مما يباعد بين الانسان والضجر ، حتى ولو كان فقيرا ضعيفا بائسا ، أو غير ذلك من المعايير المادية ، التى لا يمكن أن تقف عقبة فى طريق ممارسة الايمان والتقوى والعمل الصالح و (المسارعة فى الخيرات) ، على حد التعبير القرآنى المحكم ، فى عدد من المواضع ، منها قوله سبحانه فى سورة (المؤمنون) :

« ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون • والذين هم بآيات ربهم يؤمنون • والذين هم بربهم لا يشركون • والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون • أولئك يسارعون فى الخيرات ، وهم لها سابقون • ولا نكلف نفسا الا وسعها ... » (٧٧) .

واذا ما تحولت حياة الانسان المسلم فى جماعته الى حياة ثرية على هذا النحو ، فأن مثل هذه الحياة لابد أن تتحول إلى وسط تربوى فاعل ومؤثر ، يتنافس فيه الكل على فعل الخيرات ، ويتناصحون بفعلها ، بقدر ما يتعاونون على هذا الفعل ، مما يحول حياة الجماعة المسلمة كلها الى حياة عمل وانتاج وبذل للجهد ، والى جهاد فى سبيل الله ، فان « الجهاد فى سبيل الله ليس على الفهم الشائع ، استبسالا فى قتال العدو فحسب ، بل يتسع مفهومه لكل جهاد ، فى أى مجال ، فى سبيل الحق والعدل والخير » (٧٨) .

وفى مثل هذا (الوسط التربوى) ، لا يمكن ان يكون وقت الفراغ مفسدة أو مقتلة ، على نحو ما نرى من حولنا فى عالم اليوم ، خاصة فى البلاد المتقدمة حضاريا ، ولكنه سيكون - كسائر الأوقات - بركة ونعمة ، وعونا على ارساء دعائم الحياة على الأسس التى تقوم عليها الحياة الصالحة ، فى كل زمان ومكان .

---

(٧٧) قرآن كريم : سورة المؤمنون - ٢٣ : الآيات ٥٧ - ٦٢ .

(٧٨) دكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) : **الشخصية الاسلامية ، دراسة قرآنية** - الطبعة الثانية - دار العلم للملايين - بيروت - أيار (مايو) ١٩٧٧ ، ص ١٠٧ .

الفصل السادس

أهداف التربية الاقتصادية وأساليبها فى الاسلام

[illegible]

[illegible]

تقديـم :

يقذف بالانسان الى أفق الحياة الدنيا رحم أمه ، ليعيش وسط جماعة بشرية لم يخترها أصلا ، مثلما لم يختر الرحم الذى يقضى فيه الاشهر التسعة التى تلى التحام الحيوان المنوى ببويضة الأم ، ليجد نفسه — أخيرا — مضطرا الى أن يواجه الحياة بأسلوب تعلمه ، ثم الى ان يغادرها كارها لهذه المغادرة فى الغالب ، بعد أن كيف حياته على أن يخلد فيها ، وهى رحلة تدعو كلها الى اليأس والقنوط ، اذا هو حاول أن ينظر اليها بامكانيات عقله المحدودة ، ليحل ((لغز الحياة)) هذا ، ومن ثم كانت رحمة الله بالانسان أن يرسل له الرسل ، ليحلوا له هذا اللغز ، وليقدموا له منهج الحياة الذى يحقق له — ان سار عليه — خير الدارين — وهو ما تلخصه آيات قرآنية كثيرة تلخيصا رائعا ووافيا فى نفس الوقت ، من مثل قوله سبحانه :

— « والشمس وضحاها • والقمر اذا تلاها • والنهار اذا جلاها • والليل اذا يغشاها • والسماء وما بناها • والأرض وما طحاها • ونفس وما سواها • فالهمها فجورها وتقواها • قد أفلح من زكاها • وقد خاب من دساها » (١) •

— « والليل اذا يغشى • والنهار اذا تجلى • وما خلق الذكر والأنثى • ان سعيكم لشتى • فأما من أعطى واتقى • وصدق بالحسنى • فسنيسره لليسرى • وأما من بخل واستغنى • وكذب بالحسنى • فسنيسره للعسرى • وما يغنى عنه ماله اذا تردى • ان علينا للهدى • وان لنا للآخرة والأولى • فانذرتكم نارا تلظى • لا يصلاها الا الأشقى • الذى كذب وتولى • وسيجنبها الأتقى • الذى يؤتى ماله يتزكى » (٢) •

ولقد استطاعت مثل هذه الآيات المحددة الواضحة أن توقظ الفطرة التى علاها التراب طويلا فى النفوس الزكية ، لتعتز بانسانيتها التى عادت اليها بعد طول غياب ، فلقد أحاط بالرسول ﷺ « نخبة من كبار الرجال ، **مختلفون فى الأعمار والأقدار ، مختلفون فى البيئات** والأحساب ، مختلفون فى الأمزجة والأخلاق ، مختلفون فى ملكات العقول وضروب الكفايات » ، « بينهم من التفاوت ما بين أبى بكر وعمر ، وبين عمر وعثمان ، وبين خالد ومعاذ ، وبين أسامة وابن

---

(١) قرآن كريم : **سورة الشمس — ٩١ : الآيات ١ — ١٠ •**

(٢) قرآن كريم : **سورة الليل — ٩٢ : الآيات ١ — ١٨ •**

العاص » ، اضافة الى ما بينهم من اختلاف فى « البأس والحلم ، والحيلة والصرامة ، والألمعية والاجتهاد ، وحنكة السن وحمية الشباب » (٣) .

وهكذا كانت التربية الاسلامية هــادفة منذ البدايــة ، ولم يكن ما يفعله الرسول ﷺ مجرد دعوة الى دين ، بل كان اعادة تشكيل للانسان ، حتى يعود الى سابق عهده ، او الى فطرته التى فطره الله عليها .

ولما كان (قصد السبيل) ـ كما رأينا من قبل فى الفصل الثالث ـ هو هدف التربية الاسلامية وغايتها ، وهو المطلب الأساسى لها ، فـان معنى ذلك أن التربية الاقتصادية فى الإسلام كانت هادفة منذ البداية ، على نحو ما أشرنا من قبل أيضا .

وحول (أهداف التربية الاسلامية ووسائلها) يدور هذا الفصل .

معنى الهدف التربوى :

يعـــرف كاست وروزنزويج Kast & Rosenzweig الأهـــداف Goals عموما بأنها « تعني ـ باختصـــار ـ الأحوال المســتقبلة التي يسعي الى تحقيقها الأفراد أو الجماعات أو المنظمات » (٤) .

ومعنى ذلك أن الأهداف ـ فى حقيقة أمرها ـ هى غايات ، يسعى اليها الفرد ، مثلما يسعى الى تحقيقها المجتمع ، أو النظام ، وأن لكل فرد أهدافه ، القريبة والبعيدة ، كما أن لكل مجتمع أهدافــه القريبة والبعيدة أيضا ، ولكل جماعة أو منظمة أهدافها ، وهكذا .

والتربية ـ بوصفها نظاما System من نظم المجتمع ، يقوم على تشكيل الجيل الجديد على نحو معين ـ لهـا أهدافها الجديدة ، التى يسعى النظام التعليمى الى تحقيقها فى أبنائه الجدد ، ومن أجل تحقيقها يبنى المدارس ويعد المعلمين ، ويخطط المناهج والبرامج ، وهو حينما يفعل ذلك كله لا يفعله فى فراغ ، وانما هو يفعله فى اطار قيمه ومعتقداته ومثله العليا فى الحياة ، وأهدافه فيها .

ورغم أن المجتمع هو (مصــدر) أهــداف التربية ، فــان هذه الأهداف تصــاغ بطريقة اجرائيــة فى ضوء منــظور المجتمع ـ والدين السائد فيه ـ الى الفرد ، بوصفه (موضوع) التربية ، كما سبق فى الفصل الأول .

---

(٣) عباس محمود العقاد : عبقرية محمد ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

(4) Fremont E. Kast and James E. Rosenzweig ; Op. Cit., p. 179.

والتربية الاسلامية لا تشذ فى ذلك كله على أية تربية أخرى ، فى القديم وفى الحديث على السـواء ، ومن ثم فان « هدفها الانســان ، بكيانه متكاملا ، وبطاقــاته وقدراته كلها ، وهى بذلك تعنى بالجانب العقــلى والروحى والجسمى والخلقى والاجتمــاعى » (٥) ، تنميها جميعا فى اطار واحد ، يعكس روح الاسـلام ، ومنظوره الى الحيــاة الفردية والاجتماعية على حد سواء ، وان اعتمدت « التربية الاسلامية فى تحديد أهدافهــا ، على قيم أســاسية ، وأخرى فرعية ، متداخـلة معها » (٦) .

ولا يوجد فى الاسـلام هدف دينى وهدف دنيــوى ، فكل أهداف الحياة الاسلامية وقيمها ، أهداف ـ وقيم ـ دينية ، بمعنى أنها مشتقة من الدين ـ الاسلامى ، لا من غيره ، ومن ثم فأهداف التربية الاسلامية كلها « هى أهداف دينية » ، لأنه « لا يوجد فى المنهج الاسلامى هدف دينى وهدف غير دينى » ، ولأن « مفهوم العبادة فى الاسـلام ، كما سبق أن ذكرنا ، مفهوم شــامل ، فكل عمل أو فكر أو سـلوك يقوم به الانسان ، فى ليل أو نهار ، يبتغى به وجه الله ، فهو عبادة لله » (٧) .

واذا كان الهدف الأول للتربية الاسلامية هو تحقيق عبودية الانسان لله ، فان هذا الهدف يمكن أن يشتق منه عدد من الأهداف الفرعية أو الخاصة أو « المباشرة ، أو المحددة ، التى تفصـل الأهــداف الشامـلة والعامة ، وتحددها » (٨) ، وهكذا .

وعبودية الانسان لله كهدف عام للتربية الاسلامية ، تعنى قيامه بدوره الذى حدده الله سبحانه له فى حياته الدنيا التى يحياها ، وهو الاستخلاف فى الأرض ، ومن ثم يمكن أن يكون (الاستخلاف) فى الأرض ، هو هو

---

(٥) عبد الجواد السيد بكر : **فلسفة التربية الاسلامية ، فى الحديث الشريف** ـ الكتاب الخامس من سلسلة (مكتبة التربية الاسـلامية) ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٨٣ ، ص ١٧٥ .

(٦) على خليل أبو العينين : **فلسفة التربية الاسلامية ، فى القرآن الكريم** ـ الكتاب الثانى من سلسلة (مكتبة التربية الاسلامية) ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٨٠ ، ص ١٤٩ .

(٧) دكتور على أحمد مدكور (مرجع سابق) ، ص ٢٨٦ .

(٨) على خليل أبو العينين (المرجع الأسبق) ، ص ١٥٦ .

الهــدف العــام أو الأول للتربيــة الاســلامية ، الذى يمكن تقســـيمه الى عدد من الأهداف الفرعية أو الاجرائية أو المحددة .

كما يمكن تقسيم هذه الأهــداف الفرعية الى عــدد من الأهــداف الأكثر فرعية ، وهكذا ، حتى نصل الى درس بعينــه من دروس أيــة مادة تعليمية (درس فى التوحيــد أو فى البــلاغة أو فى الأدب أو فى الكيمياء أو فى الحساب) ، فيكون له هدف محدد ، يسعى الدرس الى تحقيقــه .

ومعروف أن الهدف الخاص لكل درس يتحــدد فى ضوء الهــدف العام للمادة ، الذي يتحدد - بدوره - فى ضوء الأهدافالعامة للمستوى التعليمى ، التى تحددها الأهداف العامة للمرحلة ، التى تتحــدد هى الأخرى فى ضوء الأهداف العامة للتعليم النظــامى ، التى تتحدد فى ضوء الأهداف العامة للتربية فى المجتمع - التى تتلخص فى حالتنا هنا فى التربية الاسلامية - فى تحقيق عبودية الانسان لله ، أى فى تحقيق أستخلافه فى الأرض ، الذى يعتبر الهدف الأسمى للتربية فى أى مجتمع اسلامى .

وفى الوقت ذاتــه ، يمكن تقســيم التربيــة فى أى مجتمــع من المجتمعات ، الى تربية سياسية ، وتربية اجتماعية ، وتربية أقتصادية ، وغيرها وغيرها ، يتحقق - من خــلال كل نــوع منها - الهدف العــام للتربية فى المجتمع ، مثلما يتحقق هذا الهدف العام من خلال كل مادة تعليمية ، بل ومن خلال كل موقف يمر به الطفل المتعــلم فى المدرسة (فى حالة التعليم النظامى) ، بدءا من طابور الصباح ، وما يجرى فيه ، وانتهاء بانصراف المتعلمين الى منازلهم فى آخر اليوم الدراسى، فكل هذه الدروس - والمواقف - خبرات تربوية ، يجب أن تكون هادفة ومخططة ، لتحقيق أهداف تربوية محددة ، هى - فى حالتنا هنا - أهــداف العبوديــة لله ، أو الاســتخلاف فى الأرض ، وهــذا هو معنى (التربية الدينية) عند فيليب فينكس ، الذى يرى أن (صــبغ) كل شىء فى العملية التربوية بلون معين ، هو المهمة المركزية للدين ، وأن « هذه المهمة المركزية كامنة فى كل تدريس ، بغض النظر عن ميــدان التربية ، وهى الهدف الذى لابد له أن يسيطر على تدريس الرياضيات والآداب والفنون الميكانيكية والرقص الحديث (هكذا يرى ، فهو جزء من الدين عندهم فى الغرب) ، والكيميــاء العضوية والقانون . فكل دراسة » ، « تعد وسيلة مناسبة لتدريس هذا الدرس الأساسى » ، « وكل هيئة تربوية » ، « يمكنها أن تكون - بل ويجب أن تكــون - جهــة للتعليم الدينى » .

« وعلى هذا ، (فالدين) لا ينبغى أن يعتبر - بالدرجة الأولى - مادة دراسية خاصة ، شأنه شأن الجغرافيا أو الفيزياء ، وانما ينبغى أن يعتبر توجيهـا للحيـاة ، يتم فى جميع الدراسـات الخاصـة ، وعن طريقها » (٩) .

ان (الدين السائد) فى مجتمع ما ، يعتبر (المظلة) التى تظلل أى نشاط تربوى يحدث ، أو الصبغة التى تصبغ هذا النشاط بلونها ، **على نحو ما يشير فيليب فينكس ، وعلى نحو ما يرى العلامة أبو الأعلى** المودودى ، فى رده على أولئـك الذين يرون - جهـلا منهم - أن هذا (الصبغ) بلون بعينه يصعب بالنسبة للعلوم الطبيعية / التجريبية ، حيث يلفت نظره « ما جرى فى روسـيا ، التى تدعـو الى الفكـرة **السوفيتية للعلوم التجريبية » ، وحيث « لا يحب الشيوعى أن يدرس** أى فرد من أفراد مجتمعه العلوم البورجوازية ، والفلسفة البورجوازية ، والتاريخ البورجوازى ، والاقتصاد البورجوازى ، بل انه يدرس جميع هذه العلوم والآداب ، مصبغة بالماركسية » ، ولذلك فهو يتساءل : « فقولوا **لى بالله : اذا لم تكن للعلوم التجريبية علاقة بالاسـلام ، فهل لها علاقة** بالماركسية ؟ » (١٠) .

وأحسب أن العـلامة المودودى لا يقصـد بالعـلوم التجريبيـة (معطيات) هذه العلوم الطبيعية أو التجريبية ، لأن مثل هذه العلوم **(محايدة) فى معطياتها ، بقدر ما هى (مذهبية) فى تفسـير هذه** المعطيات ، وصبغ هذه العلوم بالصبغة الماركسية ، أو الليبرالية / الغربية ، **أو غيرهما ، انما يأتى فى مرحلة التفسير وتوجيه النتائج ، لا فى مرحلة** العمل والتجريب ذاتها - وهو أمر لا يفوت مثله ، وربما عاد القصـور **فى توضيح الفكرة المقصودة ، الى الترجمة الى اللغة العربية .**

ومن ثم يكون التفسير الاسلامى للعـلوم التجريبية والطبيعية هو المطلوب فى هذا المجال ، ليكـون أحد (الأهـداف) الرئيسـية من

---

(٩) فيليب هـ . فينكس : **التربية والصالح العـام** - ترجمة السيد محمد العزاوى ، والدكتور يوسف خليل - مراجعة محمد سليمان شعلان - تقديم السيد يوسف - وزارة التربية والتعليم بالجمهوريـة العربيـة المتحدة - القاهرة - ١٩٦٥ ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .

(١٠) أبو الأعلى المودودى : **دور الطلبة فى بناء مستقبل العـالم الاسلامى** - دار الأنصار بالقاهرة - ١٩٧٧ ، ص ٢٢ .

تدريسها ، مسايرة لوجهة نظر فيليب فينكس ، التى سبق لنا استعراضها فى هذا المجال .

واذا كانت (التربية الاقتصادية فى الاسلام) ـ كما رأيناها فى الفصل الماضى ـ هى (جوهر) التربية الاسلامية ، فانها (روح) يجب أن تسري فى النظام كله ، اضافة الى دراستها والتربية عليها من خلال عدد من المقررات الدراسية ، كما يمكن أن تتحول الى برنامج عمل لجمعيات النشاط المختلفة ـ حتى يتحول البرنامج التربوي كله الى برنامج فاعل فى تشكيل الشخصية المسلمة ، بما يزودها به من معلومات نظرية لا غنى عنها للمسلم ، وبما يوفره لها من ممارسة عملية لهذه المعلومات النظرية ، تتحول بها (العبادة) الى (عادة) يعتادها المسلم فى حياته اليومية ، فردا وجماعة ، بعد أن تم تدريبه عمليا عليها ، فى ممارساته اليومية المختلفة ، فى كافة شئون حياته ـ وهو ما رأينا الرسول ﷺ يفعله مع صحابته فى الصدر الأول للإسلام ، تمكينا لهم من أن يكون كل منهم (قرآنا) يسعى بين الناس ، كما كان ﷺ ، وتمكينا لهم من أن يقوم كل منهم بدور الاستخلاف فى الأرض ، حتى يكون جديرا برحمة الله سبحانه ، التى لن يدخل أحد الجنة ـ يوم الحساب ـ بدونها .

و (التربية الاقتصادية فى الاسلام) يمكن أن تكون هدفا فرعيا لهدف أكبر ، وهو العبودية لله أو الاستخلاف ، كما يمكن أن تكون هدفا أساسيا ، يتفرع عنه عدد من الأهداف الفرعية ، التى سوف نرى بعضها ان شاء الله فى بقية الفصل .

الأهداف الفردية للتربية الاقتصادية فى الاسلام :

ليس من المبالغة فى شىء أن ندعى أن الأهداف الفردية للتربية الاقتصادية تتصدر قائمة هذه الأهداف فى الاسلام ، تمكينا للإنسان من أن يتصدى لشيطانه ، فى معركة الصراع بين الانسان والشيطان ، منذ أمر الله سبحانه الملائكة بالسجود لآدم ، فسجدوا الا ابليس ، ثم كان نزول آدم الى الأرض ، وكان بدء المعركة التى أعلنها على بنى آدم ، مثلما أعلنها على أبيهم من قبل فى الجنة ، على نحو ما يوضح لنا القرآن الكريم فى مثل قول الله سبحانه :

ـ « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ، قال أأسجد لمن خلقت طينا ؟ قال أرايتك هذا الذى كرمت على ؟ لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا . قال اذهب ، فمن

تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا • واستفزز من استطعت منهم بصوتك ، وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ، وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم ، وما يعدهم الشيطان الا غرورا • ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك وكيلا » (١١) •

– « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ، لم يكن من الساجدين • قال ما منعك الا تسجد اذ أمرتك ؟ قال أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين • قال فاهبط منها ، فما يكون لك أن تتكبر فيها ، فاخرج انك من الصاغرين• قال أنظرنى الى يوم يبعثون • قال انك من المنظرين • قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم • ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين • قال اخرج منها مذؤما مدحورا ، لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين » (١٢) •

وإذا كان الله سبحانه قد خلق الانسان مجموعة من الشهوات والغرائز ، فهذه هي « الطبيعة الحقيقية للإنسان » ، فهو « حيوان له مطالب Wanting animal » (١٣) ، على حد تعبير البنج Elbing ومن ثم كان هدف التربية الإسلامية هو (توجيه) هذه الغرائز والشهوات، لتحقيق الهدف الذى من أجله خلق الله الانسان مزودا بها ، حيث « تنمو غرائزه وشهواته ومواهبه وقدراته وميوله ونزعاته ، تنمو على تناسق وتوازن ، لتؤدي وظيفتها الحقيقية ، بالقدر والصورة التى خلقها الله لها ، عبادة وطاعة ، دون أن تطغى واحدة على الأخرى » (١٤) – وهذا هو دور (التربية الاقتصادية) فى التربية الاسلامية ، على نحو ما رأينا فى الفصلين الرابع والخامس ، أن تنتشل الانسان – بغرائزه وشهواته – من أفق ذاته الضيق ، فيتمكن من السيطرة عليها ، بدلا من أن تسيطر هى عليه ، « فالناس لا يتفقون على الخير والشر ، لا عن جهل أساسا ، ولا لتحول العالم المستمر ، ولا لأن الكمال بعيد المنال ، ولكن لأنهم – أولا وقبل كل شيء – متمركزون حول أنفسهم ، ثم هم بعد ذلك يعززون هذه الأنانية ويعمقونها ، باصطناعهم لفلسفة تهبط

---

(١١) قرآن كريم : سورة الإسراء – ١٧ : الآيات ٦١ – ٦٥ •

(١٢) قرآن كريم : سورة الأعراف – ٧ : الآيات ١١ – ١٨ •

(13) Alvar Elbing ; Op. Cit., p. 212.

(١٤) عدنان على رضا النحوى : ملامح الشورى فى الدعوة الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٤٦٠ •

فيها القيم الى مجرد اهتمامات أو شهوات أو رغبات ، يستبعد فيها كل رجوع للخير ، من حيث هو خير ، وللصواب من حيث هو صواب . وهكذا تقدم هذه الفلسفة الضمان والعون النظرى لخدمة الذات . فإن أريد لهذا السبب الرئيسى من أسباب الفشل والفوضى الخلقية أن يزول، وجب أن ينصرف الهدف المركزى من التربية والتعليم ، الى تحويل الناس الى خدمة الخير ، بدلا من اجتذاب اللذة والسرور لأنفسهم » (١٥) - على حد تعبير فيليب فينكس .

وفى هذا الضوء ، يمكن أن نفهم معنى قول الله سبحانه :

- **« للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ، ولله المثل الأعلى ، وهو العزيز الحكيم » .**

فالانسان (مفطور) على أن يصعد بغرائزه ورغمها ، والناس « يتناقضون - بكفرهم - مع فطرتهم التى فطرهم الله عليها » (١٦) ، على حد تعبير عبد الله يوسف على ، فى شرحه للآية ، وهو تناقض **يؤدى بهم الى مشقة وتعب وارهاق ، أحسن القرآن الكريم التعبير عنها،** بقول الله سبحانه :

- **« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ، أن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون . من يهد الله فهو المهتدى ، ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون . ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون » (١٧) .**

ويؤكد هذا المعنى الذى ذهب اليه عبد الله يوسف على من تناقض الكفار بكفرهم مع الفطرة التى فطرهم الله عليها ، مما يؤدى الى

---

(١٥) فيليب هـ . فينكس : **التربية والصالح العام** (مرجع سابق) ، ص ٧ ، ٨ .

(16) Abdullah Yusuf Ali : **The Holy Quran, Text, Translation and Commentary,** Volume One ; Hafner Publishing Company, New York, 1946, p. 671.

(١٧) قرآن كريم : **سورة الأعراف - ٧** : الآيات ١٧٥ - ١٧٩ .

شقائهم فى حياتهم الدنيا ، مهما توفر لهم من أسباب تملكها ، من مال وولد وسلطان - يؤكـده تقريـر القرآن الكريم ذاته لهذه الحقيقة ، فى مواطن كثيرة ، منها قول الله سبحانه :

- « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ، انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا ، وتزهق انفسهم وهم كافرون » (١٨) .

ويرى وحيد الدين خان - تعليقا على مثل هذه الآية - أن الكفار يعيشون حياتهم الدنيا ، يستبد بهم « الشعور بعدم الطمـأنينة ، الذى يسيطر على أرواح الذين يكفرون بالله معبودا لهم ، ويخيـل اليهم فى غمرة الملذات المؤقتة ، والأعمال الدنيوية الشاغـلة ، انهم قد ظفـروا بالاستقرار ، ولكنهم لا يلبثون أن يحسوا مرة أخرى بأنهم محرومون من الطمأنينة والسعادة والاستقرار » ، وهى « البادرة الأولى لحيـاة الخنق الأبدية ، التى سوف يواجهونها بعد موتهم دون شك » ، أو هى « أجراس التنبيه الأولى فى حيـاتهم ، تنذرهم بالأحـوال الرهيبة والظروف المروعة التى سوف تمر بأرواحهم ، وهى دخـان من الجحيم الذى لابد لهم أن يخلدوا فيه » (١٩) .

وعلى النقيض من هذه الحياة المروعة التى يعيشها الكافرون فى دنياهم ، والتى هى نذير بما ينتظرهم من عذاب الله فى الآخرة - حياة الطمأنينة والرضا التى ينعم بها المؤمنون فى دنياهم ، مهما كانت الحالة التى يعيشون عليها فى هذه الحياة الدنيا ، وهو ما يشير اليه القرآن الكريم فى مواطن كثيرة ، منها قول الله سبحانه :

- « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب ؟ الذين آمنوا وعمـلوا الصـالحات ، طوبى لهـم وحسـن مآب » (٢٠) .

واذا كان الايمان يفضى الى طمـأنينة نفس فى الحياة الدنيـا ، واستمتاع حقيقى بها ، ناتج عن (الرضا) بما أنعم الله سـبحانه على

---

(١٨) قرآن كريم : سورة التوبة - ٩ : الآية ٥٥ .

(١٩) وحيد الدين خان : الاسـلام يتحدى ، مدخـل علمى الى الايمان - ترجمة ظفر الإسلام خان - مراجعة وتقديم دكتور عبد الصبور شاهين - الطبعة الخامسة - المختـار الإسـلامى - القاهرة - ١٩٧٤ ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢١) قرآن كريم : سورة الرعد - ١٣ : الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .

الانسان فيها ، أفلا يكون (صفقة تجارية) رابحة ، بوصفه « ترياقا أكثر فعالية من كل العقاقير والكتب » (٢١) ، على حد تعبير الدكتور مصطفى محمود ، ولذلك ينصح به الأطباء ، « توقيا للجحيم المنصوص عليه فى هذه الحياة الدنيا - جحيم قرحة المعدة والانهيار العصبى والجنون » (٢٢) - على حد تعبير ديل كارنيجى ؟

واعتبار الإيمان (صفقة تجارية رابحة) من تعبيرات القرآن الرائعة فى هذا المجال ، على نحو ما نرى فى مثل قول الله سبحانه :

- « ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور » (٢٣) .

- « يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (٢٤) .

وفى مقابل أولئك الذين (ربحت تجارتهم) بالإيمان ، نجد **أولئك الذين (ما ربحت تجارتهم) ، بالكفر ، على حد تعبير القرآن الكريم** فى قول الله سبحانه :

- « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين » (٢٥) .

واذا كان الإيمان بالله سبحانه (صفقة تجارية رابحة) دنيويا وأخرويا على هذا النحو ، **فان هذا الإيمان بالله يكون فضلا يمن** به سبحانه على من اهتدى :

- « يمنون عليك أن اسلموا ، قل لا تمنوا على اسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ان كنتم صادقين » (٢٦) .

ونذكر هنا بان الانسان مثلما هو مفطور على الصعود والعلو ، الى درجة الإيمان بالله سبحانه ، واتخاذه مثلا أعلى له ، فهو -

---

(٢١) مصطفى محمود : **لغز الحياة** - الطبعة الخامسة - دار العودة - بيروت - ١٩٧٤ ، ص ١١٥ .

(٢٢) ديل كارنيجى : **دع القلق وابدأ الحياة** - تعريب عبد المنعم محمد الزيادى - الطبعة الخامسة - مؤسسة الخانجى بمصر - القاهرة ، ص ٢٨٧ .

(٢٣) قرآن كريم : **سورة فاطر** - ٣٥ : الآية ٢٩ .

(٢٤) قرآن كريم : **سورة الصف** - ٦١ : الآيتان ١٠ ، ١١ .

(٢٥) قرآن كريم : **سورة البقرة** - ٢ : الآية ١٦ .

(٢٦) قرآن كريم : **سورة الحجرات** - ٤٩ : الآية ١٧ .

كذلك - مفطور على السعى والعمل وبذل الجهد ، التى هى الترجمة العملية للاستخلاف فى الأرض ، على نحو ما سبق فى أكثر من مناسبة فى الفصول السابقة .

أما عن أساليب تحقيق هذا الهدف الفردى ، فكثيرة ، فى مقدمتها التربية ، بالمعنى الواسع للكلمة ، كما رأيناه فى الفصل الأول ، وخاصة التربية الأسرية - اضافة الى أسلوب القدوة والأسوة الحسنة ، واضافة الى أسلوب الوعظ والارشاد ، والتذكير باليوم الآخر - وخطبة الجمعة هنا ذات دور كبير فى ذلك ، اضافة الى وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرى الحديثة بطبيعة الحال ، واضافة الى الجو العام فى المجتمع ، وهى كلها مما سنعود اليه مرة ثانية ان شاء الله فيما بعد .

الأهداف الاجتماعية للتربية الاقتصادية فى الاسلام :

تحدثنا فى الفصل الأول عن العلاقة العضوية القائمة بين الفرد والمجتمع ، ورأينا أن الانسان مثلما فطره ربه على أن يعيش محكوما بمجموعة من الغرائز والشهوات والنوازع ، جاء الإسلام ليزكيها ، ويرفع الانسان الى أعلى من خلال هذه التزكية ، فإن الله سبحانه قد فطره على ألا يعيش بنفسه وحدها ، ولا لنفسه وحدها ، فجعل هذا العيش للغير وبالغير جزءا من مفهوم الاستخلاف فى الأرض ، ويتسع هذا (الغير) فى الاسلام ليشمل غير الانسان أيضا ، على نحو ما نرى فى مثل قول الرسول ﷺ :

- « ما من مسلم غرس غرسا ، فأكل منه انسان أو دابة ، الا كان له صدقة » (٢٧) .

ويفتح الاسلام باب الخير وحبه وممارسته لكل مؤمن به ، وسائر على نهجه ، مهما كانت قدراته وامكانياته ، تمكينا لكل انسان من أن يجعل الخير هو وجهته ، على نحو ما نرى فى مثل قول الرسول ﷺ :

- « على كل مسلم صدقة ، قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : فيعمل بيديه ، فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا : فإن لم يستطع أو لم يفعل ؟ قال: فيعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال فيأمر بالخير ،

---

(٢٧) البخارى (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى) : **صحيح البخارى** - الجزء الثامن (مرجع سابق) ، ص ٢ (من كتاب الأرض) .

أو قال بالمعروف . قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : فيمسك عن الشر ، فإنه له صدقة » (٢٨) .

- « المسلم أخو المسلم ، لا يَظلمه ولا يُسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ، ستره الله يوم القيامة » (٢٩) .

- « من دل على خير ، فله مثل أجر فاعله » (٣٠) .

ويعتبر الرسول ﷺ (التحاسد) فى ممارسة الخير وعليه ، هو التحاسد المطلوب والمرغوب فيه ، على نحو ما نرى فى مثل قوله ﷺ :

- « لا حسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلّطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة ، **فهو يقضى بها ويُعلمها » (٣١) .**

ويعتبر ﷺ أنفع الأعمال أبقاها وأبعدها تأثيرا ، وأقدرها على البقاء ، حتى بعد موت صاحبها ، على نحو ما نرى فى مثل قوله ﷺ :

- « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » (٣٢) .

وهكذا تكون حياة الجماعة وصالحها أمانة فى رقبة كل فرد من أفرادها ، وتكاد أن تكون هى المجال الحيوى الذى يتفاعل المسلم معه ، ليمارس فيه (المعاملات) التى أمر بها الاسلام ، ليدخل - من خلال **تفاعله معها - الجنة ، أو يقذف به فى النار ، بقدر أدائه لها على**

---

(٢٨) المرجع السابق ، ص ١٣ (من كتاب الأدب) .

(٢٩) البخارى (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى) : **صحيح البخارى** - الجزء الثالث (مرجع سابق) ، ص ١٦٨ (من كتاب المظالم) .

(٣٠) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى - نقلا عن :
- الشيخ منصور على ناصف : **التاج الجامع للأصول ، فى أحاديث** الرسول ﷺ - الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٣١) البخارى (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى) : **صحيح البخارى** - الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٢٨ (من كتاب الإيمان) .

(٣٢) رواه مسلم والترمذى وأبو داود والنسائى - نقلا عن :
- الشيخ منصور على ناصف : **التاج الجامع للأصول ، فى أحاديث** الرسول ﷺ - الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٧٥ .

النحو الذى حدده القرآن والسنة ٠ الا أن مفهوم الجماعة مفهوم واسع، يبدأ من الأهـل والعشـيرة الأقـربين ، على حد مـا نرى فى قول الله سـبحانه :

- « يأيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ، وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غـلاظ شـداد ، لا يعصـون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون » (٣٣) ٠

ومن الأهل والعشيرة ، يتسع مفهوم الجماعة حتى يشمل الأمـة كلها ، التى يشبهها الرسول ﷺ فى حركة حياتها اليومية ، بالسفينة التى تخوض فى بحر لجى ، والتى قد يأتيها الخطر من خطأ بعض ركابها ، وسكوت البعض الآخر على هذا الخطأ ، على نحو ما نرى فى قول الرسول ﷺ :

- « مثل المدهن فى حدود الله والواقع فيها ، مثل قوم استهموا فى سفينة ، فصار بعضهم فى أسفلها وصار بعضهم فى أعلاها ، فكان الذى فى أسفلها يمر بالماء على الذين فى أعلاها ، فتأذوا به ، فـأخذ فأسا ، فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه فقالوا : ما لك ؟ قال : تأذيتم بى ، ولابد لى من الماء ٠ فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم ، وان تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم » (٣٥) ٠

وهذا هو (القانون) الذى وضعه الله سبحانه لهلاك المجتمعات، والذى نراه فى الحديث السابق ، فى استهتار البعض ، ولا مبالاة البعض الآخر ، مهما كانت أسباب هذه اللامبـالاة ، على نحو ما نرى فى قول الله سبحانه :

- « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا ٠ وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح ، وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا » (٣) ٠

---

(٣٣) قرآن كريم : سورة التحريم - ٦٦ : الآية ٦ ٠

(٣٤) قرآن كريم : سورة الشعراء - ٢٦ : الآيات ٢١٣ - ٢١٥ ٠

(٣٥) البخارى (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى) : صحيح البخارى - الجزء الثالث (مرجع سابق) ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ (من كتاب الشهادات) ٠

(٣٦) قرآن كريم : سورة الإسراء - ١٧ : الآيتان ١٦ ، ١٧ ٠

وبهذا القانون الرباني تم اهلاك أمم كثيرة ، كما نرى في الآيتين السابقتين ، لأن (السكوت) على الخطأ يعتبر رضا به ، وموافقة عليه ، على نحو ما نرى فى وصف القرآن الكريم لقوم فرعون ، حيث يقول سبحانه :

- « ونادى فرعون فى قومه ، قال : أليس لى ملك مصر ، وهذه الأنهار تجرى من تحتى ؟ افلا تبصرون ؟ أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ؟ فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين . فاستخف قومه فأطاعوه ، انهم كانوا قوما فاسقين . فلما آسفونا انتقمنا منهم ، فاغرقناهم اجمعين . فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين » (٣٧) .

ومثلما وضع الله سبحانه (قانونا) لهلاك المجتمعات ، فإنه وضع قانونا لبنائها ونموّها وتقدمها وازدهارها ، نجده فى مثل قول الله سبحانه :

- « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا ، فأخذناهم بما كانوا يكسبون » (٣٨) .

ولأن هذا القانون قد أتيح له أن يفصّل فى الشريعة الاسلامية ، وأن يتحول الى (نظام) تم العمل به بالفعل فى حياة الأمة الاسلامية ، على الأقل فى عصر صدر الاسلام ، كان وصف الله سبحانه للأمة الاسلامية بأنها (خير أمة أخرجت للناس) ، وأن ربط هذه (الخيرية) بهذا القانون ، حيث يقول سبحانه :

- « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ... » (٣٩) .

والتاريخ الاسلامى الطويل يشهد على أن عطاء الخير فيها لم يتوقف بعد هذا العهد الاسلامى الأول ، فما من عصر من عصور الاسلام الا وظهر فيه دعاة الى الله والى العودة الى الاسلام الحق ، لممارسة الايمان الصحيح بالله ، وما من عصر من عصور الاسلام يخلو من شهداء على هذا الطريق .

---

(٣٧) قرآن كريم : سورة الزخرف - ٤٣ : الآيات ٥١ - ٥٦ .
(٣٨) قرآن كريم : سورة الأعراف - ٧ : الآية ٩٦ .
(٣٩) قرآن كريم : سورة آل عمران - ٣ : الآية ١١٠ .

وأولئك الذين وافقوا على الرهبانية واتخاذ الصوامع فى الاسلام من الفقهاء ، انما اتفقوا على أن ذلك « مندوب اليه فى ديننا ، عند فساد الزمان » (٤٠) ، عندما يحس الانسان المسلم بأن امكانياته أضعف من أن يقاوم بها السقوط فى المهالك والمحرمات ، « فإذا كانت العزلة مؤدية الى السلامة ، فهى الأولى فى أزمنة الفتن ، والفتن لا تختص بفتن الحروب فقط ، فهى جارية فى الجاه والمال وغيرهما من مكتسبات الدنيا ، وضابطها ما صد عن طاعة الله » (٤١) ، حيث تصير « مخالطة الناس وبالا على الانسان » (٤٢) ، تماما كما فعل خيار النصارى ، عندما « أحدث الملوك البدع ، وضيعوا أمر النبيين ، وأكلوا الخنازير » (٤٣) .. الخ ، مما يدل على أن الاعتزال قد يكون فرارا بالدين ، أو (هجرة) به ، وليس هروبا من الحياة وأعباء الايمان .

وأسلوب الوعظ والارشاد ، والتذكير ، والوعد والوعيد ، هو الأسلوب المتبع عادة لتحقيق مثل هذه الأهداف الاجتماعية ، وهذا هو دور العلماء المخلصين ، وما حدث في أيام التتار والصليبيين خير شاهد عليه ، كما يشهد عليه أيضا ما قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦هـ = ١٧٠٣ - ١٧٩٢م) فى قلب الجزيرة العربية ، وقد استطاع أن يتصل بالسلطة السياسية فى عهده ، ويحوّل دعوته - من خلالها - الى (نظام) ، يعيشه المسلمون اليوم فى كل مكان فى العالم ويفخرون به .

الأهداف الانسانية للتربية الاقتصادية الاسلامية :

كانت أزمة (الإنسان) - يوم ظهر الإسلام - أنه كان موزعا بين طاغوتين كبيرين ، يمثل أحدهما الوثنيات القديمة ، التى تتخذ من عناصر الطبيعة معبودات لها ، كما كان يحدث فى الامبراطورية الفارسية وما يتبعها من (دول) ، ويمثل الثانى الوثنيات الحديثة ، التى استطاعت أن تضع بصمتها الوثنية على دين من أديان السماء ، كان

---

(٤٠) الشاطبى (العلامة المحقق الأصولى النظار، الإمام أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد ، اللخمى الشاطبى ، ثم الغرناطى ، رحمه الله تعالى) : الاعتصام - الجزء الثانى (مرجع سابق) ، ص ٧٧ .

(٤١) المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٤٢) المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٤٣) المرجع السابق ، ص ٨٣ .

آخرها نزولا قبل الاسلام ، هو المسيحية ، التي يرى ول ديورانت انها « كانت آخر شيء عظيم ، ابتدعه العالم الوثنى القديم » (٤٤) ، على حد تعبيره ، حيث لم تجد لها مكانا بين اليهود ، الذين أرسلت اليهم، وفصلت عليهم تفصيلا ، مما جعل المؤمنين بها (يفرون) بها من فلسطين ، و « اضطر المبشرون المسيحيون الى تطعيم المسيحية ببعض الطقوس والعادات والشعائر التى وجدوها فى تلك الشعوب الوثنية » (٤٥) ، ومن ثم تأثرت بفكرة (الثالوث المقدس) عند قدماء المصريين (٤٦) ، وبالديانات الهندية واليونانية (٤٧) وغيرها من الديانات الوثنية المنتشرة فى جميع انحاء العالم وقتئذ (٤٨) ، مما أتاح الفرصة ليهودى « لم ير المسيح مرة واحدة فى حياته » (٤٩) ، « تظاهر بالنصرانية ، وحرّفها تحريفا » (٥٠) ، وصار المهندس الحقيقى لها ، وهو اليهودى شاءول ، الذى اشتهر بين المسيحيين باسم (القديس بولس) ، أو (بولس الرسول) (٥٣) ، والذى لم يتح لرأيه أن يؤخذ به فيها الا بعد أن فرضه الامبراطور قسطنطين ، بعد أكثر من

---

(٤٤) ول ديورانت : قصة الحضارة - الجزء الثالث من المجلد الثالث (١١) (قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية) - ترجمة محمد بدران - الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٥ ، ص ٢٧٦ .

(٤٥) محمد مجدى مرجان : الله واحد أم ثالوث - دار النهضة العربية - القاهرة ، ص ٨٤ .

(٤٦) المرجع السابق ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٤٧) القائمقام ترتن : كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صحة الديانة المسيحية - تأليف وجمع القائمقام ترتن ، من فرقة المهندسين - ترجمة حبيب أفندى سعيد - الطبعة الثانية - مطبعة النيل المسيحية بالمناخ بمصر - القاهرة - ١٩٢٥ ، ص ٤٦١ (من الهامش) .

(٤٨) ابراهيم خليل أحمد : محمد ، فى التوراة والإنجيل والقرآن - الطبعة الثالثة - مكتبة الوعى العربى - القاهرة، ص٧٥،٧٦ .

(٤٩) دكتور محمود محمد مزروعة : دراسات فى النصرانية ، مع مقدمة فى دراسة الأديان - ١٩٧٩ ، ص ٩٨ .

(٥٠) الشيخ رحمت الله الهندى (١٢٣٣ - ١٣٠٨هـ) : اظهار الحق - تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازى السقا - الجزء الأول - دار التراث العربى للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٧٨ ، ص ٢٠ .

(٥١) نذكر هنا بما فعله اليهودى عبد الله بن سبأ فى الاسلام .

ثلاثة قرون (سنة ٣٢٥م) ، فى وقت « ما كان مسيحيا » فيه ، و « كان له فى هذا أرب خاص ، وهو تقريبها من وثنيته » (٥٢) .

وقد استطاع الاسلام أن يخلص (الانسان) من الطاغوتين معا ، **عندما تحول الى (نظام) قادر على أن يقدم (للإنسان) البديل** الصالح لحياته .

ولقد كان انتصار الاسلام - كنظام - انتصارا - فى الواقع - للإنسانية ذاتها ، التى لم تشهد - فى عصر تفوقه - اية قلاقل أو اضطرابات تذكر ، كتلك التى شهدها قبله بين الفرس والروم ، أو كتلك التى يشهدها اليوم بين الغرب والشرق ، اللذين اثبتت الأحداث المعاصرة أنهما لا يجتمعان على شىء ، الا اذا كان هذا الشىء يتصل بعداوة الاسلام والنيل منه والكيد له - وهو ما أكدته الأحداث الأخيرة ، التى **افتتح بها العقد الأخير من هذا القرن العشرين ، فى ظل ما يسمى (بالنظام العالمى الجديد) .**

ان (الفراغ) الدينى الذى نتج عن (انحسار) الاسلام ، خاصة **فى العصر العباسى الثانى وما تلاه من عصور ، هو الذى أضر بالانسان** وحضارته اضرارا بالغا ، تعيشه اليوم - قلقا وتوترا وخوفا من المستقبل أو من المجهول ، رغم التقدم العلمى والتكنولوجى ، الذى عرف به الانسان كثيرا من حقائق الكون وأسراره ، وحل به كثيرا من مشكلات **حياته اليومية ، ويسر له سبل هذه الحياة ، على نحو ما سبق .**

لقد أدى هذا (الفراغ) الدينى الى (سيادة) نموذج الحياة الوثنى ، أيا كانت هويته الوثنية ، على الحياة البشرية ، وانتقال هذا النموذج الوثنى للحياة الى المنزل الاسلامى والمجتمع الاسلامى ، فى معظم البلاد الاسلامية ، لتتحمل (جماهير المسلمين) - على حد تعبير الشهيد عبد القادر عودة - مسئوليتها « عما انتهى اليه أمر الاسلام » ، « بانحرافها شيئا فشيئا عن الاسلام ، حتى كادت تنسلخ عنه ، دون أن **تدرى أنها انسلخت عن الإسلام .**

ان جماهير المسلمين قد ألفت الفسق والكفر والالحاد ، حتى أصبحت ترى كل ذلك ، فتظنه أوضاعا لا تخالف الاسلام ، أو تظن أن الاسلام لا يعنى بمحاربة الفسق والكفر والإلحاد » . « ان جماهير

---

(٥٢) الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة : **محاضرات فى النصرانية (تبحث الأدوار التى مرت بها عقائد النصارى ، وفى كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم)** - الطبعة الرابعة - **دار الفكر العربى - القاهرة -** ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، ص ١٤٦ .

المسلمين قد فقدوا القوة والعزة والكرامة ، فهم يعيشون عبيدا للاقوياء ، وعبيد للاستعمار ، وعبيدا للحكام » . « ان جماهير المسلمين فى غفلة قاتلة ، انهم فى غفلة عن دينهم ، وفى غفلة عن دنياهم ، وفى غفلة عن أنفسهم ، ويوم تتفتح أعينهم على الحقائق ، سيعلمون أنهم خسروا دنياهم وآخرتهم ، بما فرطوا فى جنب الله ، وبما انحرفوا عن كتاب الله » (٥٣) ، فصار طابع حياتهم المميز ، الذى يعرفون به أنفسهم ، ويعرفهم به غيرهم ، « السلبية واللامبالاة وتقديم النفاق ، كقربان الى الحكام» (٥٤) .

وهكذا انتقل هذا (الفراغ) الدينى الى أرض الاسلام ذاتها ، على يد جماهير المسلمين نفسها ، بعد أن صارت صورة سيئة له ، فإن « السبب فيما يعانيه الاسلام على يد أبنائه ، قبل أعدائه ، أن هؤلاء الأبناء ، مع الأسف الشديد ، لا يعرفون عن الاسلام كثيرا أو قليلا ، ويقيسون مبادئه وقيمه ومفاهيمه ، بما هو سائد اليوم فى ديار العروبة والاسلام ، من ضياع وفراغ وجهل وتهتك وفجور ، ولذلك يعتقدون أن لا سبيل الى النهوض الا بالانسلاخ عن الدين ، كما انسلخت أوربا ، واقتباس الحضارة الأوربية بمحاسنها ومساوئها الاخلاقية ، وفلسفات الرفض والتمرد والعبث والتشنج ، وقصر حاجة الانسان على الخبز والجنس والأفيون » (٥٥) ـ على حد تعبير سعد جمعة .

ويزيد الأمر سوءا ـ عند الشهيد عبد القادر عودة ـ أن ذلك كله حدث ، « فما تحرك العلماء للمظالم ، ولا غضبوا من استحلال المحارم ، كأن الاسلام لا يطلب اليهم شيئا ، ولا يفرض عليهم فرضا ، ولا يوجب عليهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » (٥٦) ، مما حول الإسلام

---

(٥٣) الشهيد عبد القادر عودة : **الإسلام بين جهل أبنائه ، وعجز علمائه** ـ المختار الإسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٥٤) الدكتور محمد البهى : **الإسلام فى حل مشاكل المجتمعات الإسلامية المعاصرة** ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ، ص ١٢٧ .

(٥٥) سعد جمعة : **الله أو الدمار** ـ الطبعة الثالثة ـ المختار الإسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ، ص ٤٤ .

(٥٦) الشهيد عبد القادر عودة : **الإسلام بين جهل أبنائه ، وعجز علمائه** (مرجع سابق) ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

الى « اسـلام جـامد ، واقف ، لا ينقص ولا يزيـد ولا يتحـرك » - « اسلام سلبى ، لا يتدخل فى شئون المجتمع والحياة ، بل يترك الحبل على غاربه » ، وذلك - عند محمد الحسنى - هو « اسلام (المسالمين)، لا المسلمين » (٥٧) .

ونتيجة لذلك ، نستطيع أن ندعى أن هذا الهدف الانسـانى قد تحقق على أفضل صورة طوال خمسة قرون من العصور الوسطى ، كان النظام الإسلامى فيها نظاما فاعلا ، حيث « ظل الاسلام خمسة قرون ، من عام ٧٠٠ الى عام ١٢٠٠ ، يتزعم العـالم كـله فى القوة والنظـام وبسطة الملك ، وفى ارتفـاع مستوى الحيـاة والأدب والبحث العلمى والعلوم والطب والفلسفة » (٥٨) ، وأنه بعد هذه القرون الخمسة ، لم يعد قادرا على التحقق ، بسبب غياب الاسـلام - نظـاما فاعلا - عن ساحة عمـله الحقيقية ، وهى البلاد الاسـلامية ذاتها ، التى (غرقت) فى عصورها الحديثة فى « استيراد المبـادئ والخطط ، واسـتعارة النظم والشرائع ، من خلف السـهوب ، ومن وراء البحـار » (٥٩) ، فوقعت فى « ضرب من الصبيانية الاقتصادية Economisme » (٦٠) ، على حد تعبير الدكتور مالك بن نبى ، حتى صـارت مسرحا للمذاهب المختلفـة ، ممـا « فـرض تفـاعلات سريعـة على المشرق العربى (والإسلامى) ، وانتقل تأثيره الفكرى والنفسى الى الناشئة » (٦١) ،

---

(٥٧) محمد الحسنى : **الإسلام الممتحن** - تقديم المفكر الاسلامى الكبير ، أبو الحسن النـدوى - الطبعة الأولى - المختـار الإسـلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، ص٢٦،٢٧ .

(٥٨) الدكتـور وهيب ابراهيم سـمعان : **الثقـافة والتربية فى العصور الوسطى ، دراسة تاريخية مقارنة** - من سلسلة (دراسـات فى التربية) - دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٦٢ ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٥٩) سيد قطب : **العدالة الاجتمـاعية فى الإسـلام** - الطبعة الثالثة - مطبعة دار الكتاب العربى بمصر - القاهرة - ١٩٥٢ ، ص ٥ .

(٦٠) مالك بن نبى : **المسلم فى عالم الاقتصـاد** - دار الشروق - القاهرة - ١٩٧٢ ، ص ٤٣ .

(٦١) د. محمد جابر الأنصارى : **تحولات الفكر والسياسة فى الشرق العربى (١٩٣٠ - ١٩٧٠)** - رقم (٣٥) منسلسلة (عالم المعرفة)- المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ذو الحجة ١٤٠٠هـ/ المحرم ١٤٠١هـ - نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٨٠م ، ص ٨٧ .

لتستمر دوامة الضياع ، ويستمر عجز النظام عن تحقيق هذا الهدف الانسانى .

اعلاء كلمة الله فى الأرض :

ان الذى يقرأ الأحاديث النبوية الشريفة يلفت نظره اشارة الرسول ﷺ كثيرا الى ان مثل هذا الذى يجرى من حولنا اليوم ، مما رأينا بعضه فيما سبق ، سوف يحدث (فى آخر الزمان) ، أو (بعده) .

فعن الأثرة والأنانية ، نرى قوله ﷺ للأنصار :

- « ... انكم سترون بعدى أثرة، فاصبروا حتى تلقونى »(٦٢).

وعن اقبال المسلمين على الدنيا ، بشكل يُنسيهم الآخرة ، نجد عددا من الأحاديث النبوية الشريفة ، يستعرضها الحبيشى (ت ٧٨٢هـ) فى سياق حديثه عن القضية ، وكأنه يعيش بيننا اليوم : « قال ﷺ (سيأتى بعدى قوم يأكلون أطايب الدنيا ويلبسون ألين الثياب وألوانها، ويركبون فره الخيل وألوانها ، ينكحون أجمل النساء وألوانها ، بطونهم بالقليل لا تشبع ، وأنفسهم بالكثير لا تقنع ، عاكفين على الدنيا ، يغدون ويروحون اليها ، اتخذوها الها من دون الله ، وربا من دون ربهم، الى غيّهم ينتهون ، وهواهم يتبعون ، فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم ، أو خلف خلفكم ، أن لا يسلم عليهم ، ولا يعود مرضاهم ، ولا يشيّع جنائزهم ، ولا يوقّر كبيرهم ، فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام) » (٦٣) ، « وقال ﷺ والله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا ، كما بسطت على من كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم) ، وقال ﷺ (ان لكل قوم فتنة ، وفتنة أمتى المال) » ،

---

(٦٢) رواه أحمد والبخارى - نقلا عن :
- الشوكانى (الشيخ الإمام المجتهد ، قاضى قضاة القطر اليمانى، محمد بن على بن محمد الشوكانى) : **نيل الأوطار ، شرح منتقى الأخبار ، من أحاديث سيد الأخيار** - الجزء الخامس (مرجع سابق) ، ص ٣٥١ .

(٦٣) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابى الحبيشى المتوفى سنة ٧٨٢ : **البركة فى فضل السعى والحركة** (مرجع سابق) ، ص ٤٥ .

« وقال ﷺ (لا تفتح الدنيا على أحد ، الا ألقت بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) ، وقال ﷺ (ان أخوف ما أخاف عليكم ، ما يخرج الله لكم من بركات الأرض وزهرة الدنيا) » (٦٤) .

كما يستعرض لنا الشاطبى عددا من هذه الأحاديث ، منها ما ورد فى « الصحيح عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول ﷺ (انكم سترون بعدى أثرة وأمورا تنكرونها - قلنا : فما تأمرنا يارسول الله ؟ قال : أدوا اليهم حقهم ، وسلوا حقكم » (٦٥) ، « وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ (ان بين يدى لأياما ينزل فيها الجهل ، ويرفع فيها العلم ، ويكثر فيها الهرج) ، والهرج القتل » (٦٦) ، « وعن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: (تخرج فى آخر الزمان أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقرءون القرآن ، لا يجاوز تراقيهم ، يقولون من قول خير البرية ، يمرقون كما يمرق السهم من الرمية) » (٦٧) .

« ومن غريب حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (اذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة ، حل بها البلاء، قيل : وما هى يارسول الله ؟ قال : اذا صار المغنم دولا ، والأمانة مغنما، والزكاة مغرما ، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه ، وبر صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات فى المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وشربت الخمور ، ولبس الحرير ، واتخذت القيان والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء ، وزلزلة وخسفا ، أو مسخا وقذفا » (٦٨) .

واذا ما تركنا الشوكانى والحبيشى والشاطبى وما يروونه من أحاديث نبوية شريفة فى هذا المجال ، ورجعنا الى كتب الصحاح نفسها، وجدنا - اضافة الى ما سبق - مثل قول الرسول ﷺ :

---

(٦٤) المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٦٥) الشاطبى (العلامة المحقق الأصولى النظار ، الإمام أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد ، اللخمى الشاطبى ، ثم الغرناطى ، رحمه الله تعالى) : **الاعتصام** - الجزء الثانى (مرجع سابق)، ص٢٣٠ .

(٦٦) المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

(٦٧) المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .

(٦٨) المرجع السابق ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

- « ليأتين على الناس زمان ، لا يبالى المرء بما أخذ المال ، أمن حلال أم من حرام ؟ » (٦٩) .

- « انه سيصيب أمتى داء الأمم ، قالوا : وما داء الأمم ؟ قال : الأشر والبطر والتكاثر والتنافس فى الدنيا ، والتباعد والتحاسد ، حتى يكون البغى ثم الهرج » (٧٠) .

ومن المنطقى أن يؤدى هذا التكالب على الدنيا الى ضعف وهوان، يغرى أعداء الله الكثيرين - كما حدث بالفعل فى أيام الصليبيين والتتار على سبيل المثال - بالانقضاض على الإسلام ، ومحاولة الإجهاز عليه ، وهو ما عبّر عنه الرسول ﷺ بقوله :

- « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة الى قصعتها، فالوا : أمن قلة يارسول الله نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، وسينزعن الله الرهبة منكم من قلوب أعدائكم ، وسيقذفن فى قلوبكم الوهن ، قالوا : ما الوهن : قال حب الدنيا ، وكراهية الموت » (٧١) .

وليست هذه الأحاديث النبوية الشريفة وأمثالها - وهى بالفعل كثيرة كثيرة - دعوة الى اليأس والقنوط ، فاليأس والإيمان لا يجتمعان، ولكنه تحذير المؤمنين ، حتى يظلوا أبدا على بيّنة من أمرهم ، وقد وجه القرآن الكريم مثل هذا التحذير الى الرسول ﷺ ذاته ، فى مثل قول الله سبحانه :

- « ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك : لئن أشركت ليحبطن عملك ، ولتكونن من الخاسرين . بل الله فاعبد ، وكن من الشاكرين » (٧٢) .

---

(٦٩) رواه أبو هريرة ، وأخرجه البخارى والنسائى - ارجع الى:
- العماد مصطفى طلاس : **المصطفى ، من أحاديث المصطفى** (مرجع سابق) ، ص ٧٩٠ .

(٧٠) أخرجه ابن أبى الدنيا - نقلا عن :
- المرجع السابق ، ص ٧٩٨ .

(٧١) عن ثوبان رضى الله عنه ، وأخرجه الإمام أحمد وأبو داود - نقلا عن :
- المرجع السابق ، ص ٨٠٩ .

(٧٢) قرآن كريم : **سورة الزمر - ٣٩** : الآيتان ٦٥ ، ٦٦ .

- « وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره ، واذا لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبّتناك ، لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ، ثم لا تجد لك علينا نصيرا . وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ، واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا . سُنة من قد أرسلنا قبلك من رُسلنا ، ولا تجد لسنتنا تحويلا » (٧٣) .

ان الله سبحانه قد كتب لراية التوحيد أن تظل مرفوعة ، على أيدى من هداهم سبحانه الى تحمّل تبعات رفعها ومخاطره ، على نحو ما نرى فى مثل قول الله سبحانه :

- « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد » (٧٤) .

- « كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلى ، ان الله قوى عزيز » (٧٥) .

ولتبقى الراية مرفوعة ، فسيظل (حزب الله) موجودا فى اى مكان فى الأرض حتى تقوم الساعة ، وسيظل يطارد الشر والشرك و (حزب الشيطان) ، على نحو ما نرى فى تكملة قول الله سبحانه فيما سبق ، يختم به سورة (المجادلة) :

- « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادّون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه ، ويُدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضىَ الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزبُ الله ، ألا ان حزب الله هم المفلحون » (٧٦) .

وفى الوقت الذى رأينا فيه أحاديث نبوية كثيرة فيما سبق تحذر المؤمنين مما سيحدث (بعده) أو (فى آخر الزمان) ، فاننا نرى أحاديث أخرى توضح هذا المعنى الذى تؤكده الآيات القرآنية ، من مثل قول الرسول ﷺ :

---

(٧٣) قرآن كريم : **سورة الإسراء - ١٧** : الآيات ٧٣ - ٧٧ .
(٧٤) قرآن كريم : **سورة غافر - ٤٠** : الآية ٥١ .
(٧٥) قرآن كريم : **سورة المجادلة - ٥٨** : الآية ٢١ .
(٧٦) قرآن كريم : **سورة المجادلة - ٥٨** : الآية ٢٢ .

ـ « بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا ، فطوبى للغرباء »(٧٧) .

أما عودته ، فهى تكون على يد عدد ممن اختارهم الله سبحانه وهداهم الى تحمّل تبعات هذه العودة ومخاطرها ، وتاريخنا المعاصر بالذات يشهد على مدى كثرتهم ، والى ذلك يشير مثل قول الرسول ﷺ:

ـ « ان الله يبعث لهذه الأمة ، على رأس كل مائة سنة ، من يجدد لها دينها » (٧٨) .

بل ان الحديث الشريف ليؤكد أن (حزب الله) الذى أشارت اليه الآية القرآنية موجود ، وسيظل موجودا حتى تقوم الساعة ، رغم ما أشارت الأحاديث فيما سبق الى انه سيحدث (بعده) ﷺ ، أو (فى آخر الزمان) ، حيث يقول ﷺ :

ـ « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتى أمر الله ، وهم كذلك » (٧٩) .

وبهذه (الطائفة) القليلة من الأمة الإسلامية ، الظاهرة على الحق ، تظل راية التوحيد مرفوعة ، ويخذل الشيطان وزبانيته ، وهذا هو ما أشار اليه الإمام الشيخ محمد عبده ، فى رده على هانوتو ، عندما كتب مقالا فى صحيفة (الأهرام) القاهرية ، يتهجم فيه على الإسلام ونبيه وعلى المسلمين ، ويصف الإسلام فيه « بأنه مرض وشلل

---

(٧٧) رواه مسلم فى باب الإيمان ، ورواه الترمذى فى باب الإيمان ، ورواه ابن ماجة فى باب الفتن ، ورواه الدارمى فى باب الرقاق ، ورواه ابن ماجة ، عن أبى هريرة وابن مسعود ، رضى الله عنهما ـ ارجع الى :

ـ أ. ى. ونسنك : **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى** ـ الجزء الرابع ـ دار الدعوة ـ استانبول ـ ١٩٨٦ ، ص ٤٧٣ (مادة غرب) .

(٧٨) عن أبى هريرة رضى الله عنه ـ أخرجه أبو داود ـ ارجع الى :

ـ العماد مصطفى طلاس : **المصطفى ، من أحاديث المصطفى** (مرجع سابق) ، ص ٨٠٣ .

(٧٩) أخرجه مسلم عن ثوبان وجابر ، وأخرجه الشيخان عن المغيرة ـ ارجع الى :

ـ المرجع السابق ، ص ٨١٥ .

وجنون وجذام » (٨٠) ، فرد عليه الأستاذ الإمام ، بأن الإسلام عندما جاء « يدعو العالم بأسره الى التوحيد » ، « هبت الوثنية واليهودية والنصرانية لمناوأة الإسلام ، وهى أكثر عددا ، وأوفر عددا ، وأعظم قوة ، وأشد بأسا ، فلم يكن الا قليل من الزمن ثم ظهر الحق ، ونفذ شعاعه الى القلوب ، فدخل الناس فيه أفواجا من كل ملة من الملل » (٨١) .

وهذه الثقة فى نصر الله كما تبدو فى رد الشيخ محمد عبده ، فى وقت كان العالم الإسلامى كله تقريبا واقعا تحت الاستعمار الغربى ، أو تحت سيطرة الصليبية الجديدة ـ تعكس هذه الروح الإسلامية الثابتة ، الواثقة من نصر الله ، مهما كانت الأحوال .

وهكذا تتحول القضية ، من قضية التوحيد الباقية الخالدة بإذن الله حتى تقوم الساعة ، رغم أنف الوثنيين واليهود والنصارى وكل جنود ابليس ، الى قضية الموحدين أنفسهم ، ومدى قدرتهم على السير بالقرآن الى آفاق القرن الحادى والعشرين ، بكل ما طرأ على الحياة فيه من متغيرات ، دون ما (جمود) على حالة من الحياة ، لا وجود لها الا فى بطون الكتب ، ودون ما (انجراف) وراء حياة قد شكلتها أصابع الشيطان ، فى بيئة قامت أساسا على اعلان الحرب على كل شىء ايمانى موحد ، فإن « الحركة فى البيئة الاجتماعية اما أن تكون بنّاءة مبدعة ، أو هدامة مدمرة ، فإذا حاولنا الرجوع الى حقائق القرآن والسنة وعملنا ـ فى ضوئهما ـ على صياغة مجار جديدة لتفكيرنا السياسى والاجتماعى ، كانت هذه الحركة بنّاءة من النوع الأول ، أما الذى نراه فى المجتمع الإسلامى اليوم ، من انجراف نحو الأفكار الغربية ، والنظم

---

(٨٠) الشيخ محمد عبده : **الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده** ـ جمعها وحققها وقدم لها : محمد عمارة ـ الجزء الثالث (الإصلاح الفكرى والتربوى والإلهيات) ـ الطبعة الأولى ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٢ ، ص ٢٧١ (من هامش الصفحة) .

(٨١) المرجع السابق ، ص ٢٧١ (من سلسلة مقالاته بجريدة المؤيد سنة ١٩٠٠ ، للرد على هانوتو فى حديثه مع صاحب الأهرام ، الذى نشر فيه) .

السياسية السائدة فى الغرب ، فهو حركة من النوع الثـانى » (٨٥) ، وهى حركة لا تقل عنها خطورة محاولات البعض (تجميد) الإسـلام على حالة لا وجود لها فى عالم المسلمين اليوم ، خاصة فى مجال العلم والتكنولوجيا ، التى اقتحمت ـ بالفعل ـ كل بيت مسلم ، وكل مجتمع مسلم ، ويزيد من خطورتها أن الذين يحملون لواءها اليوم فى العـالم الإسلامى ، جماعات من الشباب ، يبدو أنهم (يئسوا) من أى اصلاح ، وفقدوا الثقة فى كل (الكبـار) فى المجتمعات الإسـلامية ، فراحـوا « ـ بآيات محدودة من كتاب الله الكريم ، وأحاديث محدودة من كلام سيد المرسلين » ـ « ينصّبون من أنفسهم حراسا على الإسلام ، ويجرّمون من لا يجاريهم فى مهاجمة الكبار ، من آباء وعلماء وحكام » (٨٣) ٠

ان هذه (الطائفة) الظـاهرة على الحق ، التى وصـفها القرآن الكريم بأنها (حزب الله) ، مطالبة بأن تتحمل مسئوليتها ، حيثما كانت مواقعها ، على حد تعبير العـلامة أبى الأعلى المودودى (٨٤) ، حتى يتمكن الإسلام من أن يقوم بدوره البنّاء والتعميرى فى داخل المجتمعات الإسلامية ، ثم يقوم بدوره ـ بعد ذلك ـ فى تحقيق السلام العـالمى ، خاصة وأن الجو مهيـأ له اليوم ليقـوم بهذا الدور ، أكثر من أى وقت مضى ، بعد أن وصلت الحضارة المادية المعاصرة ـ بالفعل ـ الى طريق مسـدود ٠

---

(٨٢) محمد أسد : **منهاج الحكم فى الإسلام** ـ نقـله الى العربية منصور محمد ماضى ـ الطبعة الثانية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ كانون الثـانى ١٩٦٤ ، ص ٤٠ ٠

(٨٣) دكتور عبد الغنى عبود : **التربية الاسلامية والقرن الخامس عشر الهجرى** ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٨٢ ، ص ٩٩ ٠

(٨٤) أبو الأعلى المودودى : **نحن والحضارة الغربية** ـ دار الفكر ، للطباعة والنشر والتوزيع ـ دمشق ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ٠

الفصل السابع

مراحل التربية الاقتصادية فى الاسلام

[illegible]

[illegible]

تقـــديم :

يبسط لنـاويلارد أولســون قضية التربية ، حين يضـعها لنـا فى صورة معادلة رياضية ، توضح لنا (مدخلاتها) و (مخرجاتها) على النحــو التــالى :

« النضج × الرعـــاية = التـــطور » (١) ٠

ولا ينسى أولسون أن يفك لنا بعض رموز معادلته ، فيوضــح أن « من المألوف استعمال لفظ الرعـــاية بمعناه الواسع ، بحيث لا يشـمل التغذية فحسب ، وانما يشمل أيضا شتى الخبرات المعقدة التى نتطلبها فى التربية والتنشئة الاجتماعية ، فالكائن الحى فى تفاعل موصول مع بيئته » (٢) ٠

ذلك أن النمو ـ كما رأيناه فى الفصل الثالث ـ « هو عملية ترق، من الناحية الجسمية والفكرية والعقلية جميعا » (٣) ، أو هو « عملية تكيف مستمر ، تصل بين الـكائن وبيئته ، وتظل تـلائم بين العوامـل الداخلية التكوينية ، والعوامل الخارجية البيئية ، حتى تنشىء من هذا كله ، نمطا متسقا مؤتلفا من الحياة » (٤) ، هو الذى يعبر عنه باسم (الشخصية) Character، التى « تنمو كوحدة متماسكة ، فى انسجام وتوافق تام » ، « ولذلك يلاحـظ أنه اذا حدث اضـطراب أو نقص أو شذوذ فى أى مظهر منها » ، « أدى الى اضطراب فى التكوين العام والأداء الوظيفى للشخصية » (٥)

واذا كانت التربية الاقتصادية فى الإسلام ـ كما رأيناها فى الفصل الخامس ـ تعنى تربية المملم على (الاعتدال) ، فى مسالة المال وفى مسالة الإنتاج والاستهلاك والعبادة وغيرها ، فــإن القــاء عبء التربية

---

(١) ويلارد أولسون : **تطور نمو الأطفــال** ـ ترجمــة الدكتــور ابراهيم حافظ وآخرين ـ مراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصى ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٦٢ ، ص ٣١ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣ ٠

(٣) الدكتور محمد لبيب النجيحى : **مقدمــة فى فلســفة التربية** (مرجع سابق) ، ص ١١٧

(٤) دكتور فؤاد البهى السيد (مرجع سابق) ، ص ١٢٧ ٠

(٥) دكتور حامد عبد السلام زهران (مرجع سابق) ، ص ٦٥ ٠

الاقتصادية فى الاسلام على مؤسسة بعينها من مؤسسات المجتمع الاسلامى، يكون أمرا غير منطقى ، ويكون المنطقى هو أن نتابع التربية الاقتصادية للإنسان المسلم ، منذ بدايتها وحتى منتهاها ، وفى مختلف مراحلها ، لنقف على مدى التكامل بينها فى تحقيق أهداف الإسلام فى الفرد المسلم - موضوعها ٠

التربية الاقتصادية الإسلامية فى مرحلتى الحمل والرضاعة :

لحكمة أرادها الله سبحانه ، تحدثنا عنها فى الفصل الرابع ، عند الحديث عن (النظام الإسلامى) ، كان خلق الله للإنسان مزودا بعدد من (الشهوات) ، يصطلح علماء النفس المعاصرون على تسميتها بعدد من الأسماء ، أكثرها تواترا : الغرائز Instinctives أو دوافع السلوك Drives, Motives, Motivations ٠

ويعرّف الدافع بأنه « هو التغير الذى يطرأ على الكائن العضوى، فيدفعه الى الحركة ، استجابة لمنبهات خارجية أو داخلية ، ولدت فيه حالة من التوتر والتفكك » (٦) ، أو بأنه « قوة أو عامل أو استعداد أو حالة داخلية ، دائمة أو مؤقتة ، تثير السلوك الظاهر أو الباطن - فى ظروف معينة - وتواصله ، حتى ينتهى الى غاية معينة » (٧) ، ومن ثم تكون دراسة دوافع السلوك ، هى « دراسة للبواعث الداخلية ، المتوغلة جذورها فى أعماق الحالات الفسيولوجية والنفسية المتقلبة ، وفى أغوار التجارب الماضية » ، « تبحث فى المصادر الباطنية المحركة لتصرفاتنا ، والمنابع الأصلية ، التى يتفجر منها سلوكنا » (٨) ٠

---

(٦) دكتور صلاح مخيمر ، وعبده ميخائيل رزق : **سيكولوجية الشخصية ، دراسة الشخصية وفهمها** - مكتبةالأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٨ ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ ٠

(٧) دكتور أحمد عزت راجح : **أصول علم النفس** - الطبعة الخامسة - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٣ ، ص ٨٨ ٠

(٨) دكتور مصطفى فهمى : **سيكولوجية التعلم** - الطبعة الثانية - لجنة النشر للجامعيين - مكتبة مصر - القاهرة - ١٩٥٣، ص١١٦،١١٧ ٠

ويرجع سكينر Skinner بكلمة (غريزة) Instinctive الى أصلها اللاتينى ، ليجدها تعنى « (المهماز) » (٩) ، ومعنى ذلك عنده ، كما « عبر أحد الكتاب » ، « أننا ننخس أو نجلد ، لنستمر فى الحياة » (١٠) .

واذا كانت الغرائز « قوى دافعة ، تعمل على المحافظة على الفرد والجماعة والنوع » (١١) ، وتهدف - على مستوى الفرد - الى « خفض حالة التوتر لدى الكائن ، وتخليصه من حالة عدم التوازن » (١٢) - فإنها مسألة (حيوانية) صرف ، تتصل بالجانب (الجسدى) فى الانسان دون غيره من الجوانب ، ومن ثم كانت « موجودة عند الانسان والحيوانات العليا ، كما هى موجودة لدى الحيوانات الدنيا » (١٧) ، وهو أمر يستدعى الوقوف عنده كثيرا ، خاصة عندما يقسمها بعضهم - كما فعل فرويد Sigmond Freud (١٨٥٦ - ١٩٣٩م) ومدرسة التحليل النفسى التى أنشأها - الى نوعين من الغرائز ، أولهما بسيط ، كالجوع والعطش والإخراج والتنفس ، لا يعيره اهتماما لبساطته ، والثانى هو غريزة الحياة وغريزة الموت ، اللتان دار حولهما تفكيره ونشاطه ودراساته ، خاصة غريزة الحياة ، أو طاقة الليبيدو ، أو الغريزة الجنسية ، التى يعتبرها فرويد (الغريزة الأم) ، لكل الغرائز (١٤) ،

---

(٩) ب. ف. سكينر : **تكنولوجيا السلوك الإنسانى** - ترجمة د. عبد القادر يوسف - مراجعة د. محمد رجا الدرينى - رقم (٢٢) من سلسلة (عالم المعرفة) - سلسلة كتب ثقافية شهرية ، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت - رمضان ١٤٠٠هـ - أغسطس (آب) ١٩٨٠م ، ص ١٩ .

(١٠) المرجع السابق ، ص ١٩ ، ٢٠ .

(١١) دكتور حامد عبد السلام زهران : **علم النفس الاجتماعى** - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٢ ، ص ١٣٠ .

(١٢) الدكتور جابر عبد الحميد جابر : **سيكولوجية التعلم** - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٧٢ ، ص ٣٠ ، ٣١ .

(١٣) دكتور أحمد عزت راجح (مرجع سابق) ، ص ١٢٠،١٢١ .

(١٤) المرجع السابق ، ص ١٢٤ - وارجع - كذلك - الى :

- دكتور سيد محمد غنيم : **سيكولوجية الشخصية : محدداتها ، قياسها ، نظرياتها** - الطبعة الأولى - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٧٣ ، ص ٥٥٠ ، ٥٥١ .

بمعنى أنها الغريزة التى يمكن تفسير السلوك البشرى كله فى ضوئها ، بل ولا يمكن فهم الغرائز الانسانية الأخرى ، الا فى ضوئها أيضا ٠

وهكذا تقوم كل نظريات السلوك فى مدارس علم النفس المختلفة، على أساس أن الانسان (حيوان بشرى) ، وهى فكرة تتخذ منطلقاتها النظرية من التوراة والإنجيل المحرّفين ، على نحو ما رأينا فى نهايات الفصل الرابع ، بينما هو فى الاسلام - رغم شهوات جسده - خليفة لله فى الأرض ، ومن ثم يعلمه الإسلام (اقتصاديات) اشباعها ، لا بالمعنى المادى المعاصر للاقتصاد ، ولكن بالمعنى الإسلامى / الإنسانى / الشامل / الراقى له ، كما وضحناه فى الفصل الرابع ٠

ولأهمية الجنس فى حياة الإنسان ، كان حض الإسلام على اشباعه ، ولكن بطريقه الوحيد المشروع فى الإسلام ، وهو الزواج ، الذى يحض الشباب عليه حضا ، على نحو ما نرى فى مثل قوله ﷺ ، موجها كلامه للشباب :

- « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه اغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » (١٥) ٠

ويعتبر ﷺ الزواج أصل الفطرة :

- « من أحب فطرتى فليستن بسنتى ، وان من سنتى النكاح » (١٦) ٠

- « لا صرورة فى الإسلام » (١٧) (والصرورة تعنى التبتل) ٠

---

(١٥) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه - أخرجه الشيخان : البخارى ومسلم - ارجع الى :
- العماد مصطفى طلاس : **المصطفى من أحاديث المصطفى** (مرجع سابق) ، ص ٦٨٢ ٠
(١٦) عن أبى هريرة رضى الله عنه - أخرجه البيهقى - ارجع الى :
- المرجع السابق ، ص ٦٥٧ ٠
(١٧) عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما - أخرجه الإمام احمد وأبو داود وابن عساكر - ارجع الى :
- المرجع السابق ، ص ٦٥٨ ٠

وبكل (اقتصاديات) الأرض المادية الصرف ، فإن المال والجمال والحسب تعتبر هى (موجهات) الإنسان نحو شريكة الحيـاة ، ولكن الرسول ﷺ له - باقتصاديات الإسلام - رأى آخر ، حيث يقول ﷺ :

- « الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة » (١٨) .

- « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين ، تربت يداك » (١٩) .

وفى الوقت الذى نجد الرسول ﷺ يحض فيه الشباب على اختيار الزوجة الصالحة لأسباب موضوعية تماما تتفق مع منظوره الى الحياة، كما رأيناه من قبل ، وكما تتحدث عنه الأحاديث النبوية الشريفة ، نجده ﷺ يحض ولى أمر الفتاة على نفس الأمر ، بل ويأمـره بذلك أمرا ، على نحو ما نرى فى مثل قوله ﷺ :

- « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحـوه (رددهـا ثلاث مرات) . الا تفعلوا ، تكن فتنة فى الأرض وفساد » (٢٠) .

وهكذا يكون الأساس الايمانى هو الأساس الذى تقوم عليه الأسرة المسلمة منذ البداية ، وتكون دعائمها قد قامت على حسابات مضبوطة ، تضمن لها النجاح فى الدنيا ، ولكن الإسلام لا يقف بالقضـية عند هذا الحد ، بل يتابع المسيرة مع هذه الأسرة بعد تكوينها ، حيث يقول ﷺ - على سبيل المثال - للرجل :

- « خياركم خياركم لنسائهم » (٢١) .

كما يقول ﷺ - فى الوقت ذاته - للمرأة :

---

(١٨) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما - أخرجه مسـلم - ارجع الى :
- المرجع السابق ، ص ٦٦٦ .

(١٩) عن أبى هريرة رضى الله عنه - أخرجه الشيخان - البخارى ومسلم - ارجع الى :
- المرجع السابق ، ص ٦٦٨ .

(٢٠) عن أبى حاتم المزنى رضى الله عنه - أخرجه الترمـذى - ارجـع الى :
- المرجع السابق ، ص ٦٨٤ .

(٢١) عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما - أخرجه ابن ماجة - ارجـع الى :
- المرجع السابق ، ص ٦٦٥ .

– « أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها ، دخلت الجنة » (٢٢)٠

وهكذا يكون الزواج – بحق – نعمة من نعم الله الكبرى على الإنسان ، لا من أجل ما يتحقق للإنسان – من خلاله – من أشباع جنسى منظم فحسب ، بل من أجل ما يتحقق له من أمن وطمأنينة ومودة ورحمة ، لا تتوفر للإنسان الا من خلاله – أيضا ، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم فى مثل قول الله سبحانه :

– « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم ، وانتم لباس لهن ٠٠٠ » (٢٣) ٠

– « ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٢٤) ٠

والمعروف هو أساس الحياة الزوجية فى الإسلام ، مهما جد – على طريقه – من مشكلات ، ناتجة عن هذه الحياة المشتركة – أو على حد قول الله سبحانه :

– « ٠٠٠ وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » (٢٥) ٠

او على حد قول الرسول ﷺ :

– « لا يفرك مؤمن مؤمنة ، ان كره منها خلقا ، رضى منها آخر » (٢٦) (أى لا يبغض بغضا يؤدى الى تركها) ٠

وطفل ينشأ فى هذا الجو من الهدوء والمودة والمحبة ، لابد أن ينمو نموا صحيحا ، بدءا من حياته فى رحم أمه ، اذ من المعروف أن « لحالة الأم الانفعالية أثرها فى سريان الهرمونات المختلفة فى الدم ، بنسب تختلف عن نسبتها الطبيعية » ، « وقد يؤدى هذا الى نقص نمو العظام أو الضعف العقلى » (٢٧) – وانتهاء برضاعته بعد الولادة ، اذ يتأثر

---

(٢٢) عن أم سلمة – أخرجه الترمذى وابن ماجة والحاكم – ارجع الى :

– المرجع السابق ، ص ٦٧٢ ٠

(٢٣) قرآن كريم : **سورة البقرة – ٢** : الآية ١٨٧ ٠

(٢٤) قرآن كريم : **سورة الروم – ٣٠** : الآية ٢١ ٠

(٢٥) قرآن كريم : **سورة النساء – ٤** : الآية ١٩ ٠

(٢٦) عن أبى هريرة رضى الله عنه أخرجه مسلم – ارجع الى :

– العماد مصطفى طلاس : **المصطفى من أحاديث المصطفى** (مرجع سابق) ، ص ٦٦٢ ٠

(٢٧) دكتور فؤاد البهى السيد (مرجع سابق) ، ص ٩٧ ٠

الطفل فى مرحلة الرضاعة « بأسلوب أمه فى الاستجابة له ، والاهتمام به ، كما يتأثر أيضا بحالتها النفسية أثناء الإرضاع ، وبمزاجها وثباتها الانفعالى » (٢٨) ٠

واذا كانت مرحلة المراهقة هى المرحلة التى تكثر فيها « احتمالات حدوث الاضطراب أكثر من أية مرحلة أخرى » ، فإن « الأطفال الذين نشأوا خلال طفولتهم فى ظل ظروف معقولة ، يمرون بمراهقتهم وهم أصحاء سعداء ، دون اضطرابات أو عدم استقرار » (٢٩) ٠

وهكذا يكون هذا الجو من الهدوء والدعة والسكينة والطمأنينة ، الذى يوفره الإسلام للأسرة ، جوا تربويا ملائما ، لينمو فيه الصغار محبين للحياة ، راغبين فى العطاء لها ، وفى تحمل تبعات هذا العطاء ، وتكون الأسرة المسلمة بحق هى المؤسسة التربوية الأولى فى الإسلام - بل وتظل هى المؤسسة التربوية الرئيسية فيه ، عندما تشاركها فى مهمة التربية تلك ، مؤسسات تربوية أخرى ، فى مراحل العمر التالية ، كما سنرى بعد قليل ٠

التربية الاقتصادية الإسلامية فى نطاق الأسرة :

الأسرة المسلمة - بطبيعتها - أسرة منتجة اقتصاديا ، بمعنى أن كل فرد من أفرادها له نشاطه المميز فى دعمها ، وان كان الدور المميز الواضح فيها هو دور الرجل بطبيعة الحال ، بوصفه هو المكلف شرعا بتوفير مستلزماتها ، والسعى عليها ، خارج المنزل عادة ٠

ذلك أن الرجل لا يتيسر له أن يكون منتجا حقا ، الا اذا هو وجد - فى داخل بيته - ما يحقق له الهدوء والدعة والطمأنينة والسكينة وراحة البال ، وغيرها مما يعد عوامل نفسية ، أساسية وضرورية ، لإنتاج جيد ووفير أيضا ، مما يجعل المرأة شريكا للرجل فى عملية الإنتاج تلك ، فإن « سعادة الرجل فى زواجه ، لابد أن تؤدى به الى

---

(٢٨) د٠ فوزية دياب : **نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة** - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٧٨ ، ص ٦٨ ٠

(٢٩) الدكتور محمد جميل محمد يوسف منصور ، والدكتور فاروق سيد عبد السلام (مرجع سابق) ، ص ٥٧٤ ٠

اكتساب ثروة طائلة » (٣٠) ، على حد تعبير عبد الله يوسف على .

ويقارن الشيخ محمد متولى الشعراوى بين (عمل الرجل) و (عمل المرأة) ، فيصل الى أن (ميدان) عمل المرأة هو الميدان الأشرف ، بوصف الرجل يتعامل خارج البيت « مع (أشياء) ، كل هذه الأشياء لخدمة الانسان ، والانسان أرفع هذه الأجناس كلها ، أما مهمة المرأة فهى التعامل مع ذلك الجنس الراقى ، وهو الإنسان - تتعامل مع الإنسان كزوج ، فيسكن اليها وتريحه ، ثم تتعامل معه جنينا ، فيكون فى بطنها ، وبعد ذلك وليدا تحتضنه ، وليدا ترضعه ، وليدا تعطى له المثل » (٣١) .

بل ان الإنسان لا يكون مبالغا اذا هو ادعى أن الفئات الاجتماعية ، التى تعتبر - من وجهة نظر الحضارة الغربية المادية المعاصرة - فئات مستهلكة ، وغير منتجة ، كالأطفال وكبار السن فى الأسرة ، هى قوى منتجة اقتصاديا أيضا ، على نحو ما رأينا عند الحديث عن (المردود الاقتصادى للزكاة) فى الفصل الرابع ، بما توفره للقوى المنتجة الحقيقية فى المجتمع من حوافز (معنوية) ، تؤدى الى مضاعفة الجهد ، ومضاعفة العطاء بالتالى ، ومن ثم يمكن اعتبار أفراد هذه الفئات غير المنتجة ، « قوة منتجة ، بما يمنحونه للقوة المنتجة الحقيقية من زاد روحى ، ومن تفاؤل ، ومن رضا عن النفس ، تزيد طاقتهم الإنتاجية الحقيقية ، أضعافا مضاعفة » (٣٢) .

ويتمشى ذلك مع منظور القرآن الكريم الى القضية ، على نحو ما نرى فى مثل قول الله سبحانه :

- « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم : الا تشركوا به شيئا ،

---

(30) Abdullah Yusuf Ali : **The Holy Quran, Text, Translation and Commentary,** Volume Two ; Hafner Publishing Company, New York, 1946, p. 905.

(٣١) فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى : **القضاء والقدر ، معجزات الرسول ، اعجاز القرآن ، مكانة المرأة فى الاسلام** - اعداد وتقديم أحمد فراج - الطبعة الثانية - دار الشروق - القاهرة - سبتمبر ١٩٧٥ ، ص ١٧٣ .

(٣٢) دكتور عبد الغنى عبود : **الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة** - الكتاب الثامن من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - القاهرة - يونية ١٩٧٩ ، ص ٧٣ .

وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » (٣٣) ٠

واذا كان القرآن الكريم يعطف الأولاد على ذويهم فى مسألة الرزق (نحن نرزقكم واياهم) ، فى الآية السابقة ، فـإنه يعطف الآباء (الذين يسعون فعلا) على الأطفال (الذين يفرض فيهم أنهم فئات مستهلكة ، غير منتجة) فى نفس المسألة ، وذلك حيث نقرأ قول الله سبحانه :

– « ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئا كبيرا » (٣٤) ٠

وما دامت الزوجة – والأبناء وغيرهم من رحم الإنسـان القريب – شركاء فى هذا الرزق الذى يرزق الله به الإنسان ، فإنهم يكونون (ذوى حق) فيه ، أو على حد تعبير الرسول ﷺ :

– « الصدقة على المسكين صدقة ، وهى على الرحم اثنتان : صدقة وصـلة » (٣٥) ٠

ومن الطبيعى أن يكون (الأهـل) ، من زوجـة وأولاد وأبوين ، أولى الناس بالحصول على نصيب فى هذا الرزق – أو على حد تعبير الرسول ﷺ :

– « اذا أنفق الرجـــل على أهـــله نفقـة يحتســـبها ، فهى لــه صدقـــة » (٣٦) ٠

ويوضح الرسول ﷺ أن أعظم المال أجرا عند الله ، هو المـال الذى انفقه الإنسان على أهله ، حيث يقول ﷺ :

---

(٣٣) قرآن كريم : **سورة الأنعام – ٦** : الآية ١٥١ ٠

(٣٤) قرآن كريم : **سورة الإسراء – ١٧** : الآية ٣١ ٠

(٣٥) عن سلمان بن عـامر رضى الله عنـه – أخرجـه الترمذى والنسائى – ارجع الى :

– العماد مصطفى طلاس : **المصطفى من أحاديث المصطفى** (مرجع سابق) ، ص ٦٣٥ ٠

(٣٦) عن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه – أخرجه الشـيخان : البخارى ومسلم – ارجع الى :

– المرجع السابق ، ص ٦٢٦ ٠

- « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينــار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك » (٣٧) ٠

والقضية هنا ليست مجرد قضية (عطاء) مادى ، وانما هى قضية مودة ومحبة يعطيها الأب ابنه مع الدينار ، مثلما تعطى الأم نفس المودة والمحبة مع اللبن لطفلها الرضيع ، حتى ينشأ صحيحا ، محبا للحياة ، محبا للخير ، كارها للشر ، وبذلك ينفع نفسه ، فى دنياه وآخرته على السواء ، استجابة لأمر الله سبحانه :

- « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ٠٠٠ » (٣٨) ٠

وربما كانت حاجات الجسد هى المدخل الذى يدخــل به الأب (أو ولىّ الأمر) الى قضية الوقاية من النار تلك ، التى لا تتم الا من خلال التربية بمعناها الواسع ومعناها الضيق على السواء ، حيث نجد الرسول ﷺ يقول :

- « لأن يؤدب الرجل ولده ، خير له من أن يتصدق بصاع » (٣٩) ٠

بل ان الرسول ﷺ يعتبر هذا (التاديب) (حقا) للولد على أبيه:

- « من حق الولد على الوالد أن يُحسن اسمه ويُحسن أدبه » ٠

ولذلك نرى الفقهاء المســلمين جميعــا تقريبــا ، يُجمعون على ما يذهب اليه العبدرى من أن من حق الابن على أبيه « صيانته ، بأن يؤدبه

---

(٣٧) عن أبى هريرة رضى الله عنه - أخرجه مسلم - ارجع الى:
- العماد مصطفى طلاس : **المصطفى من أحاديث المصطفى** (مرجع سابق) ، ص ٦٢٥ ٠

(٣٨) قرآن كريم : **سورة التحريم - ٦٦** : الآية رقم ٦ ٠

(٣٩) عن جابر بن سمرة رضى الله عنــه - أخرجــه الترمــذى - ارجــع الى :
- العلامة عــلاء الدين على المتقى بن حســام الدين الهندى : **كنز العمال ، فى سنن الأقوال والأفعال** - ضبطه وفسّر غريبه الشــيخ بكرى حياتى - صححه وراجع فهارسه الشيخ صفوت الســقا - الجزء الســادس عشر - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ص ٤٦٠ ٠

ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق، ويحفظه من القرناء السوء » (٤٠)، بل ان المغراوى يزيد على ذلك ، فيجعل « من حق الابن على أبيه انتقاء منبته وتحسين اسمه وادخـاله المكتب » (٤١) ، لأنه « انما أوتى صاحب الطبع المذموم طبعه ، من قبل الإهمـال صبيا ، وتركـه ما يعتـاد مما تميل اليه طبيعته مما هو مذموم » (٤٢) ، على حد تعبير ابن الجزار القيروانى ، ومن ثم كان « من أهمـل تعليم ولـده ما ينفعـه ، وتركه سدى ، فقد أساء اليه غاية الإساءة » (٤٣) .

وقيـام الأب أو ولى الأمر بهـذا الواجب الذى يلقيه الإسـلام على عاتقه ، تربية اقتصادية لهذا الابن ، واستثمار من الوالـد أو ولى الأمـر فيه ، تماما كما تستثمر الأمم فى تعليم أبنائها فى الوقت الحاضر أموالا طائلة ، والمستفيد من هذه التربيةالاقتصادية للصغير ، هو المستثمر ذاته، وهو الوالد ، الذى يستثمر فى شبابه - وقوته - ما يجنى ثماره كبيرا ، والآيات القرآنية التى تحض الأبناء على بر الآباء فى هذا المجال كثيرة، منها قول الله سبحانه على لسان لقمان :

- « واذ قال لقمان لابنه وهو يعظـه : يابنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم . ووصينا الإنسان بوالديه ، حملتـه أمه وَهْنـا على وَهْن ، وفصاله فى عامين ، أن اشكر لى ولوالـديك الى المصير . وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهمـا

---

(٤٠) العبدرى (أبو عبد الله محمد بن محمد العبـدرى الفاسى المالكى) : **مدخل الشرع الشريف على المذاهب** - الجزء الرابع - الطبعة الأولى - المطبعة المصرية بالأزهـــر - القـاهرة - ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م ، ص ٢٩٥ .

(٤١) المغراوى (أحمد بن أبى جمعة المغراوى) : **جامع جوامع الاختصار والتبيان ، فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان** - تحقيق أحمد جلولى البدوى ، ورابح بونار - من (سلسلة ذخائر المغرب العربى) - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر ، ص ٤٥ .

(٤٢) ابن الجـزار القيروانى (أبو جعفـر أحمد بن ابراهيم بن خالد) : **سياسة الصـبيان وتدبيرهم** - تقـديم وتحقيق الدكتـــور محمد الحبيب الهيلة - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٦٨ ، ورقة ٢٤ أ .

(٤٣) ابن قيم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبى بكر) : **تحفة المودود ، بأحكام المولود** - المكتبة القيمة - القاهرة - ١٣٩٧ ، ص ١٨٠ .

فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الىّ ، ثم الىّ مرجعكم ، فأنبئكم بما كنتم تعملون » (٤٤) .

أما الأحاديث النبوية الشريفة فى هذا المجال ، فهى كثيرة كثيرة ، يكفى أن نشير منها الى قول الرسول ﷺ لمن سأله عن حق الوالدين على ولدهما ، حيث قال ﷺ :

— « هما جنتك ونارك » (٤٥) .

بل ان الرسول ﷺ يعتبر عقوق الوالدين كفرا ، يُخرج صاحبه من الملة ، ويقذف به فى النار ، حيث يقول ﷺ :

— « لا ترغبوا عن آبائكم ، فمن رغب عن أبيه فهو كفر » (٤٦) .

— « رغم أنفه ، رغم أنفه ، رغم أنفه ، قيل : من يارسول الله ؟ قال : من أدرك والديه عند الكبر ، أحدهما أو كليهما ، ثم لم يدخل الجنة » (٤٧) .

بل ان جزاء عقوق الوالدين — عند رسول الله ﷺ — يُعجّل للإنسان فى الدنيا ، غنى أو فقرا ، حيث يقول ﷺ :

— « كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء الى يوم القيامة ، الا عقوق الوالدين ، فإن الله يعجله لصاحبه فى الحياة قبل الممات » (٤٨) .

— « من سره أن يمد له فى عمره ، ويزاد فى رزقه ، فليبر والديه ، وليصل رحمه » (٤٩) .

---

(٤٤) قرآن كريم : **سورة لقمان** — ٣١ : الآيات ١٣ — ١٥ .

(٤٥) رواه أبو أمامة رضى الله عنه — أخرجه ابن ماجة — ارجع الى :

— العماد مصطفى طلاس : **المصطفى من أحاديث المصطفى** (مرجع سابق) ، ص ٦٤٠ .

(٤٦) رواه أبو هريرة رضى الله عنه — أخرجه الشيخان : البخارى ومسلم — ارجع الى : المرجع السابق ، ص ٦٤٧ .

(٤٧) رواه أبو هريرة رضى الله عنه — أخرجه مسلم والترمذى — ارجع الى :

— المرجع السابق ، ص ٦٥١ .

(٤٨) رواه أبو بكرة رضى الله عنه — أخرجه الحاكم والأصبهانى — ارجع الى : المرجع السابق ، ص ٦٤٣ .

(٤٩) رواه أنس بن مالك رضى الله عنه — أخرجه الإمام أحمد — ارجع الى : المرجع السابق ، ص ٦٤١ .

وهكذا يكون الإنفاق على الأبناء فى الصغر رياضة لنفس الكبير على العطاء ، أو تربية اقتصادية لها ، وتربية اقتصادية فى الوقت ذاته للصغار على العطاء ، تدفع هؤلاء الصغار الى العمل والكسب ، حتى يجدوا ما يعطونه ، ويعرفوا كيف ينفقون ما رزقهم الله سبحانه ، فى وجوه للإنفاق بعينها ، دون وجوه ٠

التربية الاقتصادية الإسلامية فى المدرسة :

الكتّاب Kuttab والمكتب Maktab والعلماء Ulema ، وغيرها من الألفاظ الدالة على العلم والتعليم والتعلم ، ألفاظ عربية ، تستخدم بنفس نطقها العربى هذا ، بالحروف اللاتينية ، فى كتابات المستشرقين وغيرهم من المهتمين بالحضارة الإسلامية ، مما يدل على المدى الذى صارت فيه هذه الألفاظ مألوفة فى الحضارة الإسلامية ، التى استمرت ـ كما سبق فى أكثر من مناسبة ـ طوال القرون الخمسة التى تلت ظهور الإسلام (٧٠٠ ـ ١٢٠٠م) ، حتى صارت جزءا من الثقافة العربية والإسلامية طوال هذه القرون (٥٠) ٠

والذى يقرأ الأحاديث النبوية الشريفة ، لايملك الا أن يجزم بأن هذا الاهتمام بالعلم والتعليم فى المجتمع الإسلامى طوال الفترة المذكورة ، لم ينبع من فراغ ، وانما نبع من دعوة الرسول ﷺ الى ذلك ، وحضه عليه ، واشرافه شخصيا على رعايته ، حتى تحول الى ثقافة حية خصبة ثرية ، يعيشها الناس فى حياته ، على نحو ما رأينا عند الحديث عن (العلم والعمل فى الإسلام) فى الفصل الرابع ، حيث جعل الرسول ﷺ

---

(٥٠) ارجع ـ على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ الى :

(أ) الدو مييلى : **العلم عند العرب ، وأثره فى تطور العلم العالمى** (مرجع سابق) ٠

b — H.A.R. Gibb and J.H. Kramers : **Shorter Encyclopaedia of Islam** ; E.J. Brill, Leiden, 1953.

c — Barbara Meger : "Knowledge and Culture in the Middle East: Some Critical Reflection", Chapter Nine from : **Dependence and Interdependence in Education, International Perspectives;** Croom Helm, London, 1984.

العلماء « هم ورثـة الأنبيـاء » (٥١) ، منطلقـا فى ذلك من المنظـور القرآنى ذاته الى القضية ، حيث نرى فيه مثل قول الله سبحانه :

- « .. هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ انما يتذكر أولو الألباب » (٥٢) .

- « .. انمـا يخشى الله من عبـاده العلمـاء ، ان الله عـزيز غفـور » (٥٣) .

ولذلك كان من النصـائح الكثيرة التى وجههـا القرآن الكريم الى الرسول ﷺ ، نصحه بطلب الاستزادة منه ، حيث نرى قول الله سبحانه:

- « .. وقل : رب زدنى علمـا » (٥٤) .

ولأن العلم يحتل هذه المنزلة الشامخة فى الإسلام ، فقد جعل الرسول ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (٥٥) .

وقد حدد الرسـول ﷺ سبيل تحقيق هذه (الفريضة) فى عبـارة محددة وواضحة ، حيث قال ﷺ :

- « انما العـلم بالتعـلم » (٥٦) .

وهذا التوجيه متفق تماما مع توجيه الوحى فى أول آيات تنـزل بها الروح الأمين على قلب الرسول ﷺ ، حيث يقول سبحانه :

- « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » (٥٧) .

---

(٥١) البخارى (أبو عبد الله محمد بن اسـماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى) : **صحيح البخـارى** - الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٢٦ (من كتاب العـلم) .

(٥٢) قرآن كريم : **سورة الزمر - ٣٩** : الآية رقم ٩ .

(٥٣) قرآن كريم : **سورة فاطر - ٣٥** : الآية رقم ٢٨ .

(٥٤) قرآن كريم : **سورة طه - ٢٠** : الآية رقم ١١٤ .

(٥٥) الإمام المنذرى : **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف** - الجزء الأول - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - الطبعة الأولى- المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة - ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م ، ص ٧٤ .

(٥٦) البخارى (أبو عبد الله محمد بن اسـماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى) : **صحيح البخارى** - الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٢٦ (من كتاب العـلم) .

(٥٧) قرآن كريم : **سورة العلق - ٩٦** : الآيات ١ - ٥ .

وطلب العلم يحتاج الى مشقة وبذل جهد وصبر على التحصـيل ، ومن ثم اعتبر السير فى طريق العلم سيرا فى طريق الجنة ، حيث يقول الرسول ﷺ :

- « من سلك طريقا يطلب فيه علما ، سلك الله به طريقا من طرق الجنة ، وان الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم » (٥٨) .

كما اعتبر السير فى طريق العلم جهادا ، على نحو ما نرى فى قول الرسول ﷺ :

- « من خـرج فى طلب العـلم ، كان فى سـبيل الله حتى يرجـع » (٥٩) .

ومثلما يحتاج تحصيل العلم الى طالب يسـعى لتحصيله ، فـإنه يحتاج الى معلم يقدمه ، ولذلك أوجب الاسلام على العالم « تبليغ العلم لمن لم يبلغه ، وتبيينه لمن لا يفهمه » (٦٠) ، ويوضح الرسـول ﷺ أن « العالم والمتعلم شريكان فى العلم » (٦١) .

ومثلما يعتبر طلب العلم فريضـة على كل مسـلم ، يعتبر تعليمه فريضة أيضا ، على نحو ما يفهم من قول الرسول ﷺ لوفد عبد القيس - بعد أن علمهم :

- « احفظوا ، وأخبروا بهن من وراءكم » (٦٢) .

---

(٥٨) الإمام أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى): **سنن أبى داود** - الجزء الثالث - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة - ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، ص ٤٣٢ .

(٥٩) الترمذى (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة) : **الجامع الصحيح ، وهو سنن الترمذى** - تحقيق وتعليق ابراهيم عطـوة عوض - الجزء الخامس - الطبعة الثانية - شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البـابى الحلـبى وأولاده بمصر - القـاهرة - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، ص ٢٩ (من كتاب العـلم) .

(٦٠) العينى (الشيخ الإمام العلّامة، بدر الدين أبو محمد محمود ابن أحمد العينى) : **عمدة القارى ، شرح صحيح البخارى** - الجـزء الثانى - دار الفكر - بيروت ، ص ٣٨ (من كتاب العـلم) .

(٦١) الإمام المنذرى : **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف** - الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٩٩ .

(٦٢) البخارى (أبو عبد الله محمد بن اسـماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى) : **صحيح البخـارى** - الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٣١ (من كتاب العـلم) .

كما يُفهم نفس الأمر من قوله ﷺ لمالك بن الحويرث ومن معه :

- « ارجعوا الى أهليكم فعلموهم » (٦٣) .

كما يفهم أمر من يعلم ، بتعليم من لا يعلم ، من قول الرسول ﷺ كذلك لعموم المسلمين :

- « ولتفشوا العلم ، ولتجلسوا ، حتى يعلم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا » (٦٤) .

وفى الوقت الذى يحث فيه الرسول ﷺ من يعلم حثا على تعليم من لا يعلم ، فإنه يحذر تحذيرا من (كتم) العلم ، حيث يقول ﷺ :

- « من سُئل عن علم ثم كتمه ، أُلجم يوم القيامة بلجام من نار » (٦٥) .

واذا كان تعليم العلم وطلبه تكليفا شرعيًا ، فإن من المعروف أن التكاليف الشرعية فى الإسلام تكون للمكلفين / البالغين ، ومن ثم كان اعداد الحدث لهذه التكاليف الشرعية عندما يبلغ سن الرشد ، يستدعى تدريبه عليها تدريبا عمليا ، وتأهيله للقيام بها تدريجيا ، على نحو ما نرى فى قول الرسول ﷺ بشأن الصلاة :

- « مُروا الصبى بالصلاة اذا بلغ سبع سنين ، واذا بلغ عشر سنين ، فاضربوه عليها » (٦٦) .

وهذا الموقف الذى يقفه الإسلام بشأن الصلاة والتدريب عليها ، يقفه بشأن طلب العلم والتدريب عليه ، خاصة العلم الذى يتصل بتادية الصلاة وغيرها من العبادات ، اذ أن الإمام الغزالى يرى أنه اذا بلغ الصبى « سن التمييز ، فينبغى الا يسامح فى ترك الطهارة والصلاة ، ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان ، ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع » (٦٧) ، ومن ثم « أُمر المسلمون أن يعلّموا أولادهم

---

(٦٣) المرجع السابق ، ص ٣١ (من كتاب العلم) .

(٦٤) المرجع السابق ، ص ١٦٢ (من كتاب الآذان) .

(٦٥) المرجع السابق ، ص ٣٦ (من كتاب العلم) .

(٦٦) الإمام أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى): **سنن أبى داود** - الجزء الأول - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة - ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، ص ١٩٣ .

(٦٧) الإمام الغزالى : **إحياء علوم الدين** - الجزء الثالث - مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى - القاهرة ، ص ٧٣ ، ٧٤ .

الصلاة والوضوء لها ، ويدربوهم عليها ، ويؤدبوهم بها ، ليسكنوا اليها ويألفوها ، فتخف عليهم اذا انتهوا الى وجوبهـا عليهم ، وهم لابد إذا علّموهم الصلاة ، أن يعلموهم من القرآن ما يقرءونه فيها ، وقد مضى أمر المسلمين انهم يعلّمون أولادهم القرآن ، ويأتونهم بالمعلمين ، ويجتهدون فى ذلك ، وهذا مما لا يمتنع منه والد ، وهو يجد سبيلا » (٦٨) ، على حد تعبير القابسى ، منطلقين فى ذلك من مقولة أن « التعليم فى الصغر، كالنقش على الحجر » (٦٩) ، على حد تعبير الإمام الغزالى ، مما يؤكد وعى المفكرين المسلمين جيـدا بحقيقة أن « التعلّم والنمـو ، عـاملان متداخلان ، يؤثر كل منهما فى الآخر » (٧٠) .

والغالب أن « المسجد والجامع » كان « بمثابة المدرسة الثانـوية والعالية فى وقت واحد ، وفى أول الأمر كان مكان التعليم الأولى أيضا، ولكن المسلمين فضلوا فصل تعليـم الصغار فى مـكان خـاص فيما بعد ، خوفـا على الجـامع من عبث الأطفـال ، وعـدم تقيـدهم بأصـول النظافة »(٧١) - يؤيد ذلك مايذهب اليه الإمام مالك، عندما سُئل «عن تعليم الصبيان فى المسجد ، قال لا أرى ذلك يجوز ، لأنهم لا يتحفظون من النجاسة » (٧٣) .

والغالب أيضا أنه نتيجة للمباعدة بين الصبيان والمسجد ، لما سبق، فإن الكُتّاب قد أُنشىء لهذا الغرض ، فى وقت مبكر من صدر الإسلام ،

---

(٦٨) القابسى (أبو الحسن على بن محمد بن خلف) : **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين ، وأحكام المعلمين والمتعلمين** : ملحقة بـ : - الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى : **التربية فى الإسـلام** - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٧٥ ، ورقة ٢٧ أ ، ٢٧ ب .

(٦٩) الإمام الغزالى : **ميزان العمل** - مكتبة الجندى - القاهرة ، ص ٤٤ .

(٧٠) دكتور مصطفى فهمى : **سيكولوجية التعلم** - **الطبعة** الثانية- مكتبة مصر - القاهرة - ١٩٥٣ ، ص ١٨ .

(٧١) أسماء حسن فهمى : **مبـادىء التربية الإسـلامية** - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٤٧ ، ص ٢٦ .

(٧٢) ابن الإخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشى) : **معـالم القربة ، فى أحكام الحسبة** - تحقيق دكتور محمد محمود شعبان، وصديق أحمد عيسى - الهيئةالمصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٦، ص٢٦٠ .

حيث يروى الإمام البخارى « عن عتبة قال : رأيت عمر يسلم على الصبيان فى الكتاب » (٧٣) ، الذى انتشر فى العالم الإسلامى كله مع الفتوح ، حيث كان الفاتحون المسلمون - كما يروى ابن سحنون - اذا ما انتهوا من فتح بلد ، « التفتوا الى تعليم صبيانهم ، فاتخذوا لهم محلا (كتابا) ، بسيط البناء ، يجتمعون فيه لقراءة كلام الله العزيز ، لما كان لأولئك الأفاضل من العناية الكبرى بأمر دينهم ، وهم القائمون بنشر دعوته ، المكلّفون بركز دعامته ، سواء بين الأقارب أو الأباعد ، من أبناء الشعوب المغلوبة على أمرها ، أو المؤلفة قلوبها » (٧٤) .

ويرى ابن سينا أن السن المناسبة لذلك ، هى بلوغ الصبى ست سنوات من العمر ، فإذا « أتى عليه من أحواله ست سنين ، فيجب أن يقدم الى المؤدب والمعلم » (٧٥) ، حيث يكون قد وصل الى مرحلة من النضج يمكنه فيها أن يتلقى العلم ويستوعبه ، وحيث تكون قد « اشتدت مفاصل الصبى ، واستوى لسانه وتهيأ للتلقين ووعى سمعه » (٧٦) ، على حد تعبيره أيضا ، وفى الوقت ذاته يكون « قلب الحدث كالأرض الخالية ، ما ألقى فيها شىء الا قبلته » (٧٧) ، على حد تعبير الإمام على .

ويرى ابن سينا أنه اذا حدث مثل هذا النضج للحدث ، « أخذ فى تعلّم القرآن ، وصور له حروف الهجاء ، ولقن معالم الدين » (٧٨) ،

---

(٧٣) الإمام البخارى : **الأدب المفرد** - مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز - القاهرة - ١٩٧٩ ، ص ٣٠٤ .

(٧٤) ابن سحنون (أبو عبد الله محمد بن أبى سعيد سحنون) : **آداب المعلمين** - تحقيق وتقديم حسن حسنى عبد الوهاب - مراجعة وتعليق محمد العروسى المطوى - دار الكتب الشرقية - تونس - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، ص ٣١ (من المقدمة) .

(٧٥) ابن سينا : **كتاب القانون فى الطب** - مطبعة بولاق - القاهرة - ١٢٩٤هـ ، ص ١٥٧ .

(٧٦) ابن سينا : « كتاب السياسة (التدبير) » - نشره الأب لويس معلوف - **مجلة المشرق البيروتية** - السنة التاسعة - الأعداد ٢١/٢٣ - ١٩٠٦م ، ص ١٠٧٤ .

(٧٧) الإمام على بن أبى طالب : **سجع الحمام ، فى حكم الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام** - جمع وضبط وشرح على الجندى وآخرين - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٧ ، ص ١٠١ .

(٧٨) ابن سينا : « كتاب السياسة (التدبير) » (المرجع الأسبق) ، ص ١٠٧٤ .

و « اذا فرغ الصبى من تعلّم القرآن ، وحفظ أصول اللغة ، نُظر بعد ذلك الى ما يراد أن تكون صناعته ، فوجه لطريقه » ، ويجب « أن يعلم مدبر الصبى أن ليس كل صناعة يرومها الصبى ، ممكنة له مواتية ، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه ، وأنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام ، دون المشاكله والملاءمة ، اذن ما كان أحد غفلا من الآداب ، وعاريا من صناعة ، واذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب وأرفع الصناعات ، ومن الدليل على ما قلناه ، سهولة بعض الآداب على قوم ، وصعوبته على آخرين » . « فلذلك ينبغى لمدبر الصبى ، اذا رام اختيار الصناعة ، أن يزن أولا طبع الصبى ، ويسبر قريحته ، ويختبر ذكاءه ، فيختار له الصناعات بحسب ذلك ، فإذا اختار له احدى الصناعات ، تعرف قدر ميله اليها ، ورغبته فيها ، ونظر هل جرت منه على عرفان أم لا ؟ وهل أدواته مساعدة له عليها ، أم خاذلة ؟ » (٧٩) .

وهكذا كانت التربية فى هذا العهد المبكر من عهود الإسلام تربية دينية بالمعنى الواسع لكلمة الدين ، كما رأيناه من قبل فى مناسبات مختلفة من الدراسة ، بمعنى أنها كانت تربية لتمكين الإنسان المسلم من أن يعيش حياة أكثر ثراء فى مستقبل أيامه ، ينتفع بها فى دينه ودنياه، أو فى دنياه وآخرته على حد سواء - أو إن قل انها كانت تربية اقتصادية، بالمعنى الإسلامى الذى رأيناه من قبل للاقتصاد ، تتقدم فيها حاجات اليوم الآخر والحساب والجنة والنار ومتطلباتها الدنيوية ، ثم تليها علوم المكاسب الدنيوية العاجلة ، التى لا قوام لحياة المسلم التعبدية بدونها ، وهو ما لخصه الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه بقوله : ان « أولى الأشياء أن يتعلمها الأحداث ، الأشياء التى اذا صاروا رجالا احتاجوا اليها » (٨٠) ، ومن ثم أضاف الجاحظ الى علوم القرآن وعلوم الدين عموما ، علوما أخرى ، فرضها تطور الأيام فى عصره ، حيث أنه قد تم تعليم « الفروسية واللعب بالرماح والسيوف والمشاولة والمنازلة والمطاردة » وغيرها ، كما تم « تعليم النجوم واللحون والطب والهندسة » ، وأمر المعلمون فى بعض البلاد « بتعليم أبناء الرعية الفلاحة والنجارة والبنيان

---

(٧٩) المرجع السابق ، ص ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ .

(٨٠) الإمام على بن أبى طالب (مرجع سابق) ، ص ١٣١ .

والصباغة والخياطة والصبغ وأنواع الحياكة ، ووجدنا للأشياء كلها معلمين » (٨١) .

ولو أننا قفزنا من القرن الثانى / الثالث الهجرى (الثامن /التاسع الميلادى) ، حيث عاش الجاحظ (١٦٠ - ٢٥٥هـ = ٧٧٥ - ٨٦٨م) ، الى أوائل القرن الخامس عشر الهجرى (أواخر القرن العشرين الميلادى) ، حيث نعيش اليوم ، لأدخلنا ضمن منظومة العلوم التى ذكرها الجاحظ ، كل علوم القرن العشرين وتقنياته بطبيعة الحال .

التربية الاقتصادية الإسلامية فى اطار الجماعة المسلمة :

على (النهج) الذى سار عليه رسول الله ﷺ فى (تعليم الناس) ، سار المسلمون من بعده ، وما هى الا سنوات قليلة بعد موت الرسول ﷺ ، حتى انتشر هذا التعليم فى العالم الإسلامى كله ، فقد تولى عمر رضى الله عنه بعد أبى بكر ، وفى عهده « فتحت بلاد فارس ، طولا وعرضا ، وفتحت الشام كلها ، والجزيرة ومصر كلها ، ولم يبق بلد الا وبنيت فيه المساجد ، ونسخت فيه المصاحف ، وقرأ الأئمة القرآن ، وعلمه الصبيان فى المكاتب ، شرقا وغربا » (٨٢) .

وقد شجع على انتشار هذه الحركة التعليمية الواسعة ، أن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه « كان اهتمامه بأمر التربية بالغا، فاختار أمراء الأمصار من فقهاء الصحابة ، ليكونوا حكاما مربين ، كما كان يبعث معهم رجال تربية ومواساة ، لا رجال حكم وجبروت » (٨٣)، كما شجع على انتشارها أن التعليم كان محدود التكلفة تماما ، فقد كان المعلم « زاهدا كل الزهد ، يقوم بالتعليم ابتغاء مرضاة الله ،ولا ينتظر أجرا أو راتبا أو مكافأة مالية ، ولا يريد من مهنة التعليم سوى ارضاء الله ، ونشر العلم والتعليم ، وكان الأساتذة يستعينون على المعيشة

---

(٨١) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) : **كتاب المعلمين - مطبوع بهامش الكامل للمبرد** - الجزء الأول - الطبعة الأولى - مطبعة التقدم العلمية بمصر - القاهرة - ١٣٢٣هـ ، ص ٢١ .

(٨٢) الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى (مرجع سابق) ، ص ٦٥ - نقلا عن :

- ابن حزم : **الفصل فى الملل والأهواء والنحل** - الجزء الأول ، ص ٦٧ .

(٨٣) محمد شديد (مرجع سابق) ، ص ٤٢ ، ٤٣ .

والحياة ، بنسخ الكتب ، وبيعها لمن يريدها ، ويكسبون عيشهم بهذه الطريقة » (٨٤) ، حيث ظل المعلمون فترة طويلة يتورعون عن أخذ أجر على التعليم (٨٥) ، على أساس أن « **الشريعة الإسلامية** لا تجيز في الأصل أخذ الأجرة على التعليم ، اللهم الا اذا كانت هناك ملابسة ضرورية على أخذ الأجرة » (٨٦) ، وعندما أخذوها ، اشترط الفقهاء مراعاة المعلمين لظروف طالب العلم ، « فيؤخذ من الموسر قدره، ومن المقتر قدره » (٨٧) ، على حد تعبير المغراوى ، عند أخذ (الحذقة) ، (وهى مكافأة حذق القرآن ، أى حفظه واتقانه) ، ومن ثم كان الآباء « ان شاءوا أعطوه على ذلك ، وان شاءوا لم يعطوه » (٨٨) ٠

كذلك كان التعليم عادة يتم فى المسجد بالنسبة للكبار ، وفى الكتاب أو المكتب بالنسبة للصغار ، وقد كان الكتاب « من مقومات الحياة الإسلامية ، نجده في القرى الصغيرة النائية ، كما نجده فى المدن الكبيرة العامرة ، لأنه أصبح — بسبب صلته بالدين — من ضروريات الحياة الدنيا والآخرة » (٨٩) ، كما كان هذا الكتاب — منذ بدايته — بسيطا ، ومن ثم غير مكلف اقتصاديا ، كما أنه « ظل على سذاجته وبساطته مدى العصور، حتى أننا لا نرى فرقا بين كتاب الماضى وكتاب اليوم »(٩٠)٠

---

(٨٤) محمد عطية الابراشى : **التربية فى الإسلام** — رقم (٢) من سلسلة (دراسات فى الإسلام) — يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف — القاهرة — ١٥ رمضان ١٣٨٠هـ — ٢ مارس ١٩٦١م ، ص ٢٨ ، ٢٩ ٠

(٨٥) الدكتور عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية ، وأسلافهم من الشيعة ، بين عهدى الصادق والطوسى** — مطبعة أسعد — بغداد — ١٩٧٢ ، ص ٢٤ (من المقدمة) ٠

(٨٦) عبد الله علوان : **تربية الأولاد فى الإسلام** — الجزء الأول — الطبعة الثالثة — دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت — ١٤٠١هـ — ١٩٨١ م ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ٠

(٨٧) المغراوى (أحمد بن أبى جمعة المغراوى) (مرجع سابق) ، ص ١٨ ٠

(٨٨) ابن سحنون (أبو عبد الله محمد بن أبى سعيد سحنون) (مرجع سابق) ، ص ٩٦ ٠

(٨٩) أسماء حسن فهمى (مرجع سابق) ، ص ٢٥ ٠

(٩٠) خطاب على عطية : **التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول** — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٤٧ ، ص ٧١ ٠

والمتأمل للتطور التاريخى للتربية الإسلامية يلاحظ - بوضوح - أن هذه التربية الإسلامية قد بدأت منذ البداية حسبة لله تعالى ، لتحقيق أهداف دينية ودنيوية معينة ، وأن عملياتها واجراءاتها ومؤسساتها قد تطورت على طريق تحقيق هذه الأهداف ، كما يلاحظ أن مسئولية القيام بعملية التربية تلك قد « قام بها الأفراد ، وقامت بها الدولة ، كلمنهما على خير وجه ، وأن الأفراد كانوا هم البادئين بانشاء مؤسساتها ، وتحمل مسئوليتها ، حتى تعقدت (حضارة) المجتمع الإسلامى فى العصر العباسى الثانى ، تعقدا استدعى وجود (قوى بشرية) ذات مواصفات معينة ، فكان انشاء الدولة لنظام المدرسة ، «وكانت الدولة - قبل انشاء المدرسة - قد تدخلت فى عصر المأمون ، حيث انشأ (دار الحكمة) سنة ١٩٨هـ (٨١٣م) ، للقيام بأعمال الترجمة ، عندما صارت الترجمة - لأسباب عدة - هى شغل الدولة الشاغل ، ثم تعدت رسالتها بعد ذلك مجرد الترجمة ، الى التدريس والبحث العلمى » (٩١) .

وقد أدى هذا الطابع المميز للتربية الإسلامية الى نموها واتساعها - عبر عصور التاريخ الإسلامى - لتضم - فى العصر العباسى - اضافة الى الكتاب والمسجد - قصور الخلفاء ومجالس المناظرات والدور والقصور والمكتبات (٩٢) ، ثم لتشمل منظومتها فى القرن الرابع الهجرى ، الكتاب والمسجد وحوانيت الوراقين ومنازل العلماء والصالونات الأدبية ودور الكتب ودور العلم والمدرسة (٩٣) .

وقد كان « من أهم المنازل التى اتخذت مكانا للدرس ، بعد دار الأرقم ومنزل الرسول بمكة ، منزل الرئيس ابن سينا » (٩٤) ،

---

(٩١) دكتور عبد الغنى عبود : **الفكر التربوى عند الغزالى ، كما يبدو من رسالته (أيها الولد)** - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٨٢ ، ص ٢١٣ .

(٩٢) أحمد أمين : **ضحى الاسلام** - الجزء الثانى - الطبعة الأولى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٣٥ ، ص ٥٤ - ٥٩ .

(٩٣) حسن عبد العال : **التربية الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى** - الكتاب الأول من سلسلة (مكتبة التربية الإسلامية) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٧٨ ، ص ٢١٤ - ٢١٩ .

(٩٤) الدكتور أحمد شلبى : **تاريخ التربية الإسلامية** - دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع - بيروت - ١٩٥٤ ، ص ٤٧ .

الذى كان « يصرف أعمال الدولة بالنهار ، ويجلس للتدريس والكتـابة بالليل » (٩٥) ، وكذا « دار الإمـام الغـزالى (٥٠٤هـ) ، التى كان يستقبل فيها تلاميذه ،بعد أن اعتزل بنظامية نيسابور ، على أثر رحلته التى قام بها للحج والاعتكاف بالجامع الأموى بدمشق ، حيث كتب كتابه الشهير (احياء علوم الدين) » (٩٦) ٠

ولقد اكتملت منظومة التربية الإسلامية فى عصر دولة المـماليك فى مصر - على سبيل المثال - حتى صارت تشمل (كل مكان) يمكن أن يتم فيه اتصـال وتفـاعل بين النـاس ، وحيث وصل عـدد (حبـات) هذه المنظومة - عند على سالم النباهين - الى عشر ، تندرج جميعا - عنده - تحت منظومة (التربية الشعبية) ، التى يخصص لها الباب الثانى من دراسته (٩٧) ، تمييزا لها عن (مدارس الطباق) ، التى كانت مخصصة لتربية المماليك (٩٨) ، وهذه الجهات التى كانت تتولى تربية العامة - عنده - هى :

١ - المســاجد ٠	٢ - المكاتب ٠
٣ - المدارس ٠	٤ - القباب ٠
٥ - الخوانق والربط والزوايا ٠	٦ - الترب ٠
٧ - منازل العلمـاء ٠	٨ - البيمارستانات ٠

(٩٥) عباس محمود العقاد : **الشيخ الرئيس ابن سينا** - رقم (٦) من سلسلة (اقرأ) - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر - القاهرة - يونية ١٩٦٧ ، ص ١٥ ٠

(٩٦) الدكتور أحمد شلبى (المرجع الأسبق) ، ص ٤٩ ٠

(٩٧) على سالم النباهين : **نظام التربية الإسـلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر** - الكتاب الثالث من سلسلة (مكتبة التربية الاسلامية) - الطبعة الأولى - دار الفـكر العربى - القاهرة - ١٩٨١ ، ص ٣٣٣ وما بعدهـا ٠

ومما تجدر الإشارة اليه أن هـذا الباب الثـانى يتكون من خمسـة فصول ، تبدأ بالفصل الرابع ، وتنتهى بالفصل الثامن - ارجع الى ص٢٠٣ وما بعدها من هذا الكتاب ٠

(٩٨) ارجع الى الفصل الثالث من المرجع السابق ، ص ١٥٣ وما بعدهـــا ٠

٩ - المكتبـات .
١٠ - مؤسسات تثقيف العامة (٩٩) .

ومعروف أن (نظام المدرسة) قد ظهر فى التـاريخ الإسـلامى فى نيسـابور ، قبـل الوزير السـلجوقى نظام الملك بكثير (١٠٠) ، ولكن التوسع فى الأخذ به ونشره يعود « الى الوزير السلجوقى (نظام الملك) ، الذى أنشأ (المدرسة النظامية) التى تنسب اليه ، فى بغداد سنة ٤٥٨هـ (١٠٦٥م) ، كما أنشأ مدارس مماثلة لها فى أماكن أخرى » (١٠١) . مما جعل كثيرا من المؤرخين ينسبون النظام كله اليه ، دون غيره .

ويرى ألدو مييلى أنه « الى النظامية حقا ، يرجع أصل المدارس الهـامة بالشرق ، بل ان تاسـيس جامعـات الغرب كان من وحيهـا وتاثيرها » (١٠٢) ، كمـا يرى جب وكرامـرز Gibb & Kramers أن صلاح الدين الأيوبى يعتبر « أكبر مؤسس للمدارس ، بعد نظام الملك »، و « ذلك لأن نشاطه الأكبر - كمؤسس للمدارس - كان فى البـلاد التى أصبحت بالغة الأهمية فى العالم الإسلامى ، وهى سـوريا وفلسـطين ومصر » (١٠٣) .

ورغم وجود نظام المدرسة وانتشـارها ، فقد ظلت غيرهـا من المؤسسات تفعل فعلها ، وتقوم بدورها التربوى المحدد المنوط بها ، ضمن المنظومة التربوية الكبرى ، التى كانت تزيـد - مع الأيـام - اتساعا ، وكان القادرون - من الحكام والوزراء والأمـراء والتجـار والعلمـاء والقضاة - يتنافسون فى انشائها جميعا ، وفى وقف الأوقاف اللازمـة لتمكينها من الاستمرار فى القيام بدورها ، تقربا الى الله تعالى (١٠٤) ، حتى كان انتشار هذه المؤسسات وازدهارها مما لفت نظر كثير من المغاربة والأندلسـيين ، فى رحـلاتهم المشرقيـة ، للحج أو لغيره ، فابن جبير (الأندلسى) (٥٣٩ - ٦١٤هـ = ١١٤٤ - ١٢١٨م) يلفت نظـره فى الاسكندرية - على سبيل المثال - كثرة « المدارس والمحارس ، الموضوعة

---

(٩٩) المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .
(١٠٠) حسن عبد العال (مرجع سابق) ، ص ٢١٠ .
(١٠١) دكتور عبد الغنى عبود : **فى التربية الاسـلامية** (مرجع سابق) ، ص ١١٤ .
(١٠٢) ألدومييلى (مرجع سابق) ، ص ٢٨٦ .
(103) H.A.R. Gibb and J.H. Kramers ; Op. Cit., p. 303,
(104) Ibid, p. 348.

فيها لأهل الطب والتعبد ، يفدون اليها من الأقطار النائية ، فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوى اليه ، ومدرسا يعلمه الفن الذي يريد تعلمه ، واجراء (أى راتبا) يقوم به فى جميع أحواله » (١٠٥) ، كما يلفت نظره فى القاهرة - مثلا - كثرة مدارسها ، ومن بها من معلمين « لكتاب الله عز وجل ، يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة ، وتجرى عليهم الجراية الكافية لهم » (١٠٦) .

وهذا الذي لاحظه ابن جبير ، لاحظه ابن بطوطة (المغرب) (١٣٠٤هـ - ١٣٧٨م) بعد ذلك بأكثر من قرن ونصف القرن على أهل المشرق العربى عموما ، حيث رأى أن « أهل المشرق يتنافسون فى عمارة المساجد والزوايا والمدارس والمشاهد » ، وأن « من أراد طلب العلم أو التفرغ للعبادة ، وجد الاعانة التامة على ذلك » (١٠٧) .

واذا كنا مع آدمز Adams في أن كفاءة النظام التعليمى تعنى « الحصول على أكبر قدر من المُخرجات من مجموعة معينة من المُدخلات ، أو الحصول على مقدار من المُخرجات ، باستخدام أدنى مقدار من المُدخلات » (١٠٨) ، فاننا لابد أن نقر بأن نظام التربية الإسلامية ظل - حتى نهاية عصر المماليك (سنة ٩٢٣هـ = ١٥١٦م) - نظاما اقتصاديا ، أكثر اقتصادا وأكثر انتاجية ، وأكثر اتفاقا مع أهداف الإسلام ذاته ، وذلك بسبب قدرته على تحقيق التوازن بين حاجات الدنيا وحاجات الآخرة ، فى الحياة العامة وفى التربية على حد سواء ، فلقد كان ثمة توازن واضح فى التربية بين هذه الحاجات وتلك حتى نهاية عصر المماليك ، حيث كانت منظومة العلوم فى عصر المماليك تتوزع بين العلوم الشرعية (١٠٩) وعلوم اللغة العربية (١١٠) والعلوم

---

(١٠٥) ابن جبير : **رحلة ابن جبير** - دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ، ص ١٥ .

(١٠٦) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(١٠٧) ابن بطوطة : **رحلة ابن بطوطة ، المسماة « تحفة النظار ، فى غرائب الأمصار ، وعجائب الأسفار »** - الجزء الأول - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة - ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م ، ص ٦٣ .

(١٠٨) د. آدمز : **التعليم والتنمية القومية** (مرجع سابق) ، ص ٦٦ .

(١٠٩) على سالم النباهين (مرجع سابق) ، ص ٣٥١ .

(١١٠) المرجع السابق ، ص ٣٥٢ .

العقلية ، كالطب وعلم العدد (الحساب) وعلم الجبر والمقابلة وعلم الهندسة وعلم الهيئة وعلم الطبيعيات وعلم الكيمياء (١١١) ، وغيرها ، مما مكن المسلمين من رد غارتين عاتيتين على العالم الإسلامى ، قدمت أولاهما من الغرب (الصليبيين) وقضى عليها صلاح الدين فى حطين سنة ١١٨٧م ، وقدمت الثانية من الشرق (التتار) وقضى عليها قطز فى عين جالوت سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) ، وهذه (القدرة) على رد الغارتين هى (مخرجات) النظام التربوى الذى سبقت الإشارة الى بعض جوانبه - وهو على النقيض مما حدث بعد المماليك ، حيث اختل هذا التوازن ، كما سنرى بإذن الله - لصالح الآخرة ، وما يسمى بالعلوم الدينية وحدها ، فى عصر الأتراك العثمانيين (الذى يبدأ من سنة ٩٢٣هـ = ١٥١٦م ، وينتهى بسيطرة الاستعمار الغربى على بلاد المسلمين) ، وكانت نتيجة هذا الاختلال لصالح علوم الدين ، عجز المسلمين عن صد الاستعمار ، الذى أتى مزودا بمنجزات العلوم الطبيعية ، التى ورثها الغرب عن المسلمين ونجح فى تطويرها ، ثم سقوط الخلافة العثمانية ذاتها ، ثم ظل هذا الاختلال - بعد الاستعمار - مستمرا ، ولكن لصالح الدنيا ، ومنظومة العلوم الطبيعية والحديثة ، وكانت نتيجة هذا الاختلال ماتعيشه بلاد المسلمين اليوم من ويلات ومشاكل ، ومن تخلف واضطرابات أيضا ، حيث انتفى وجود « ارادة علمية لتسخير الأشياء التى خلقها الله لخدمة الانسان ، ومساعدته على الترقى واعمار العالم » (١١٢) ، وفق منهج الإسلام ، كما حدده القرآن الكريم ، وكما حددته السّنة النبوية المطّهرة ، حتى صار العالم الاسلامى اليوم « يعيش اشكاليات متراكمة كثيرة » ، على حد تعبير الدكتور على خليل ، « أبرزها تلك التى يتردد فيها بين قطبين ، فهو ينجذب نحو حياة معاصرة ، بما فيها من انجازات مادية وفكرية ، وتشده ذات متاصلة أصيلة ، لا يمكنه الفكاك منها » (١١٣) ، هى ذاته الإسلامية الطيبة بطبيعة الحال .

---

(١١١) المرجع السابق ، ص ٣٥٤ .

(١١٢) دكتور على خليل مصطفى أبو العينين : **التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامى ، الركائز والمضامين التربوية** - رقم (١) من (بحوث فى التربية الإسلامية) - الطبعة الأولى - مكتبة ابراهيم الحلبى - المدينة المنورة - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ٤٨ .

(١١٣) دكتور على خليل مصطفى أبو العينين : **القيم الإسلامية والتربية ، دراسة فى طبيعة القيم ومصادرها ، ودور التربية الإسلامية فى تكوينها وتنميتها** - الطبعة الأولى - مكتبة ابراهيم الحلبى - المدينة المنورة - ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ٨ (من المقدمة) .

الفصل الثامن

النتـائـج والتوصيـات

تقـــديم :

كانت سيطرة الأتراك العثمانيين على العالم الإسـلامى فى الربع الأول من القرن العاشر الهجرى (السـادس عشر الميـلادى) (٩٢٣هـ = ١٥١٦م) خيرا ساقه الله سبحانه لهذا العالم الإسلامى ، بعد أن أدى (الاقتتال) بين دويلاته وملوكه الى ضعفه ضعفا أغرى أعداءه ، بالانقضاض عليه ، فسقطت الأندلس فى يد الفرنجة، وكان مخططا أن تتابع الصليبية الحاقدة على الإسلام مسيرتها لتتم الإجهـاز عليه ، لـولا أن قيض الله للإسلام هؤلاء الأتراك العثمانيين ، ليعيـدوا اليه شبابه ، ويوحـدوا المسلمين تحت قيـادتهم ، وليقتحموا ـ بـه ـ أوربا من شرقهـا ، بعد اقتلاعه من الأندلس فى غربها ، « وليكـون الإسـلام هو المنتصر فى النهاية ، اذا قارنا بين الرقعة التى خسـرها فى الغرب ، والرقعة التى كسبها فى الشرق عن طريق العثمانيين ٠

ومن أجـل ذلك ـ ربمـا ـ كان حقـد الصـليبية الغربيـة على العثمـانيين ، وعـلى الخـلافة العثمـانية » (١) ، حقـدا نعرف مـا انتهى اليـه ٠

والذى يتتبع الجذور التاريخية للأتراك ، لا يسعه الا أن يتأكد أن الله سبحانه كان يدخـرهم لهذه القرون الثـلاثة التى صـاروا ممثلين فيها للإسلام أمام العالم ، فيكونوا عنوانا لقوته ومنعته ـ بعد سقوط الأندلس، ورغمه ـ فهم لم يكونوا ـ يوم اعتنقـوا الإسـلام ـ شعبا له « مدنيـــة وحضارة قديمة ، اذ كانوا بدوا أو أشبه بالبدو ، فلم يكن شأنهم عندما اندمجوا فى المملكة الإسلامية شأن الفرس » ، الذين « أعطوا وأخذوا ، وانتفع بهم المسلمون من ناحية الثقـافة » ، وانما « كانـوا من ناحية الحضارة والثقافة قابلين ، لا فاعلين » (٢) ، على حد تعبير المرحوم الأستاذ أحمد أمين ٠

ولقد كانت بداوة الأتراك وكونهم أهل حرب ، مصدر قوتهم ـ وقوة الإسلام من خلالهم ، ولكن الحرب التى كانوا يجيدونها هى نفس حرب

---

(١) دكتور محمد عبد الحميد عيسى : **تاريخ التعليم فى الأندلس** ـ الكتاب الرابع من سلسلة (مكتبة التربية الإسلامية) ـ الطبعة الأولى ـ دار الفـكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٨٢ ، ص ٣٩ ، ٤٠ (من التقديم ، للدكتور عبدالغنى عبود) ٠

(٢) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** ـ الجزء الأول ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٤٦، ص ٤٤،٤٥ ٠

البدو ، التى تعتمد على المواجهة بسلاح تقليدى قديم ، « على ألا تقوم على أساس التطور العلمى » (٣) ، مما جعلهم "يجمّدون حياة المسلمين تجميدا ظهرت آثاره بعد قرون من ادارتهم شئون المسلمين ، حين التقى الشرق بالغرب من جديد ، فى نهايات القرن الثامن عشر الميلادى ، وكان الغرب فى هذه القرون الثلاثة التى تلت الاصلاح الدينى فيه (سـنة ١٥١٥م) ، قد تطور تطورات عدة فى شتى شئون حياته ، فى الوقت الذى كان فيه « الشرق كفـؤا للغرب من النـاحية الحربيـة والعلميـة والاجتماعية ، فى عهد الحروب الصليبية ، بل كان الشرق يفوق الغرب فى هذه النواحى ، بدليل انتصار الشرق فى هذه الحروب ، وبدليل أن دعـاة الغرب كانوا يحثـون مواطنيهم على الاسـتفادة من الشرق ، والاقتباس من نظمه وعلمه وقوانينه » (٤) ٠

ويلخص محمد قطب ذلك كله بقوله أنـه من حيث صـدق رغبـة العثمانيين « فى خدمة الدين ، وبذل الدماء والأموال فى سبيل ذلك ، فإنا نجد فيهم من لا يقل عن مرتبة التابعين رضـوان الله عليهم ، وكان جهدهم فى الحقيقة امتدادا لجهد الصحابة والتابعين ، الذين حـاولوا فتح القسطنطينية أول مرة فى عهد الأمويين ٠

ويكفيهم ـ فى ميزان الله ـ أنهم توغلوا فى أوربـا الصـليبية ما توغلوا ، وفتحوا للإسلام ما فتحوا من أراض وقلوب ، فدخل الناس فى الإسلام بعشرات الملايين ٠

ويكفيهم ـ فى ميزان الله ـ أنهم حموا العالم الإسلامى من غارات الصليبيين خمسة قرون متوالية ، فلم يجرؤوا أن يتجهوا مرة أخرى نحو الشرق ، للاستيلاء على بيت المقدس ، كما فعلوا أول مرة ، حتى زالت الدولة العثمانية من الوجود » ٠

« ولكن هذا كله ـ على ضـخامته فى ميزان الله ـ لا ينفى وجـود انحرافات خطيرة ، سواء فى الدولة ، أو فى حياة الأمة فى ظل الدولة ٠٠ آتت ثمارها السيئة على مرور الأيام ٠

---

(٣) الدكتور أحمد سويلم العمرى : **بحـوث فى المجتمع العربى (دراسات سـياسية)** ـ مكتبة الأنجـلو المصريـة ـ القاهرة ـ ١٩٦٠ ، ص ١٢٨ ٠

(٤) أحمد أمين : « الوحدة والتعدد » ـ **فيض الخـاطر** ـ الجزء الثانى ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ القـاهرة ـ ١٩٤٠ ، ص ١٥٩ ٠

« لقد كانت هذه أول دولة للخلافة لم تستعرب » ، « ولو تصورنا أن دولة الخلافة قد استعربت ، وتكلمت باللغة التى نزل بها هذا الدين، فلاشك أن عوامل الوحدة داخل الدولة كانت تصبح أقوى ، وأقدر على مقاومة العابثين ، فضلا عما يتيحه تعلم العربية من المعرفة الصحيحة بحقائق هذا الدين ، من مصادره المباشرة ، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كما كان الحكام والعامة كلاهما فى حاجة اليه » .

« ثم كان - كما هو الشان فى الدول العسكرية - نوع من (الحزم) الزائد ، الذى يصل أحيانا الى حد الاستبداد » ، وهو ما « يمارسه العسكريون فى المعتاد ، حين يتولون شئون السياسة » (٥) .

وهكذا شاءت ارادة الله - لحكمة يراها سبحانه - أن يكون العثمانيون - بعسكريتهم وفرط تقواهم - من أسباب دعم الإسلام طوال قرون ثلاثة ، ثم أن يكونوا - أخيرا - بعسكريتهم وفرط تقواهم أيضا - من أسباب الانحراف به عن مسار النبوة والخلافة الراشدة ، حين ركزوا على الحياة الآخرة وحدها باسم التقوى ، وتركوا الدنيا تتطور من حولهم وهم لا يتطورون ، فكان أن « ظهر الضعف والوهن فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية » (٦) ، مما أسلم أرض الإسلام - فى النهاية - الى أعدى أعدائه ، من صليبيين ويهود ، لتمارس - على أرضه اليوم - كل المذاهب والنظم المادية ، التى لا يجمع بينها الا شىء واحد ، هو محاربة الإسلام ، ومحاولة الإجهاز عليه .

وحول ما نتج عن هذا الانحراف عن (القصد) الإسلامى من آثار ، سوف تدور نتائج هذه الدراسة ، وتقدم بشانها التوصيات ، بإذن الله .

---

(٥) محمد قطب : **واقعنا المعاصر** (مرجع سابق) ، ص١٥٢ ، ١٥٣ .

(٦) عدنان على رضا النحوى : **الشورى ، لا الديمقراطية** (مرجع سابق) ، ص ٢١ .

أولا : من حيث مشكلة النموذج فى التربية الاقتصادية :

منذ قرن من الزمان تقريبا ، حيث كانت التجربة اليابانية لاتزال غضة طرية ، لم يستو عودها بعد ، قارن جمال الدين الأفغانى (١٨٣٩- ١٨٩٧م) بين هذه التجربة ، وكل من التجربتين المصرية والتركية ، وكلاهما أقدم من التجربة اليابانية على طريق الاتصال بالغرب وحضارته ، حتى أن الامبراطور ميجى Miji (١٨٦٨ - ١٩١٢م) ، رائد النهضة اليابانية الحديثة ، اختار بلادا يرسل اليها البعثات ، لتحمل النهضة الى اليابان ، وكان من بين البلاد التى أرسل اليها « بعثاته ، مصر ، للوقوف على أسرار (تقدم) أبنائها » (٧) ، ورأى الأفغانى أنه قد « شيّد العثمانيون والمصريون عددا من المدارس على النظام الجديد ، وبعثوا بطوائف من شبابهم الى البلاد الغربية ، ليحملوا اليهم ما يحتاجون له من العلوم والمعارف والصنائع والآداب ، وكل ما يسمونه (تمدنا) ، وهو فى الحقيقة تمدّن للبلاد التى نشأ فيها ، على نظام الطبيعة ، وسير الاجتماع الإنسانى » .

ويختم الأفغانى متسائلا : « هل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لأنفسهم من ذلك ، وقد مضت عليهم أزمان غير قصيرة ؟ » (٨) .

ويجيب الأفغانى على تساؤله قائلا : « نعم - ربما يوجد بينهم أفراد يتشدقون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية (القومية) وما شاكلها » ، « ومنهم آخرون عمدوا الى العمل بما وصل اليهم من العلم ، فقلبوا أوضاع المبانى والمساكن ، وبدلوا هيئات المآكل والملابس والفرش والآنية » ، ولكن « علمتنا التجارب ، ونطقت مواضى الحوادث ، بأن المقلدين فى كل أمة ، المنتحلين أطوار غيرها ، يكونون فيها منافذ وكوى ، لتطرق الأعداء اليها » (٩) ، ومن ثم كان العلاج الناجع - عنده - هو الرجوع الى (الأصول الدينية الحقة) ، على حد تعبيره ، لأن « الأصول الدينية الحقة ، المبرأة من محدثات البدع ، تنشىء للأمم قوة الاتحاد ، وائتلاف الشمل ، وتوسيع دائرة المعارف ، وتنتهى

---

(٧) ادوارد ر. بوشامب : **التربية فى اليابان المعاصرة** - قام بالترجمة والتعليق الدكتور محمد عبد العليم مرسى - مكتب التربية العربى لدول الخليج - الرياض - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م ، ص ٩ (من مقدمة المترجم) .

(٨) محمد عمارة : **الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى ، مع دراسة عن حياته وآثاره** (مرجع سابق) ، ص ١٩٥ .

(٩) المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

بها الى أقصى غاية فى المدنية »٠ واذا كانت «دولة اليابان قد ارتقت بتقليد الغربيين ، وبدون توسط الدين ، فذلك لأن أبناء الدولة اليابانية » قد « تركوا عبادة الأوثان » ، « وجروا وراء العالم الدنيوى ، فقلدوا أعظم الأمم تقليدا صحيحا » (١٠) ، « فلم يمض على سعى اليابان هذا ربع جيل ، حتى انتظمت محاكمهم ، وعم العلم الصحيح فى ناشئتهم » ، و « تم لليابان الفوز بالتقليد النافع ، وجلب المفيد اللازم ، من العلوم والفنون والصنائع » (١١) ٠

وواضح أن الأفغانى لم يكن يعرف عن اليابانيين سوى أنهم (عُبّاد أوثان) ، ولا عن تجربتهم أكثر من أنها (تقليد نافع) ، ولو أنه كان يعرف ما نعرفه نحن اليوم عنها ، لعرف أنها بدأت على خطوات التجربتين المصرية والعثمانية ، تقليدا للغرب ، ونقلا لمؤسساته التى طورها على أرضه ، ولأنماط حياته أيضا ، مما أدى الى نقل (مشاكل) الحياة فى الغرب اليه ، دون حضارة الغرب ذاتها ، ومن هذه المشاكل نمو « احساس بالحقوق الشخصية بين أعداد متزايدة من عمال المصانع ، مما ولّد حركة عمالية ، ثم حركة اشتراكية ، ودعوة الى (ثقافة) تسعى للتحرر من الوطنية الأبوية » (١٢) ، التى تعتبر صلب العقيدة الدينية البوذية ، التى هى معتقد الشعب اليابانى ، مما جعل اليابانيين يكتفون بنقل علوم الغرب الطبيعية وتكنولوجيته ، ويعملون على مزجها بالتراث الروحى اليابانى ، الذى سموه « حرفيا (اصلاح القلب) » ، وأكدوا فيه على « فضائل الولاء للامبراطور ، والتقوى البنوية » ، على حد تعبير آدم كيرل ، « ولاشك أنه حتى اعادة صياغة النظام كله ، تحت تأثير التعليم الأمريكى ، فإن التهذيب الخلقى ، المبنى على الموافقات المقدسة للسلطة الامبراطورية ، كان حافزا عظيما لتغيير نسيج الاقتصاد كله » (١٣) ٠

وهكذا لم يكن الذى أدى الى تقدم اليابان هو انسلاخها من دينها وتعاليمه ، برغم (وثنية) هذا الدين ، على حد تعبير الأفغانى ، وانما أدت محاولة الانسلاخ منه الى اضطراب وفوضى ، عالجه

---

(١٠) المرجع السابق ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ ٠

(١١) المرجع السابق ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ٠

(١٢) ماكوتو آسو ، وايكوو آماتو : **التعليم ، ودخول اليابان العصر الحديث** ـ سفارة اليابان بجمهورية مصر العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٦ ، ص ٦٣ ٠

(١٣) آدم كيرل (مرجع سابق) ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ ٠

المسئولون عنها بالعودة اليه ، والتشبث به ، ومزجه بالحضارة الغربية ، وهو ما أحسنت اللجنة الدولية المكلفة بكتابة تاريخ البشرية التعبير عنه بقولها : انه « غالبا ما يجرى التعبير عن المثل الأعلى بأنه (الروح اليابانية ، والمواهب الغربية) » (١٤) .

وهكذا نستطيع أن نقول ان اليابان قد تقدمت لأنها عادت الى (الروح اليابانية) ، أو الى تراثها الروحى ، وأن مصر وتركيا قد تقهقرتا لأنهما حاولتا الانسلاخ عن تراثهما الدينى والحضارى ، فقد كان (الافتتان) بالحضارة الغربية فى مصر الحديثة - على سبيل المثال - واضحا فى كل ما يتخذ فيها من قرارات ، وما يجرى فيها من تغييرات وتجديدات ، حتى أن اسماعيل باشا صمم « على أن يجعل (مصر قطعة من أوربا) » (١٥) ، فإذا بأمرها ينتهى - فى حياته - فى أفريقيا كما كانت ، وكما ستظل - غارقة فى الديون ، يهددها شبح الغزو الأجنبى ، وقد « أدرك خطأه فى آخر عهده » (١٦) ، ولكن بعد فوات الأوان بطبيعة الحال .

لقد كانت الرغبة فى تغريب Westernization مصر وتركيا وراء ما أصابهما ، بينما كانت الرغبة فى تحديث Modernization اليابان ، واتخاذ الخطوات المناسبة لتحقيق هذا التحديث ، هى التى قادت اليابان الى ما حققته من انجازات واضحة ، على طريق هذا التحديث ، وفى مقدمتها التاكيد على هذه (الروح) اليابانية ، وهو ما يعمل دعاة التغريب على البدء بالإجهاز عليه ، على نحو ما أعلن كمال اتاتورك صراحة ، بعد قضائه على الخلافة فى تركيا ، بمساعدة الصليبية والصهيونية ، كما هو معروف ، وعلى أساسه اتخذ ما اتخذ من سياسات ، معلنة وخفية على حد حد سواء .

---

(١٤) اليونسكو : **تاريخ البشرية - المجلد السادس (القرن العشرون) - التطور العلمى والثقافى - الجزء الثانى - ٢ (صورة الذات ، وتطلعات شعوب العالم)** - اعداد اللجنة الدولية ، باشراف منظمة اليونسكو - الترجمة والمراجعة : عثمان نويه وآخران - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٢ ، ص ١٠٦ .

(١٥) دكتور عبد الغنى عبود : **دراسة مقارنة ، لتاريخ التربية** (مرجع سابق) ، ص ٤٥٠ .

(١٦) عبد الرحمن الرافعى بك : **عصر اسماعيل** - الجزء الأول - الطبعة الثانية - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٤٨ ، ص ٨٣ .

والتغريب Westernization كالتحديث Modernization ، بحث عن نموذج Model يحتذى فى احداث تغيير فى المجتمع ، الا أن التعامل مع هذا النموذج يختلف فى الحالين ، فبينما نجد التغريب يقوم على نقل النموذج الغربى كما هو ، على نحو ما رأيناه قد تم فى مصر وتركيا وغيرهما من بلاد العالم الثالث ، نجد التحديث يقوم على تطوير هذا النموذج (الغربى مثلا) بحيث يناسب ظروف المجتمع المراد تطويره ، وروح الأمة التى تأخذ بهذا النموذج (١٧) ، ليتم هذا التطوير « فى جوانب النشاط المجتمعى المختلفة ، السياسية والاجتماعية (غير الاقتصادية) والاقتصادية » (١٨) جميعا .

وعلى عكس ما يقف الإسلام من قضية التغريب ، نجده يقف من قضية التحديث ، فالإسلام يجمع - كما هو مروف - « بين الثبات الذى يمنحه الاستقرار ، فلا يتزحزح عن مبادئه ، ولا يتحول عن أصوله ، وبين المرونة التى يواجه بها سير الزمن ، وسنة التطور » (١٩) ، على حد تعبير الدكتور يوسف القرضاوى ، الذى يرى أن عنصر « الثبات يتجلى هنا فى رفض المجتمع المسلم للعقائد والمبادىء والأفكار والقيم والشعارات ، التى تقوم عليها المجتمعات الأخرى غير المسلمة ، وتميزها » ، « ومع هذا ، لا ينعزل المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات ، بل يستطيع أن يقتبس منها ، وينتفع بما لديها من معارف وخبرات ومهارات ، لا تضر بكيانه المادى والمعنوى » ، « فهو يجمد فى بعض الأمور كالصخر ، ويلين فى بعض الأمور كالعجين » (٢٠) .

ومن ثم فالإسلام ضد التغريب ، الذى هو (مسخ) لشخصية المسلم ، ليكون انسانا غربى التفكير والتعبير والسلوك والحياة ، ولكنه مع التحديث ، الذى يهدف الى تطويره ليكون انسانا قادرا على القيام

---

(17) Abdul-Rahman Ahmed Saegh : **Higher Education and Modernization in Saudi Arabia : An Inquiry into the Societal Values of Saudi Colleges and Universities, and Their Role in the Economic and Non-economic Development of the Kingdom** ; Unpublished Ph.D. Dissertation, Claremont Graduate Faculty of Education, 1983, p. 78.

(18) Ibid., p. 82.

(١٩) الدكتور يوسف القرضاوى : **الخصائص العامة للإسلام** (مرجع سابق) ، ص ٢٣٧ .

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٢٣٨ .

بمهام الاستخلاف وعمـارة الأرض ، بروح العصر الذى يعيش فيه ، بل اننى « لا أكون مبالغا اذا أنا ادعيت أن هدف حضارة الإسلام هو فهم الدنيا وقوانين الكون ، بهدف السيطرة على البيئة المادية ، وتذليلها ، بحيث تسـعد جماعة المسلمين ، فى اعـلاء رايـة الله ، على أرض الله » (٢١) ، ولعل هذا هو ما قصد اليه الإمام على بن أبى طالب ، بقولـه :

- « لا تقسروا أولادكم على آدابكم ، فإنهم مخلوقون لزمـان غير زمـانكم » (٢٢) ٠

بل ان هذا هو ما يمكن أن يفهم من قول الرسول ﷺ :

- « ... فعليكم بسنتى ، وسنة الخلفـاء الراشـدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواخذ ، واياكم ومحدثات البدع ، فـإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » (٢٣) ٠

ورغم ما يحمـله الحديث من معنى (المحافظة) على الصـورة التى كانت موجودة فى عصر النبوة ، فإنه يحمل أيضا معنى (التجديد) فيها ، لأن حياة الرسول ﷺ كانت (تجديدا) لحياة العرب ، واندفاعا - ايمانيا - نحو المستقبل ، يدل على ذلك حيـاة (الخلفـاء الراشـدين المهديين) ، التى تتضمنها بقية الحديث ، كما يدل عليه قوله ﷺ :

- « من سَنّ فى الإسلام سُنّة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سَنّ سُنّة سيئة ، كان عليه وزرهـا ووزر من عمـل بهـا ، من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » (٢٤) ٠

---

(٢١) دكتور عبد الغنى عبود : **الحضارة الإسـلامية والحضـارة المعاصرة** - الكتاب الحادى عشر من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) - الطبعـة الأولى - دار الفـكر العربى - القـاهرة - فبرايـر ١٩٨١ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ ٠

(٢٢) الإمام على بن أبى طالب (مرجع سابق) ، ص ٣٠٩ ٠

(٢٣) رواه أبو داود والترمذى - نقلا عن :

- ابن الديبع الشيبانى (عبد الرحمن بن على) : **تيسير الوصول الى جامع الأصول ، من حديث الرسـول** - الجزء الأول - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر - القاهرة ، ص ٣٤ ٠

(٢٤) ابن حجر العسقلانى (أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن على) : **هدى السارى ، مقدمة فتح البارى** - تحقيق ومراجعة ابراهيم عطوة عوض - الجزء الأول - الطبعـة الأولى - شركة مكتبـة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر - القاهرة - ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م ، ص ٥ ٠

- « اذا حكم الحاكم فاجتهد ، ثم أصاب ، فله أجران ، واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ ، فله أجر » (٢٥) .

ولقد كان خلفاؤه (الراشدون المهديون) صورة حية لهذا الاجتهاد، فكان اجتهاد أبى بكر رضى الله عنه فى محاربة المرتدين تأسيسا لعقيدة الإسلام ، وهو اجتهاد حافظ عليها نقية ، حتى تقوم الساعة ، ولم ينته أثره بنهاية عهده - كما دلت على ذلك أحداث التاريخ .

واذا كان عهد أبى بكر لم يطل ، فقد طال عهد عمر ، رضى الله عنهما ، ليضع - بالاجتهاد - على الأساس الذى وضعه أبو بكر - أساس دولة ونظام ، ومؤسسات وتقاليد ، فإنه « حين تولى الخلافة بعد أبى بكر ، عمل على توحيد كلمة المسلمين وجمعها ، ولكى تزيد الوحدة السياسية قوة ، قام بتنظيم الأمور السياسية تنظيما جيدا ، ونظم الولاية بشكل جيد ، وعين القضاة ، ونظم بيت المال » ، « وكان هذا كفيلا بالمساعدة على توحيد فكر الأمة ، من أجل البناء الحضارى ، عن طريق بناء الانسان الموحد » (٢٦) .

وبهذه الروح التى تهرع إلى المستقبل دون سواه ، استطاع المسلمون - فى نظر المؤرخين - أن يبنوا حضارتهم المتميزة ، حيث لم يكن لدى العرب الذين خرجوا من جزيرة العرب فاتحين ، « تراث حضارى شامخ، ينافسون به الشعوب الأخرى، ذات الحضارات القديمة »، « ومع ذلك ، فقد كان لدى العرب عندئذ ما هو أهم ، وهو القدرة على التعلم السريع ، والافادة من الغير ، وتشرب الاتجاهات النافعة فى الحضارات التى قدر لهم أن يلتقوا بها ، ويصادفوها فى طريق توسعهم » (٢٧) .

---

(٢٥) البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى) : **صحيح البخارى** - الجزء التاسع - كتاب الشعب - دار ومطابع الشعب - القاهرة - ١٣٧٨/١٣٧٩هـ، ص ٣٣ (من كتاب الاعتصام بالكتاب والسّنة) .

(٢٦) دكتور علي خليل مصطفى أبو العينين : « عمر بن الخطاب واهتماماته التربوية » - **من أعلام التربية العربية الإسلامية** - المجلد الأول - مكتب التربية العربى لدول الخليج - الرياض -١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٢٧) دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : **المدنية الإسلامية ، وأثرها فى الحضارة الأوربية** - الطبعة الأولى - دار النهضة العربية - القاهرة- ١٩٦٣ ، ص ١٥ .

وهذا الذى لاحظه المؤرخون على الحضارة الإسلامية عموما ، لاحظه المهتمون بالتاريخ للتربية الإسلامية ، فقد لاحظوا - على معاهد التربية الإسلامية - على سبيل المثال - أنه كانت « المعاهد الإسلامية نتاجا اقليميا من صميم حاجات المجتمع الاسلامى وتطوراته ، تنبض بروح الإسلام ، وتهتدى بتعاليمه وأغراضه ، ولم تكن فى جملتها دخيلة ، أو مأخوذة عن الحضارات القديمة ، وانما كانت متصلة فى نموها وتطورها بالحياة الإسلامية العامة ، تنعكس فيها أغراض واتجاهات تلك الحياة » (٢٨) ٠

واذا ما سلمنا بأن الأساس فى التربية الإسلامية أنها تربية اقتصادية ، بمعنى أنها تربية تقوم على حسابات مدروسة ، وتسعى الى تحقيق أهداف معينة ، فى مقدمتها ارضاء الله وتقواه ، وتحقيق استخلاف الانسان فى الأرض وتمكينه من تعميرها ، ونشر الحق والعدل والخير فيها ، واقامة توازن بين حاجات الدنيا ومطالب الآخرة ، وبين حاجات الجسم وحاجات الروح ، وبين حاجات الفرد وحاجات الجماعة ، وبين عقيدة الاسلام وعباداته ومعاملاته ، ومطالب دنيا المسلم ، وتطور الحياة من حوله - اذا سلمنا بذلك ، فإن الدراسة توصى بما يلى :

١ - مراجعة المناهج والمقررات الدراسية فى البلاد الإسلامية على وجه العموم ، والتأكد من قدرتها على تحقيق أهداف الإسلام والمسلمين ، اليوم ٠

٢ - اعادة النظر فى المقررات الدينية ، لضمان قدرتها على تحقيق أهداف انسان مسلم ، ومجتمع مسلم ، يعيشان فى القرن العشرين ٠ ويواجهان مشكلات تتصل بالحياة فى هذا القرن ، بكل متغيراته ٠

٣ - اعادة النظر فى المقررات غير الدينية ، وخاصة مقررات العلوم الطبيعية ، لضمان خضوعها - فى التفكير والمعالجة والتأليف - لروح الإسلام ، وخدمتها لأهدافه ٠

٤ - اعادة النظر فى برامج وسائل الإعلام والتثقيف وخططها ، ومحاولة اخضاعها لروح الإسلام ، واخضاعها لمتطلبات خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى كل بلد مسلم ، وتخليصها - قدر الإمكان وتدريجيا - من المواد الأجنبية ، خاصة تلك التى تتنافى مع قيم الإسلام

---

(٢٨) أسماء حسن فهمى (مرجع سابق) ، ص ٢٢ ٠

وأهدافه ومثله العليا ، كما تتفق في الوقت ذاته مع متطلبات تنمية الفرد ، وتنمية الأمة الإسلامية .

٥ – العمل على انتاج مواد اعلامية وتثقيفية اسلامية ، تناسب الحياة الإسلامية في القرن العشرين ، وتحل مشكلات الفرد المسلم والمجتمع المسلم اليوم فعلا .

٦ – دراسة أوضاع أئمة المساجد في العالم الإسلامي ، واتخاذ ما يمكن من تحويلهم الى قيادات دينية حقيقية ، حيث يوجدون ، بحيث تعود للمسجد مكانته من جديد في قلب المسلم ، ليس كمكان للعبادة فقط ، ولكن كما كان دائما – محورا لنشاط أبناء المنطقة المحيطة به ، في شتى شئون الحياة .

٧ – دراسة النماذج الموجودة في البلاد المتقدمة ، ومحاولة الاستفادة بالناجح منها في تطوير التعليم في البلاد الإسلامية ، بعد اخضاع النماذج المقتبسة لروح الإسلام ، وضمان حاجة النظام اليها بالفعل .

٨ – اعادة النظر في الهيكل التعليمي في البلاد الإسلامية ، وخاصة الفصل بين التعليم الديني والتعليم المدني ، قبل مرحلة التعليم العالي .

٩ – ربط التعليم الإسلامي بحركة الإنتاج في المجتمع الاسلامي ، وتدريب الطلاب عمليا على حياة الإنتاج ، وفي مؤسساته .

١٠ – ترشيد عملية الاستهلاك في المدارس ، سواء في ذلك استهلاك المياه والكهرباء والكراسات والأقلام وغيرها ، واستغلالها فرصة لتحقيق التربية الاستهلاكية للمتعلمين في مختلف مراحل التعليم .

١١ – تكليف المتعلمين أنفسهم بإدارة برامج النشاط ، ليتعلموا منها – تحت اشراف معلميهم المسلمين – الحياة الاقتصادية ، بمختلف جوانبها ، بطريقة عملية .

١٢ – تطوير التعليم وطريقته في البلاد الإسلامية ، بحيث يحول الطلاب – المتعلمين – الى كيانات متحركة نشيطة ، ايجابية ، تشارك في الدرس بالفعل ، وتقف مما تقرأ من مواد علمية موقفا ايجابيا نشيطا ، كبديل لحياة الحفظ والتلقين وسلبية المتعلم ، التي تعد من أوضح سمات التعليم في البلاد الإسلامية اليوم .

ثانيا : من حيث التنمية الاقتصادية للمتعلم :

رأينا فى الفصل الثانى أن (الأسرة) بطبيعتها مؤسسة اقتصادية، فى كثير من جوانبها ، وفى كثير مما تقوم به من ألوان النشاط ، كما رأينا فى الفصل السابع أن التربية الاقتصادية فى الإسلام تبدأ مع السنوات الأولى للطفل ، وأن ذلك هو المنظور الاسلامى الخاص المتميز للاقتصاد ، الذى يختلف عن المنظور المادى المعاصر اليه - وأن ما يتلقاه الطفل المسلم من رعاية وعناية وتقبل وحب فى نطاق الأسرة ، هو تربية اقتصادية له ، لأن ذلك مما يساعده على أن ينشأ محبا للحياة ومحبا للعالم ، وراغبا - بالتالى - فى بذائه وتعميره والإضافة اليه .

والأسرة هى الوحدة المجتمعية الأولى التى يتشرب فيها الطفل قيم الجماعة واتجاهاتها وأنماط سلوكها ، وهو - عندما ينتقل الى المدرسة أو المجتمع أو غيرهما - فى الإسلام ، انما ينتقل الى (أسرة) جديدة ، يجد فيها نفس الود ونفس المحبة ونفس الدفء العاطفى تقريبا ، على نحو ما نجد الله سبحانه يصف جماعة المؤمنين :

- « **محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ... » (٢٩)** .

وهو ما نجده فى أحاديث نبوية كثيرة ، منها قوله ﷺ :

- « من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار ، قضاها أو لم يقضها ، كان خيرا له من اعتكاف شهرين » (٣٠) .

- « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يُسلِمه . من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة ، فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ، ستره الله يوم القيامة » (٣١) .

---

(٢٩) قرآن كريم : **سورة الفتح - ٤٨** : الآية ٢٩ .

(٣٠) رواه ابن عباس رضى الله عنهما - أخرجه الحاكم - ارجع الى :

- العماد مصطفى طلاس : **المصطفى من احاديث المصطفى** (مرجع سابق) ، ص ٥٢٨ .

(٣١) رواه ابن عمر رضى الله عنهما - أخرجه الشيخان البخارى ومسلم - ارجع الى :

- المرجع السابق ، ص ٥٤١ .

- « لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا ، وكونـوا عباد الله اخوانا . المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ، بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » (٣٢) .

وهكذا يكون (المجتمع الإسلامى) بمثـابة أسرة كبيرة للفـرد المسلم، بما يقدمه للفرد من حب وعطاء وتعاطف ومودة، تعتبر كلها أمورا لا غنى عنها لحياة البذل والعطاء التى يطلبها الإسلام من كل فرد من أفراده ، كما رأينا فى الفصل الرابع من الدراسة ، ومن ثم تكون هذه الحياة المجتمعية التى رسمها الإسلام ، هى أساس تقدم المجتمع الإسلامى وازدهاره ، فى السياسة والاجتماع والاقتصاد على السواء ، فان « التقدم والانحطاط يخضعان لقوانين طبيعية ذاتيـة فى الأمم ، ولا يرتدان الى مجرد الانتماء الى الدين ، ولاشك أن الدين كان سبب سيادة المسـلمين وسعادتهم ، وأن الإعراض عنه قد أوردهم أعظم المهـالك ، وأودى بهم الى الانحطـاط » . « ان قوله تعـالى (وما كان ربـك ليهلك القرى وأهلها مصلحون) ، هو الذى ينبغى أن يكون المؤشر الحقيقى فى مسألة الصعود والهبوط ، فالظلم والصلاح هما قانونا الترقى والانحطاط ، أما الصلاح فليس الا عمارة الأرض وادارتها » (٣٣) .

ويرى الدكتور عماد الدين خليل، أن الله سبحانه قد فتح باب الحرية « للإنسان ابتداء لكى يصنع تاريخه الفردى والجماعى ، ولكى يشـكل مصيرهما معا ، اعتمادا على ما ركب فى وجـوده ، من قـوى العقل والارادة ، والانفعال والحس والحركة ، والانســان بدوره ، عندما يسـتخدم حريته لصـياغة الحدث ، وتوجيـه المصـير ، انمـا يعتمـد على مقدمات لا يمكنه بحال الاسـتغناء عنها : الزمـن ، التراب ، ثم التعاليم والنظم والقيم والأعراف والتقاليد ، وضـعية كانت أم دينية ، ويبلغ التناغم والتداخل والتشابك بين ارادة الله وارادة الانسان - على خلاف النظرة الغربية - حدا يصعب علينا معه التفريق والفصل ، والقول بأن هذا من عمل الله ، وهذا من عمل الانســان ، وان كانت القـاعدة الأساسية التى يجب الا تغيب عن أذهاننا لحظة ، أن (الكل) من عمل الله » ، « الا أن عمل الانسان ، من خلال العلاقـات الكونية الشاملة ، يمتلك حريته الكاملة ، فى الصـياغة والتخطيـط والتنفيذ واسـتغلال النتـائج » (٣٤) .

---

(٣٢) رواه أبو هريرة رضى الله عنه - أخرجه مسلم - ارجع الى:
- المرجع السابق ، ص ٥٢٨ .

(٣٣) الدكتور فهمى جدعان (مرجع سابق) ، ص ٢٦٨ .

(٣٤) الدكتور عماد الدين خليل : **التفسير الإسلامى للتاريخ** - الطبعة الأولى - دار العلم للملايين - بيروت - كانون الثانى (يناير) ١٩٧٥ ، ص ١٣٨ .

كما يرى أن « النتيجة التاريخية التى ترتبها المشيئة الإلهية على التجربة الفردية أو الجماعية ، انما تجىء منبثقة عن طبيعة التجربة ، مشكلة بشكلها ، حاملة بصماتها ، مستمدة غذاءها من عجينتها وشرايينها ، وهذا هو العدل ، بمفهومه الدقيق الكامل » (٣٥) .

وبهذه النظرة الواقعية الموضوعية الى الحياة ، أقام المسلمون - بالاسلام - حضارة لا نكاد نجد كتابا من كتب التاريخ الوسيط يغفلها ويغفل توضيح اثرها فى الحضارة الغربية المعاصرة ، فإن « المسلمين خلال مائتى سنة فقط من الهجرة النبوية ، كانوا قد أصبحوا أئمة العالم ، وأصبحت حاضرتهم - بغداد - عاصمة العالم الحضارية ، بدلا من اصطخر الإيرانية ، ورمسيس المصرية ، وروما الأوربية » (٣٦) . والى جانب بغداد ، ظهرت - فى تاريخ الحضارة الإسلامية - مدن أخرى ، مثل إصبهان والرى وبخارى وطبرستان وغزنة وحلب والقاهرة (٣٧) ، اضافة الى قرطبة (٣٨) فى الاندلس ، رغم أن « الإسلام (حضارة الهية) ، اذا صح التعبير » (٣٩) ، على حد تعبير محمد الحسنى .

واذا كانت الخطوط العامة العريضة لهذه الحضارة قد نزل بها الوحى من السماء ، وترك للمسلمين - مع ذلك - أن يتحركوا فى اطار هذا المنهج المرسوم ، اذا أرادوا أن يرتقوا - فعلا - الى مستوى الإسلام ، فإنه ليس ثمة حرج فى وصف الحضارة الإسلامية بأنها (حضارة الهية) ، اذ يكون المقصود بهذا الوصف انها « حضارة نشأت

---

(٣٥) المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

(٣٦) وحيد الدين خان: المسلمون بين الماضى والحاضر والمستقبل- ترجمة ظفر الإسلام خان - مراجعة د. عبد الحليم عويس - الطبعة العربية الأولى - المختار الإسلامى للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٧٨ ، ص ٧ .

(٣٧) الدكتور حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى - الجزء الثالث - الطبعة السابعة - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٦٥ ، ص ٣٨٨ .

(٣٨) المقرى : نفح الطيب ، من غصن الاندلس الرطيب - الجزء الاول - مطبعة بولاق - القاهرة - ١٢٩٧هـ ، ص ٣١٨ .

(٣٩) محمد الحسنى (مرجع سابق) ، ص ٩٠ .

باسم الله ، ولم تنشأ باسم العلم ، ومن أجل ذلك كان هدف العلم فى الإسلام ارضاء الله ، واسعاد الانسان » (٤٠) .

ويجمع الدارسون على أنه « لم يكن ضعفا فى القرآن أنه لم يحدد منهجا سياسيا ، ولم يرسم دستورا محددا ، وانما كان ذلك أحد أدلة قوته واعجازه ، فقد أراد الله أن يفتح سبيل الاجتهاد ، والأخذ بالعلوم ، واستنباط المناهج والأحكام ، من الظروف المتغيرة ، دون تكبيل بمنهج سماوى جامد محدد » (٤١) ، وذلك لأنه « لا يناسب جوهر الدين أن يفصل للناس نظم الاقتصاد أو نظم السياسة ، تفصيلا مبرما » ، فإن « أحوال المعيشة الاقتصادية والنظم السياسية تتقلب من زمن الى زمن ، وتختلف بين أمة وأخرى » ، ولذلك « قرر الإسلام أن يمنع الاحتكار ، وكنز الأموال ، وقرر أن يمنع الاستغلال بغير عمل » ، كما « فرض الاسلام أن يقوم الحكم على أساس الشورى ، وأن يقوم التشريع على أساس الكتاب والسنة ، واتفاق الامام والرعية ، ولا ضير بعد ذلك أن يتبعوا هذا النظام أو ذاك » (٤٢) .

وهكذا نجد أنه مثلما وضع الإسلام الأساس الذى تقوم عليه (الأسرة الصغرى) ، فى البيت المسلم ، وفصل هذا الأساس تفصيلا ، فإنه وضع الأساس الذى تقوم عليه (الأسرة الكبرى) ، فى المجتمع الإسلامى ، ولكن لم يفصلها — كما سبق — لأسباب رأيناها ، ومن ثم وضع أساس التنمية الاقتصادية على مستوى الجماعة المسلمة أيضا ، بحيث يتحول كل فرد فيها الى (عنصر) من عناصر الإنتاج ، حتى ولو كان غير منتج ، على نحو ما رأينا فى الفصلين الرابع والسابع ، وجعل مسئولية التنمية تلك ، بمفهومها الواسع — المبنى على الحب والعطاء والتراحم — الذى لا نظير له فى أى نظام آخر ، قديم أو حديث ، يتخذ من الدنيا وحدها مبتداه ومنتهاه — جعل مسئولية التنمية تلك فى رقبة الجماعة كلها وفى ذمتها ، وتحاسب على التقصير فى الوفاء بها يوم القيامة .

---

(٤٠) القشيرى : الرسالة القشيرية ، للإمام أبى القاسم عبد الكريم القشيرى — دار الكتب الحديثة — القاهرة — ١٩٧٢ ، ص ١١ (من التقديم ، للمحققين) .

(٤١) مصطفى محمود : الماركسية والإسلام (مرجع سابق) ، ص ١٨ .

(٤٢) عباس محمود العقاد : ما يقال عن الإسلام — دار الهلال — القاهرة — ١٩٧٠ ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .

وحتى عصر المماليك فى مصر — كما سبق — كان الأمراء والعلماء هم الذين يضطلعون بحمل هذه المسئولية ، فقد « كانت مصر فى عصر دولة المماليك تموج بحركة علمية وتربوية واسعة ، كما تبين لنا ذلك من قبل ، وكان يقود هذه الحركة أكابر العلماء والفقهاء فى المجتمع المصرى . وتشير كتب التراجم الى أن اعدادا كبيرة من العلماء والفقهاء والأدباء والمفكرين ، كانوا يمارسون نشاطاتهم العلمية ، على مستويات مختلفة ، فى جميع انحاء مصر » (٤٣) .

وهذا الذى كان يحدث فى مصر فى عصر دولة المماليك ، كان يحدث فى كل مصر اسلامى حتى ذلك العصر ، حيث « كان من أهم مظاهر الحركة العلمية التى تدعو الى الاعجاب فى هذا العصر ، الرحلات ، فقد أصبح تقليدا للعالم أن يرحل ، ويلاقى العلماء ، ويأخذ منهم ، ويروى عنهم ، مع عناء السفر ، وفقر العلماء غالبا » ، « والحكومات من جانبها تنشىء الطرق وتقيم الرباطات والمخافر ... » ، « فكان العلماء فى رحلاتهم ينتفعون بهذه المزايا » (٤٤) .

وكان التعليم — حتى العصر العثمانى — كما كان طوال عصور الإسلام السابقة — متاحا لكل راغب فيه ، بالمجان ، بل كان — كما رأينا من قبل فى هذا الفصل — يعان الطلبة على تحصيله ، بما وقف عليه من أوقاف مغلّة ، يحبسها أهل الخير عليه ، من جميع الطبقات ، تقربا الى الله تعالى ، « فكثرت الأوقاف المغلة لذلك ، وكثر طالب العلم ومعلمه ، بكثرة جرايتهم منها » (٤٥) على حد تعبير ابن خلدون .

واذا ما تركنا عصورا مضت ، الى هذا العصر الذى نعيش فيه ، بكل متغيرات الحياة ، العلمية والتكنولوجية ، فيه ، وجدنا أنفسنا مطالبين بتدخل أكبر من الدولة فى شئون التعليم ، وتوجيهه وجهة تحقق قيامه بدور أكبر فى عملية التنمية ، الاجتماعية والاقتصادية ، التى يمر بها العالم الإسلامى حاليا ، فى ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد ، بسبب الهوة الحضارية القائمة بين هذه البلاد الإسلامية والبلاد المتقدمة ، والتى تزداد — بمرور الأيام — اتساعا .

---

(٤٣) على سالم النباهين (مرجع سابق) ، ص ٢١١ .

(٤٤) أحمد أمين : **ظهر الإسلام** — الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

(٤٥) العلامة عبد الرحمن بن خلدون : **المقدمة ، من كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر** — المطبعة الشرفية — القاهرة — ١٣٢٧هـ ، ص ٤٨٥ .

وفى ضوء ما سبق ، توصى الدراسة بما يلى فى هذا المجال :

١ - أن تعطى الدولة - فى كل بلد اسلامى - أولوية تامة فى خطط تنميتها - الاجتماعية والاقتصادية - لنشر التعليم ، وتمكين كل الأفراد من الحصول عليه والتزود به ، على مختلف مستويات هذا التعليم ، بوصفه الوسيلة الأساسية فى تحقيق نجاح هذه الخطط التنموية ، أن لم يكن وسيلتها الوحيدة فى عصر العلم الذى نعيش فيه - باعتبار التعليم عملية (أمن قومى) ، لا يمكن تحقيقه لأمة فى عالم اليوم الا به .

٢ - أن يتم تحويل وسائل الاتصال الجماهيرى فى كل بلد اسلامى ، من اذاعة وتليفزيون وصحافة وغيرها ، الى وسائل تثقيف جماهيرى ، تقوم بدور واضح فى عملية التنمية تلك ، لا أن تكون مجرد وسائل للتسلية والتلهية ، كما هى اليوم فعلا ، فى بلاد المسلمين .

٣ - أن تعطى الأولوية فى خطط التربية والتعليم لنشر التعليم الابتدائى وتعميمه ، وتقديم الخدمات المناسبة لطلاب العلم فيه ، ثم يليه التعليم المتوسط والثانوى ، ثم التعليم الجامعى والعالى .

٤ - أن يكون هناك اهتمام مماثل ببرامج محو الأمية لمن فاتتهم فرصة التعليم فى الصغر ، وأن يهيأ مثل هذا التعليم بالجو الذى يناسب الكبار ، ويجعلهم يقبلون على برامجه بحب وترحيب ، وأن توفر للمتعلمين الكبار حوافز تدفعهم دفعا الى الإقبال عليه ، والافادة من برامجه .

٥ - أن تعطى الفرصة للجهود الشعبية - فى المساجد والنوادى وغيرها من التجمعات الشعبية - للمساهمة فى تقديم البرامج التعليمية، على مختلف مستوياتها .

٦ - أن يتم ربط التعليم فى كل بلد اسلامى بعجلة الحياة فى ذلك المجتمع ، وذلك بربطه بمرافق المجتمع الإسلامى ربطا منظما وقانونيا ، على نحو ما اقترحنا فيما سبق فى (أولا) .

٧ - أن يكون للمتخصصين فى كل فرع من فروع العلم والمعرفة دور قانونى واضح ومحدد ، فى اعادة تخطيط البرامج والخطط ومقررات الدراسة فى كل مرحلة تعليمية ، وعلى كل مستوى من مستويات الدراسة بها ، وخاصة المتخصصين فى العلوم التربوية ، وذلك لإعادة تشكيل عقل المسلم وصياغته صياغة عصرية ، تحقق أهداف التنمية ، من خلال مراحل التعليم المختلفة .

٨ - أن يكون للمتخصصين فى العلوم الدينية المختلفة دور واضح فى اعادة صياغة البرامج والخطط التعليمية ، وفى اعادة صياغة نظم التعليم أيضا ، على نحو ما سبق واقترحنا فى (أولا) .

ثالثا : من حيث التوجيه المجتمعى للتربية :

رأينا فى الفصل الثالث من الدراسة أن الدور الذى كان المجتمع الإسلامى يقوم به فى عملية التربية (ومنها التربية الاقتصادية) ، عبر عصور الازدهار الإسلامى ، كان دائما دورا نشيطا وفعالا ، يعمل على أن « يكون هناك رأى عام ، مهذب لائم ، يحث على الخير ، وينهى عن الشر ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، فإن الرأى العام له رقابة نفسية ، تجعل كل شرير ينطوى على نفسه ، فلا يظهر ، وكل خير يجد الشجاعة فى اعلان خيره » (٤٦) .

ولقد ظل هذا (الرأى العام المهذب اللائم) ، على حد تعبير الشيخ محمد أبو زهرة ، يرحمه الله ، موجودا فى المجتمع الإسلامى ، حتى دهم الاستعمار بلاد المسلمين ، فقضى على هذا الرأى العام ، ليسهل عليه حكم البلاد ، واستغلال خيراتها ، وكانت المؤسسات التعليمية موضع الاهتمام الأول لهذا الرأى العام ، فقد كان من واجبات (المحتسب) فى عصر دولة المماليك فى مصر — على سبيل المثال — أن يراقب الذين يتصدون للتعليم ، وهم غير أهل له ، « فلا يمكن أحدا ممن يتصدى لهذا الفن ، الا من اشتهر بين الناس بالدين والخير والفضيلة ، وأن يكون من العلماء » (٤٧) .

وقد ظل علماء الدين — حتى ذلك العصر — وبعده فى العصر العثمانى — هم الذين يقودون مسيرة هذا الرأى العام ، حتى أنهم كانوا هم الذين قادوا مسيرة التصدى للاستعمار الغربى فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى ، وكانوا هم الذين نظموا المقاومة المسلحة ضده (٤٨) ، كما انهم ظلوا فترة طويلة ، خلال عصر الاستعمار الغربى ذاته ، حملة لواء المقاومة ضده ، بتعبيرهم عن هذا الرأى العام ، فقد كان علماء الأزهر فى مصر — على سبيل المثال — « قوانين نفسية نافذة على الشعب ، وعملهم أرد على الناس من قوانين الحكومة ، بل هم التصحيح لهذه القوانين ، اذا جرت على عللها وأسبابها » ، على حد تعبير المرحوم مصطفى صادق الرافعى ، الذى يرى أنه قد « أصبح

---

(٤٦) الإمام محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٧٥ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٤٧) ابن الإخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشى) (مرجع سابق) ، ص ٢٧١ .

(48) Barbara Meger ; Op. Cit., p. 141.

ايمان المسلمين كأنه عادة الايمان ، لا الإيمان نفسه ، ورجع الاسلام فى كتبه الفقهية وكأنه أديان مختلفة متناقضة ، لا دين واحد ، فرسالة الأزهر وطلبته أمثلة من الأمثلة القوية فى الدين والخلق أن يكون الأزهر جريئا فى عمله لهذه القيادة ، آخذا بأسباب هذا العمل، ملحا فى طلب الأسباب ، وكل هذا يكون عبثا اذا لم يكن رجال الأزهر وطلبته أمثلة من الأمثلة القوية فى الدين والخلق والصلابة » (٤٩) .

وهذا الذى قاله الرافعى عن علماء الأزهر ، بوصفهم (قوانين نفسية نافذة) على الشعب ، يمكن أن يقال عن علماء الدين الإسلامى فى كل بلد اسلامى ، قبل العصر الحديث ، وان كان الأمر لا يخلو - بطبيعة الحال - من وجود علماء يتهافتون على المناصب ، ويطمعون فى الجاه والسلطان ، أو فى الكسب المادى ، « فمن هؤلاء من يطلب العلو فى الدنيا ، والتردد على أبواب السلاطين والأمراء ، وحب المناصب والجاه ، فينقصون العلم وأهله » (٥٠) ، على حد تعبير السبكى ، وحديثه عن علماء الدين فى عصر المماليك فى مصر بطبيعة الحال ، ولكنه ينسحب على عصور أخرى غير هذا العصر ، مما أدى بعلماء الدين ومؤسساته الى ما تعيشه - ويعيشونه - اليوم - من (انزواء) فى ركن من أركان الحياة الإسلامية محدود ، كما نرى جميعا ، ومما أدى الى زيادة تخلف المجتمعات الإسلامية ، بسبب هذا (الانزواء) ، فلا المسلمون و « العرب راغبون - أو قادرون - على الانصهار فى حضارة العصر ، لأنهم يحلمون بالحصول على انجازات العلم والتكنولوجيا ، منفصلة عن النظام القيمى ، الذى سمح بتطويرها ، ولا هم قادرون على تقديم البديل ، لأنهم يرفضون منطق العصر ، ويدعون الى منطق الماضى ، ويجهلون فى ذلك أن الماضى لم يكن مرة بديلا عن الحاضر ، أو صورة مطابقة للمستقبل . ان من يريد تحدى حضارة اليوم ، عليه أن يهضم ويفهم منطقها ، ويضيف عليها قيما أسمى ، ويصهر الكل معا ،

---

(٤٩) مصطفى صادق الرافعى : **وحى القلم** - الجزء الثالث (مرجع سابق) ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٥٠) السبكى (تاج الدين عبد الوهاب) : **معيد النعم ، ومبيد النقم** - حققه وضبطه وعلق عليه محمد على النجار وآخرون - مكتبة المثنى ببغداد - ١٩٤٨ ، ص ٦٨ .

ليخرج عجينا وخبزا جديدا ومبتكرا ، ليغذى حضارة جديدة سامية لبنى الإنسان » (٥١) ٠

لقد أدى غياب علماء الدين ومؤسساته عن الساحة الى تعطيل (الفقه الاسلامى) عن أن يعمل عمله فى تطوير المجتمعات الإسلامية ، والمعروف أن « الفقه الإسلامى من صنع البشر ، استمدوه من فهمهم وتفسيرهم وتطبيقهم للشريعة ، فى ظروف خاصة ، وتلبية لحاجات خاصة ، واستيحاء لأوضاع جيلهم الذى عاشوا فيه » (٥٢) ، ومن ثم كان الفقه الإسلامى عبر تاريخ الإسلام الطويل ، وقبل أن يعطل على هذا النحو الذى نعيشه اليوم ، مما يمكن العقل المسلم من (الابداع) ومسايرة خطى الحياة الإسلامية ، الدائمة التغير والتبدل ، فكان (الفكر الإسلامى) « مبدعا ، عندما كانت له الحرية للقيام بصولات وجولات ، فى شتى المجالات الفكرية ، دون خوف أو مهابة ، الا من الله والضمير » (٥٣) ٠

وفى غياب علماء الدين – قادة للمجتمع الإسلامى – فى كل مكان من أرض المسلمين – غابت الشريعة الإسلامية ، التى حفظت لهذا المجتمع الإسلامى قوته وعزته ومنعته ، « فصار حال المسلمين هوانا ، وقد هيأ لهم ربهم كل أسباب القوة والعزة ، والمنعة والسلطان » (٥٤)، أو مكنتهم هذه الشريعة ، من أن يعيشوا العصر بروح العصر ، لا بروح عصر آخر سبقه ٠

ان حاجات المجتمع الإسلامى المعاصر الجديدة حاجات كثيرة ، فرضها تقدم العلم والتكنولوجيا عليه ، ومن ثم فهو مطالب اليوم بالحصول على مختلف علوم العصر وفنونه ، التى ينبغى أن « يتحصل عليها المؤمنون والكفار سواء ، ولا تؤثر بذاتها فى عقيدة القلب ، أو اتجاه الشعور » (٥٥) ، « وهى فى الوقت ذاته تصلح للتطبيق مع كل

---

(٥١) د٠ أنطونيوس كرم (مرجع سابق) ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ ٠

(٥٢) سيد قطب : **نحو مجتمع اسلامى** – الطبعة الثانية – دار الشروق – القاهرة – ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م ، ص ٥٠ ٠

(٥٣) د٠ أنطونيوس كرم (مرجع سابق) ، ص ١٦٦ ٠

(٥٤) عدنان على رضا النحوى : **لقاء المؤمنين** (مرجع سابق)، ص ١٢٤ ٠

(٥٥) محمد قطب : **قبسات من الرسول** (مرجع سابق) ، ص ١٨٦ ٠

عقيدة ، وكل تنظيم » (٥٦) ، كما أنها « لا تصدم الدين ولا تخدشه ، حينما تخلص النية ، وتتجرد من الحذلقة والادعاء » (٥٧) ، على حد تعبير الشهيد سيد قطب ، واضعا اليد - يرحمه الله - على مكمن الداء، الذى يجب على مجامعنا الفقهية - بالفعل - أن تفكر فيه ، اذا هى أرادت أن تعود الى الشريعة مكانتها فى دنيا المسلمين .

واذا ما أخلصنا النية ، وابتعدنا عن الحذلقة والادعـــاء ، فـإن المجتمع الإسلامى اليوم (مضطر) الى أن يعيش - بالإسـلام - حيـاة العصر ، العلمية والتكنولوجية ، ليكمل مسيرة (التراث الإسلامى) ، حيث أن « التراث فى لغة العرب معناه الميراث ، وأنه يطلق على وراثة المال والحسب والعقيدة والدين .

فالتراث الإسلامى هو ما ورثناه عن آبائنا من عقيـدة وثقـافة ، وقيم وآداب وفنون وصناعات ، وسـائر المنجزات الأخرى ، المعنويـة والمادية ، ومن ثم فلن يقتصر التراث على المنجزات الثقافية والحضارية والمادية ، بل انه يشتمل على الوحى الإلهى (القرآن والسـنة) الذى ورثناه عن أسلافنا . وعندما نتبنى هذا التعريف الشـامل للتراث ، فإن النظرة اليه والتعامل معه لن يكون واحدا ، اذ أن الوحى الإلهى لا يقبل الانتقاء والاختيار منه ، أو محاولة تطويعه للواقع ، أو التفكير بتوظيفه لتحقيق مصالح خاصة عامة ، بل هو اطار يحكم الحياة ، ولكنه يدعها تتطور داخله » ، « وأما المنجزات البشرية ، الحضارية والثقافية ، فانها قابـلة للانتخاب والتوظيف ، وفق الرؤية المعاصرة ، وحسب الحـاجة والمصلحة » (٥٨) .

وسواء كانت القضية - فى التراث الإسلامى - قضية وحى الهى ، أو قضـية منجزات بشرية حضارية وثقافية ، فـإن المجتمع الإسـلامى (مضطر) الى أن يتطـور تكنولـوجيا - وعلميـا بالضرورة - بعد أن اصبحت قضية التطور التكنولوجى تلك (قضية أمن قومى) لكل بـلد

---

(٥٦) المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

(٥٧) سيد قطب : **التصوير الفنى فى القرآن** (مرجع سابق) ، ص ٢٠٣ .

(٥٨) الدكتور أكرم ضياء العمرى : **التراث والمعـاصرة** - كتـاب الأمة - سلسلة كتب فصلية ، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر - شعبان ١٤٠٥هـ ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

اسلامى ، بعد أن شمل التطور أسلحة الحرب أيضا ، ومن ثم صار النكوص عن هذا التقدم التكنولوجى - تحت أى شعار - أمرا يهدد أمن المسلمين ، وأمرا يهدد عقيدتهم أيضا ، وبذلك يكونون قد عصوا أمر الله سبحانه للمؤمنين به بالإعداد والاستعداد ، فى مثل قول الله سبحانه :

- « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم ، لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من خير فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون** » (٥٩) .

وفى الوقت الذى يكتفى فيه الشيخ حسنين مخلوف فى شرح الآية بضرورة اعداد ما أمكن « من كل ما يُتقوى به عليهم فى الحرب ، من نحو حصون وقلاع وسلاح وآلات ومصانع وتعليم للفروسية وفنون الحرب » (٦٠) ، فإن الشيخ جمال الدين الأفغانى ينظر الى القضية بروح أكثر تقدمية من روح عصره الذى كان يعيش فيه ذاته ، حيث يرى أن « الديانة الإسلامية وضع أساسها على طلب الغلبة والشوكة والافتتاح والعزة » لأبنائها ، ومن ثم « لابد أن يكونوا أول ملة حربية فى العالم ، وأن يسبقوا جميع الملل الى اختراع الآلات القاتلة ، واتقان العلوم العسكرية ، والتبحر فيما يلزمها من الفنون ، كالطبيعة والكيمياء وجر الأثقال والهندسة وغيرها » (٦١) .

ومن العجيب أننا - فى الوقت الذى نعصى الله سبحانه فيه - بعصيان أمره سبحانه بالإعداد والاستعداد - نسارع الى سب كل المذاهب المادية المعاصرة ، ولعنها على كل منبر ، ناسين اننا بذلك نكون قد خرجنا على أمر الله سبحانه أيضا ، فى مثل قوله جل وعلا :

- « **اتبع ما أوحى اليك من ربك ، لا اله الا هو ، وأعرض عن المشركين . ولو شاء الله ما أشركوا ، وما جعلناك عليهم حفيظا ، وما انت عليهم بوكيل . ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ، كذلك زيّنا لكل أمة عملهم ، ثم الى ربهم مرجعهم ، فينبئهم بما كانوا يعملون** » (٦٢) .

---

(٥٩) قرآن كريم : **سورة الأنفال - ٨ : الآية ٦٠** .

(٦٠) الشيخ حسنين محمد مخلوف : **القرآن الكريم ، ومعه صفوة البيان ، لمعانى القرآن** - الجزء الأول - الطبعة الأولى - مطابع دار الكتاب العربى بمصر - القاهرة - ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م ، ص ٣٠٥ .

(٦١) محمد عمارة : **الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى ، مع دراسة عن حياته وآثاره** (مرجع سابق) ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٦٢) قرآن كريم : **سورة الأنعام - ٦ : الآيات ١٠٦ - ١٠٨** .

وهكذا يكون خير رد على النظم والفلسفات والأيديولوجيات المعاصرة ، هو الأخذ بعلوم العصر ، ومحاولة التفوق عليها ، فهذا التفوق العلمى والتكنولوجى عليها ، رد عليها وقهر لها أيضا ، كما ان الاخذ بهذه العلوم ذو مردود اقتصادى كبير ، سواء بمقياس اليوم الآخر والحساب ، الذى تحدثنا عنه فى الفصل الرابع ، أو بمقياس الاقتصاد الدنيوى المعاصر ، فالعالم الإسلامى يكاد أن يكون فى عالم اليوم السوق الكبرى لحضارة العالم ، فمنه تخرج المواد الأولية بأرخص الأثمان ، واليه ترد المنتجات التكنولوجية بأعلى الأسعار ، وسوف يساعد هذا التقدم العلمى والتكنولوجى على استغلال مواردنا وتشغيل ابناء المسلمين ، الذين كادوا أن يكونوا قوى (معطّلة) و (معطِّلة) فى نفس الوقت ، فى داخل أرض الإسلام ، بينما تتحول العناصر الذكية منها فى أرض أعداء الإسلام الى قوى منتجة وبناءة فى نفس الوقت .

ورغم أن « مسألة هجرة العقول والكفاءات العلمية والفنية هى من أقدم المسائل التى واجهتها البشرية منذ الحضارات القديمة ، بل يمكن القول ان تلك العقول والكفاءات لعبت منذ تلك العصور السحيقة دورا رئيسيا فى نقل بعض أهم انجازات حضارة البلد الذى هاجروا منه (أو تركوه مؤقتا) ، الى البلد الذى استقروا فيه » (٦٣) - رغم ذلك ، فإن مثل هذه الهجرة للعقول تعتبر اليوم - فى عصر التقدم العلمى والتكنولوجى الذى نعيشه - استنزافا للأمة التى هاجرت منها تلك العقول ، وتخريبا اقتصاديا لها ، تحرص الدول الغنية عليه ، زيادة فى ثرائها ، بقدر ما لا تحس بمدى خطورته بلاد العالم الثالث ، المستنزفة عقول أبنائها (٦٤) ، مما كان سببا فى المأساة العالمية الراهنة ، الناتجة عن اتساع الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة فى العالم ، والتى يلخصها ايدجار فور وزملاؤه « فى التفاوت السابق الوخيم ، بين الرفاهية التى يتمتع بها البعض ، والفقر الذى يعانى منه

---

(٦٣) د. أنطونيوس كرم (مرجع سابق) ، ص ١٣٨ .

(٦٤) ارجع - فى هذا المجال - الى الدراستين الرائعتين التاليتين :

- جان جاك سرفان شرايبر : **التحدى الأمريكى** - ترجمة فكتور سحاب - مكتبة النهضة - بغداد (د. ت.) .

- الدكتور محمد عبد العليم مرسى : **هجرة العلماء من العالم الإسلامى** - جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية - مركز البحوث - الرياض - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٥م .

البعض الآخر ، وليس هنـاك ما يبشر بزوال هـذا التفـاوت ، بل على العكس » (٦٥) ، على حد تعبيرهم .

على أن القضية (أكبر) من كل بلد من بـلاد العـالم الإسـلامى متفرقة ، لأنها لون من ألوان (القرصـنة الدولية) ، تمارسـها الدول الغنية والقوية ، ضد الدول الفقيرة والضعيفة ، ومن بينها - للأسف - بلاد العـالم الإسلامى ، التى تزيد على غيرها من بلاد العالم الثالث ، أنها مستهدفة أصلا - بسبب اسلامها ، وحرصها عليه - من صليبية الغرب الجديدة ، وابنتها الشرعية ، الجدلية المادية فى الشرق ، وفى يد هذه وتلك مفاتيح الحضارة المعاصرة ، كما هو معروف - ولكن الأمر لن يكون كذلك اذا تجمع المسلمون ، فى (كومنولث) اسلامى ، يمكن أن يجمع المسلمين ، ويحولهم اليـوم الى قوة ، فى عـالم لا يحترم الا التكتلات الكبيرة ، التى تتجمع ، لتتمكن من أن تدوس الكيانات الهشـة الصغيرة الهزيلة تحت أقدامها ، وتمتص دماء أبنائها ، وتنهب ثرواتهم .

ان الغرب الرأسـمالى قد تجمع حول فكرة سياسية محدودة ، هى الحرية السياسية والفردية ، التى « يدور حولها الفكر الغربى منذ القرن الثامن عشر » (٦٦) الميلادى ، وعلى فكرة مضادة لها تماما تجمع الشرق الشيوعى ، لظروف تاريخية مرت بها بلاده ، ومن ثم فمقومـات تجمع المسلمين فى شتى أنحاء الأرض فى وحـدة على نحـو ما ، أمر أكثر ورودا ، لأن الرابطة هنا لن تكون مجرد هدف سياسى أو اقتصادى ، بل هى هدف دينى شامل لهذه جميعا وزيادة .

واذا ما تمت مثل هذه الوحدة الإسلامية ، فسوف يتحول المسلمون من مجموعة من الكيانات الصغيرة المفككة ، المتنـاحرة أحيـانا ، الى تكتل ضخم ، قادر على استغلال موارده ، وعلى أن تكون له رسالة فى هذه الحياة ، يعرف بها فى العالم ، مما يدعو الآخرين الى احترامه ، ويدفع أبناءه الى التقدم والازدهار ، ويقدم نموذجـا حيا للمجتمعـات حين تقوم على أساس من وحى السماء ، بعد أن تعبت الإنسـانية من النماذج الأرضية ، التى ليس لها من هدف سوى (الحياة نفسـها) ، على حـد تعبير الفيلسـوف الإنجليزى برترانـد رسل ، الذى يرى أن

---

(٦٥) ايدجار فور وآخرون (مرجع سابق) ، ص ٩٧ .

(66) Robert Dubin : **Human Relations in Administration, With Readings** ; Third Edition, Prentice-Hall of India Private Limited, New Delhi, 1970, p. 77.

« العالم فى حاجة الى فلسفة أو دين ، يعمل على تنمية الحياة . ولكننا اذا أردنا أن نساعد على نمو الحياة ، فيجب أن يكون لدينا شىء آخر نقدره ، غير الحياة نفسها ، فإن الكائن الحى الذى ليس له هدف سوى الحياة نفسها ، حيوان ، ليس فيه من القيم الإنسانية الحقيقية شىء ، وحياة هذا هدفها ، لا تستطيع أن تحمى الناس بصفة مستديمة من الملل ، والشعور بأن كل شىء باطل » (٦٧) .

ومهما كانت الفوائد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإنسانية للوحدة الإسلامية ، فإن المسلمين مأمورون بها أمرا ، نجد فيه ما يبرره، ونجد فيه غاياته ، ونجد فيه آثاره أيضا ، على نحو ما نرى فى مثل قول الله سبحانه :

- « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم » (٦٨) .

وفى ضوء ما سبق من حديث عن التوجيه المجتمعى للتربية ، توصى الدراسة بما يلى :

١ - أن يتجمع علماء الدين فى كل مصر اسلامى فى شكل رابطة، يتدارسون فيها وضع الإسلام فى بلدهم ، وأوضاع علمائه ، والسبل التى يمكن أن تؤدى الى الرفع من شانه وشانهم فى حياة مجتمعهم الذى ينتمون اليه .

٢ - أن تقوم هذه الرابطة المقترحة بدراسة أوضاع التعليم الدينى فى مجتمعها ، دراسة علمية موضوعية ، تمكن معاهد هذا التعليم ومؤسساته من أن تلتصق بحياة المجتمع وتكون معبرة عنها ، قادرة على تقديم الحلول المناسبة لها ، بحيث تتحول الى مؤسسات مجتمعية نشيطة .

٣ - أن تعمل هذه الرابطة المقترحة على توثيق صلتها بوسائل

---

(٦٧) برتراند رسل : **نحو عالم افضل** (مرجع سابق) ، ص ١٩٠ .
(٦٨) قرآن كريم : **سورة آل عمران - ٣** : الآيات ١٠٢ - ١٠٥ .

الاتصال الجماهيرى ، من صحافة واذاعة وتليفزيون ، بحيث يكون لها وجود مؤثر فيها ، وفى توجيه برامجها نحو ما هو مقبول اعلاميا ، وغير مرفوض اسلاميا ، اضافة الى ما يقدمه علماؤها فى هذه الوسائل من مواد وفقرات ، تخدم الدين والمجتمع على السواء .

٤ - أن تعمل هذه الرابطة على توثيق صلتها بنظام التعليم المدنى فى مجتمعها ، بحيث تتمكن من أن يكون لها رأى مسموع فيما يقدم - من خلال هذا النظام - من مواد تعليمية ، ومن برامج نشاط لاصفى ايضا .

٥ - أن تحرص هذه الرابطة المقترحة على أن يكون هدفها من كل ما تفعله هو وجه الله سبحانه ، الذى كرم المنتمين اليها بالعلم ، وحملهم أمانة التبليغ والدفاع وقيادة الجماعة الى طريق الله ، لا مجرد تحقيق اهداف دنيوية زائلة ، من مال ومناصب وغيرها .

٦ - أن تعمل هذه الرابطة المقترحة على الاتصال بالروابط المماثلة لها فى البلاد الإسلامية الأخرى ، لتستفيد كل رابطة منها بخبرات الروابط الأخرى وتجاربها ، وتقدم - فى الوقت ذاته - خبرتها وتجربتها الى غيرها من الروابط ، لتستفيد منها هذه الروابط فى التغلب على ما يعترضها من مشكلات وصعوبات فى العمل .

٧ - أن تتحول رابطة العالم الإسلامى - على سبيل المثال - الى رابطة أم ، تجمع بين روابط علماء الدين المقترحة فى كل مجتمع اسلامى ، وتنسق جهودها ، وتقدم لها كل عون ممكن .

٨ - أن تعمل رابطة العالم الإسلامى المقترحة على توثيق صلتها بكل الحكومات الإسلامية وكل المؤسسات المجتمعية فى بلاد العالم الإسلامى المختلفة ، حتى تتمكن من تقديم الخدمة المطلوبة منها فى كل مجال من مجالات العمل ، فى البلاد الإسلامية المختلفة .

٩ - أن تهتم رابطة العالم الإسلامى المقترحة بالعقول الإسلامية فى مختلف التخصصات فى شتى أنحاء العالم الإسلامى ، ويمكن ان تنشىء ما يمكن تسميته بـ (بنك العقول الإسلامية) ، الذى تتمكن - به - من الاستفادة من الخبرات الإسلامية المختلفة ، للنهوض بالعالم الإسلامى عموما ، وبكل بلد من بلاده على وجه الخصوص .

١٠ - أن تعمل رابطة العالم الإسلامى المقترحة على توثيق صلتها بالجامعات الإسلامية المختلفة ، فى شتى بلاد المسلمين ، للتنسيق بينها، ورسم خطة عمل معها ، حتى تتمكن هذه الجامعات من القيام بدورها المطلوب منها فى عالم اليوم ، على خير وجه ممكن ، ولتقديم العون المناسب لها ، ولتمكينها من ذلك ٠

١١ - أن تعمل رابطة العالم الإسلامى المقترحة على تسهيل انتقال العلماء المسلمين - وكذا طلاب العلم - بين بلاد العالم الإسلامى المختلفة ٠

١٢ - أن تعمل رابطة العالم الإسلامى المقترحة على عقد مؤتمرات دورية وغير دورية ، لبحث قضايا المسلمين فى مختلف أنحاء العالم ، الإسلامى وغير الإسلامى ، للمساهمة فى تقديم الحلول المناسبة لما يعترض طريق عملهم من مشكلات ٠

١٣ - أن تهتم رابطة العالم الإسلامى المقترحة بقضايا الإعلام الإسلامى ، وتبذل جهدا واجبا لتقديم مادة علمية اسلامية بطريقة طيبة، تضمن الإقبال عليها والإفادة منها فى نفس الوقت ، بما ينفع المسلمين فى دينهم ودنياهم على السواء ٠

١٤ - أن تهتم رابطة العالم الإسلامى المقترحة بقضية التراث ، وبالطريق الذى يجب أن يسلكه المسلمون اليوم اليه ، للإفادة منه ، فى اصلاح أحوالهم ، الدينية والدنيوية على السواء ٠

١٥ - أن تهتم رابطة العالم الإسلامى المقترحة اهتماما خاصا بالأقليات المسلمة ، ودراسة أوضاعها ، وسبل تقديم العون لها ، حسب الظروف الخاصة بكل منها ، وما يعترض سبيلها من مشكلات فى المجتمع الذى توجد فيه كل أقلية منها ٠

مراجـــع الدراســـــة

أولا : القرآن الكريم وتفسيراته وكتب السنة :

١ - **قرآن كريم** ٠

٢ - أ٠ى٠ ونستك : **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى** - الجزء الرابع - دار الدعوة - استانبول - ١٩٨٦ ٠

٣ - ابن حجر العسقلانى (ابو الفضل شهاب الدين احمد بن على): **هدى السارى ، مقدمة فتح البارى** - تحقيق ومراجعة ابراهيم عطـوة عوض - الجـزء الأول - الطبعة الأولى - شركة مكتبة ومطبعـة مصطفى البـابى الحلبى وأولاده بمصر - القـاهرة - ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م ٠

٤ - ابن الديبع الشيبانى (عبد الرحمن بن على) : **تيسير الوصول، الى جامع الأصول من حديث الرسـول** - الجزء الأول - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر - القاهرة (بدون تاريخ) ٠

٥ - ابن كثير : **تفسير القرآن العظيم ، للإمام الجليـل ، الحـافظ عماد الدين أبى الفداء ، اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى، المتوفى سنة ٧٧٤هـ** - الجزء الأول - ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م (بدون ناشر ، ولا بـلد نشر) ٠

٦ - الإمام أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى) : **سنن أبى داود** - الجـزء الأول - تحقيـق محمد محيى الدين عبد الحميد - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة - ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ٠

٧ - ———— : **سنن أبى داود** - الجـزء الثـالث - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - المكتبة التجـارية الكبرى - القاهرة - ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ٠

٨ - الإمام البخـارى : **الأدب المفـرد** - مكتبـة الآداب ومطبعتها بالجماميز - القاهرة - ١٩٧٩ ٠

٩ - البخـارى (أبو عبد الله محمد بن اسـماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى) : **صحيـح البخـارى** - الجزء الأول - كتاب الشعب - دار ومطابع الشعب - القاهرة - ٧٨ / ١٣٧٩هـ ٠

١٠ - البخــارى (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى : **صحيح البخارى** - الجزء الثالث ...

١١ - ———— : **صحيح البخارى** - الجزء السابع ...

١٢ - ———— : **صحيح البخارى** - الجزء الثامن ...

١٣ - ———— : **صحيح البخارى** - الجزء التاسع ...

١٤ - الترمذى (أبــو عيسى محمد بن سورة) : **الجامع الصــحيح ، وهو سنن الترمذى** - تحقيق وتعليق ابراهيــم عطوة عوض - الجزء الخامس - الطبعة الثانية - شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر - القاهرة - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

١٥ - الزمخشرى : **الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقــاويل ، فى وجوه التاويل** ، تاليف أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشــرى الخوارزمى (٤٦٧ - ٥٣٨) - الجــزء الأول - شركة مكتبة ومطبعــة مصطفى لبــابى الحلبى وأولاده بمصر - القاهرة - ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .

١٦ - ———— : **الكشاف** ... الجزء الثــانى ...

١٧ - ———— : **الكشاف** ... الجزء الثالث ...

١٨ - سيد قطب : **فى ظــلال القرآن** (الأجزاء ١ - ٤) - الطبعــة الشرعية الرابعة - دار الشروق - القاهرة - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

١٩ - ———— : **فى ظلال القرآن** - المجلد الثــانى (الأجزاء ٥ - ٧) ...

٢٠ - ———— : **فى ظلال القرآن** - المجلد الثــالث (الأجزاء ٨ - ١١) ...

٢١ - ———— : **فى ظــلال القرآن** - المجــلد الرابع (الأجزاء ١٢ - ١٨) ...

٢٢ - السيد محمد رشيد رضا : **التفســير المختصر المفيــد ، للقرآن المجيد ، مختصر تفسير المنار** - اتمه وعلق عليه القاضى الشيخ محمد احمد كنعان - مراجعة زهير الشاويش - الجزء الثانى - المكتب الإسلامى - بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٢٣ - ———— : **التفسير المختصر المفيد** ... الجزء الثالث ...

٢٤ - الطبرى : **تفسير الطبرى (جامع البيـان ، عن تأويل القرآن، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، ٢٢٤ - ٣١٠هـ)** - حققه وعلق على حواشيه محمود محمد شاكر - راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر - الجزء العاشر - من سلسلة (تراث الاسلام)- الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٥٧ ٠

٢٥ - ———— : **تفسير الطبرى** ٠٠٠ الجزء الرابع عشر ٠٠٠

٢٦ - العينى (الشيخ الإمام العلامة ، بدر الدين أبو محمد محمود ابن أحمد العينى) : **عمدة القارى ، شرح صحيح البخـارى** - الجزء الثانى - دار الفكر - بيروت (بدون تاريخ) ٠

٢٧ - ———— : **عمدة القارى** ٠٠٠ الجزء الثانى والعشرون ٠٠٠

٢٨ - القرطبى (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى) : **الجامع لأحكام القرآن** - المجـلد الأول - الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ٠

٢٩ - محمد على الصـابونى : **مختصر تفسـير ابن كثير ، مختصـر لتفسير الإمام الجليل، الحافظ عماد الدين ابى الفداء، اسماعيل ابن كثير الدمشــقى ، المتوفى سنة ٧٧٤هـ** - المجـلد الأول - الطبعـة الثـانية - دار القرآن الكريـم - بيروت - ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م ٠

٣٠ - ———— : **مختصر تفسير ابن كثير** ٠٠٠ المجلد الثانى ٠٠٠

٣١ - ———— : **مختصر تفسير ابن كثير** ٠٠٠ المجلد الثالث ٠٠٠

٣٢ - محمد ناصر الدين الألبانى : **صحيح الجـامع الصغير وزيـادته الفتح الكبير** - الجزء الثـــانى - الطبعـة الثـــانية - المكتب الإسلامى - بيروت - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٧م ٠

٣٣ - العماد مصطفى طـلاس : **المصطفى ، من أحاديث المصطفى** - الطبعة الخامسة - دار طلاس للدراسـات والترجمـة والنشر - دمشق - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ٠

٣٤ - الإمـام المنـذرى : **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف** - الجزء الأول - تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - الطبعة الأولى - المكتبة التجـــارية الكبرى - القـاهرة - ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م ٠

٣٥ - الشيخ منصور على ناصف : **التاج الجامع للأصول ، فى أحاديث الرسول ﷺ** - الجزء الأول - الطبعة الرابعة - دار الفكر - بيروت - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٣٦ - ــــــــ : **التاج الجامع للأصول** ... الجزء الخامس ...

ثانيا : كتب الأديان :

٣٧ - **العهد القديم** .

٣٨ - **العهد الجديد** .

٣٩ - ابراهيم خليل أحمد : **محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن** - الطبعة الثالثة - مكتبة الوعي العربى - القاهرة (بدون تاريخ) .

٤٠ - الإيغومانس ابراهيم لوقا : **المسيحية فى الاسلام** - الطبعة الأولى - مطبعة النيل المسيحية - القاهرة - يوليو ١٩٣٨ .

٤١ - القائمقام ترتن : **كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صحة الديانة المسيحية** - تأليف وجمع القائمقام ترتن ، من فرقة المهندسين - ترجمة حبيب أفندى سعيد - الطبعة الثانية - مطبعة النيل المسيحية بالمناخ بمصر - القاهرة - ١٩٢٥ .

٤٢ - الشيخ رحمت الله الهندى (١٢٣٣ - ١٣٠٨هـ) : **اظهار الحق** - تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازى السقا - الجزء الأول - دار التراث العربى للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٧٨.

٤٣ - كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بالظاهر : **سر التجسّد ، محاضرات وندوات للشباب الجامعى** - رقم(١٧) من مطبوعات مكتبة المحبة - مكتبة المحبة - القاهرة (بدون تاريخ) .

٤٤ - الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة : **محاضرات فى النصرانية (تبحث الأدوار التى مرت بها عقائد النصارى ، وفى كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم)** - الطبعة الرابعة - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

٤٥ - محمد مجدى مرجان : **الله واحد أم ثالوث** - دار النهضة العربية - القاهرة (بدون تاريخ) .

٤٦ - دكتور محمود محمد مزروعة : **دراسات فى النصرانية ، مع مقدمة فى دراسة الأديان** - ١٩٧٩ (بدون ناشر ، ولا بلد نشر) .

ثالثا : كتب التراث والمعاجم اللغوية :

٤٧ - الآجرى (محمد بن الحسين أبو بكر الآجرى - ت ٣٦٠هـ) : **اخلاق حملة القرآن** - دراسة وتحقيق وتعليق محمود النقراشى السيد على - الطبعة الأولى - مكتبة النهضة - القصيم - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٤٨ - ابن الإخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشى) : **معالم القربة ، فى أحكام الحسبة** - تحقيق دكتور محمد محمود شعبان ، وصديق احمد عيسى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٦ .

٤٩ - ابن بطوطة : **رحلة ابن بطوطة ، المسماة « تحفة النظار ، فى غرائب الأمصار ، وعجائب الأسفار »** - الجزء الأول ، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة - ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م .

٥٠ - شيخ الإسلام ابن تيمية : **الإيمان** - صححه وعلق عليه الدكتور محمد خليل هراس - دار الطباعة المحمدية بالأزهر - القاهرة (بدون تاريخ) .

٥١ - ابن جبير : **رحلة ابن جبير** - دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

٥٢ - ابن الجزار القيروانى (أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن خالد) : **سياسة الصبيان وتدبيرهم** - تقديم وتحقيق الدكتور محمد لبيب الهيلة - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٦٨ .

٥٣ - ابن سحنون (أبو عبد الله محمد بن أبى سعيد سحنون) : **آداب المعلمين** - تحقيق وتقديم حسن حسنى عبد الوهاب - مراجعة وتعليق محمد العروسى المطوى - دار الكتب الشرقية - تونس - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

٥٤ - ابن سينا : « كتاب السياسة (التدبير) » - نشرة الآب لويس معلوف - **مجلة المشرق البيروتية** - السنة التاسعة - الأعداد ٢٣/٢١ - ١٩٠٦م .

٥٥ - ــــــــ : **كتاب القانون فى الطب** - مطبعة بولاق - القاهرة، ١٢٩٤هـ .

٥٦ - ابن قيم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبى بكر) : **تحفة المودود ، بأحكام المولود** - المكتبة القيمة - القاهرة - ١٣٩٧هـ .

٥٧ - الإمام الأعظم ، أبو حنيفة ، رضى الله عنه : **العالم والمتعلم** - تحقيق محمد رواس قلعجى ، وعبد الوهاب الهندى الندوى - رقم (٢) من (تراث الإسلام) - الطبعة الأولى - مكتبة الهدى بحلب - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

٥٨ - أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابى الحبيشى، المتوفى سنة ٧٨٢ : **البركة ، فى فضل السعى والحركة** - دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٥٩ - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) : **كتاب المعلمين - مطبوع بهامش الكامل للمبرد** - الجزء الأول - الطبعة الأولى - مطبعة التقدم العلمية بمصر - القاهرة - ١٣٢٣هـ .

٦٠ - حاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله) : **كشف الظنون ، عن أسامى الكتب والفنون** - المجلد الأول - طبعة مصورة بالأوفست - مكتبة المثنى - بغداد (بدون تاريخ) .

٦١ - الحارث بن أسد المحاسبى : **المكاسب ، والورع والشبهة ، وبيان مباحها ومحظورها ، واختلاف الناس فى طلبها ، والرد على الغالطين فيها** - دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا - الطبعة الأولى - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٦٢ - الخطيب البغدادى : **اقتضاء العلم العمل** - تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى - الطبعة الرابعة - المكتب الاسلامى - بيروت - ١٣٩٧هـ .

٦٣ - السبكى (تاج الدين عبد الوهاب) : **معيد النعم ، ومبيد النقم** - حققه وضبطه وعلق عليه محمد على النجار وآخرون - مكتبة الخانجى بمصر ، بالاشتراك مع مكتبة المثنى ببغداد - ١٩٤٨ .

٦٤ - الشاطبى (العلامة المحقق الأصولى النظار ، الإمام أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد ، اللخمى الشاطبى ، ثم الغرناطى ، رحمه الله تعالى) : **الاعتصام** - الجزء الثانى - الطبعة الأولى - دار الكتب الحديثة - مطبعة المنار بمصر - القاهرة - ١٣٣٢ - ١٩١٤ .

٦٥ - الإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية : **الرسالة التبوكية** - الطبعة الثالثة - نشرها قصى محب الدين الخطيب - مطبوعات المطبعة السلفية - القاهرة - ١٣٩٦هـ .

٦٦ - شهاب الدين أحمد بن على الدلجى : **الفلاكة والمفلوكون** - مكتبة الأندلس - بغداد - ١٣٨٥ هجرية .

٦٧ - الشوكانى (الشيخ الإمام المجتهد ، قاضى قضاة القطر اليمانى ، محمد بن على بن محمد الشوكانى) : **نيل الأوطار ، شرح منتقى الأخبار ، من أحاديث سيد الأخيار** - الجزء الخامس - الطبعة الأخيرة - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر - القاهرة (بدون تاريخ) .

٦٨ - العلامة عبد الرحمن بن خلدون : **المقدمة ، من كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر** - المطبعة الشرفية - القاهرة - ١٣٢٧هـ .

٦٩ - العبدرى (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى الفاسى المالكى : **مدخل الشرع الشريف على المذاهب** - الجزء الرابع - الطبعة الأولى - المطبعة المصرية بالأزهر - القاهرة - ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م .

٧٠ - عبد الرحمن بن على ، المعروف بابن الديبع الشيبانى : **تيسير الوصول ، الى جامع الأصول ، من حديث الرسول - الجزء الأول** - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر - القاهرة (بدون تاريخ) .

٧١ - ـــــــــ : **تيسير الوصول** ... الجزء الثالث ...

٧٢ - الإمام على بن أبى طالب : **سجع الحمام ، فى حكم الامام ، أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام** - جمع وضبط وشرح على الجندى وآخرين - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٧ .

٧٣ - الإمام الغزالى : **احياء علوم الدين** - الجزء الثالث - مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى - القاهرة (بدون تاريخ) .

٧٤ - ـــــــــ : **ميزان العمل** - مكتبة الجندى - القاهرة (بدون تاريخ) .

٧٥ - القابسى (أبو الحسن على بن محمد بن خلف) : **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين ، وأحكام المعلمين والمتعلمين** - ملحقة بـ :

- الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى : **التربية فى الإسلام** - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٧٥ .

٧٦ - القرشى (يحيى بن آدم القرشى ، المتوفى سنة ٣٠٣هـ) : **كتاب الخراج** - صححه وشرحه ووضع فهارسه أبو الأشبال أحمد محمد بن شاكر - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٧٧ - مجمع اللغة العربية : **المعجم الوسيط** - قام بإخراجه ابراهيم مصطفى وآخرون - وأشرف على طبعه عبد السلام هارون - الجزء الأول - مجمع اللغة العربية - القاهرة - ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .

٧٨ - ———— : **المعجم الوسيط** - الجزء الثانى - الطبعة الثانية - قام بإخراج هذه الطبعة الدكتور ابراهيم أنيس وآخرون - وأشرف على الطبع حسن على عطية ، ومحمد شوقى أمين - القاهرة - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

٧٩ - الإمام محمد بن الحسن الشيبانى (تصنيف) : **الكسب** - تحقيق وتقديم الدكتور سهيل زكار - الطبعة الأولى - نشر وتوزيع عبد الهادى حرصونى - دمشق - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٨٠ - الشيخ محمد عبده : **الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده** - جمعها وحققها وقدم لها : محمد عمارة - الجزء الثالث (الاصلاح الفكرى والتربوى والإلهيات) - الطبعة الأولى - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - أيلول (سبتمبر) ١٩٧٢ .

٨١ - محمد عمارة : **الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى ، مع دراسة عن حياته وآثاره** - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٨ .

٨٢ - المغراوى (أحمد بن أبى جمعة المغراوى) : **جامع جوامع الاختصار والتبيان ، فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان** - تحقيق أحمد جلولى البدوى ، ورابح بونار - من (سلسلة ذخائر المغرب العربى) - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر (بدون تاريخ) .

٨٣ - المقرى : **نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب** - الجزء الأول - مطبعة بولاق - القاهرة - ١٢٩٧هـ .

٨٤ ـ منير البعلبكى : **المورد ، قاموس انجليزى عربى** ـ الطبعة السابعة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٧٤ ٠

٨٥ ـ نخبة من أستذة قسم الاجتماع بجامعة الاسكندرية : **المرجع فى مصطلحات العلوم الاجتماعية** ـ دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية (بدون تاريخ) ٠

رابعا : دراسات اسلامية معاصرة :

٨٦ ـ أبو الأعلى المودودى : **تدوين الدستور الإسلامى** ـ الطبعة الثانية ـ دار الفكر ـ دمشق (بدون تاريخ) ٠

٨٧ ـ ______ : **نحن والحضارة الغربية** ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ دمشق (بدون تاريخ) ٠

٨٨ ـ أبو الحسن الندوى : **تأملات فى سورة الكهف** ـ الطبعة الثالثة ـ المختار الإسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ٠

٨٩ ـ أبو صالح الألفى : **الفن الإسلامى ، أصوله ، فلسفته ، مدارسه** ـ الطبعة الثالثة ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة (بدون تاريخ) ٠

٩٠ ـ الدكتور أحمد عروة : **الإسلام فى مفترق الطرق** ـ نقله عن الفرنسية الدكتور عثمان أمين ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ١٩٧٥ ٠

٩١ ـ الدكتور أكرم ضياء العمرى : **التراث والمعاصرة** ـ كتاب الأمة ـ سلسلة كتب فصلية ، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية فى دولة قطر ـ شعبان ١٤٠٥هـ ٠

٩٢ ـ أنيس منصور : **طلع البدر علينا** ـ الطبعة الأولى ـ المكتب المصرى الحديث ـ القاهرة ـ ١٩٧٥ ٠

٩٣ ـ البهى الخولى : **الاشتراكية فى المجتمع الإسلامى بين النظرية والتطبيق** ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة (بدون تاريخ) ٠

٩٤ ـ الشيخ حسنين محمد مخلوف : **القرآن الكريم ، ومعه صفوة البيان، لمعانى القرآن** ـ الجزء الأول ـ الطبعة الأولى ـ مطابع دار الكتاب العربى بمصر ـ القاهرة ـ ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م ٠

٩٥ ـ سعد جمعه : **الله أو الدمار** ـ الطبعة الثالثة ـ المختار الإسلامى، للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ٠

٩٦ ـ سيد قطب : **الإسلام ومشكلات الحضارة** ـ دار الشروق ـ القاهرة (بدون تاريخ) ٠

٩٧ ـ ــــــــ : **التصوير الفنى فى القرآن** ـ دار الشروق ـ القاهرة (بدون تاريخ) ٠

٩٨ ـ ــــــــ : **السلام العالمى والإسلام** ـ الطبعة السادسة ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ٠

٩٩ ـ ــــــــ : **العدالة الاجتماعية فى الإسلام** ـ الطبعة الثالثة ـ مطبعة دار الكتاب العربى بمصر ـ القاهرة ـ ١٩٥٢ ٠

١٠٠ ـ ــــــــ : **فى التاريخ ، فكرة ومنهاج** ـ الطبعة الثانية ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ٠

١٠١ ـ ــــــــ : **معركة الإسلام والرأسمالية** ـ الطبعة الخامسة ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ٠

١٠٢ ـ ــــــــ : **نحو مجتمع اسلامى** ـ الطبعة الثانية ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ٠

١٠٣ ـ ــــــــ : **هذا الدين** ـ دار الشروق ـ بيروت ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ٠

١٠٤ ـ دكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) : **الشخصية الإسلامية ، دراسة قرآنية** ـ الطبعة الثانية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ آيار (مايو) ١٩٧٧ ٠

١٠٥ ـ عباس محمود العقاد : **ابليس (بحث فى تاريخ الخير والشر ، وتمييز الانسان بينهما ، من مطلع التاريخ الى اليوم)** ـ الطبعة الخامسة ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ ٠

١٠٦ ـ ــــــــ : **أفيون الشعوب ، المذاهب الهدامة** ـ الطبعة الخامسة ـ دار الاعتصام بالقاهرة ـ ١٩٧٥ ٠

١٠٧ ـ ــــــــ : **الانسان فى القرآن الكريم** ـ دار الاسلام ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ ٠

١٠٨ ـ ــــــــ : **التفكير فريضة اسلامية** ـ الطبعة الأولى ـ المؤتمر الإسلامى ـ دار القلم ـ القاهرة (بدون تاريخ) ٠

١٠٩ - عباس محمود العقاد : **ما يقال عن الإسلام** - دار الهلال - القاهرة - ١٩٧٠ .

١١٠ - عبد الرحمن عزام : **الرسالة الخالدة** - الطبعة الأولى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

١١١ - دكتور عبد الغنى عبود : **الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة** - الكتاب الثامن من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - القاهرة - يونية ١٩٧٩ .

١١٢ - ــــــــ : **أنبياء الله والحياة المعاصرة** - الكتاب السادس من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - القاهرة - سبتمبر ١٩٧٨ .

١١٣ - ــــــــ : **الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة** - الكتاب الحادى عشر من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - القاهرة - فبراير ١٩٨١ .

١١٤ - ــــــــ : **ديناميات المجتمع الإسلامى** - الكتاب العاشر من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٨٠ .

١١٥ - ــــــــ : **العقيدة الإسلامية والأيديولوجيات المعاصرة** - الكتاب الأول من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) - الطبعة الثانية - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٨٠ .

١١٦ - ــــــــ : **قضية الحرية ، وقضايا أخرى** - الكتاب السابع من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - القاهرة - يناير ١٩٧٩ .

١١٧ - ــــــــ : **اليوم الآخر والحياة المعاصرة** - الكتاب الخامس من سلسلة (الإسلام وتحديات العصر) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - القاهرة - يونية ١٩٧٨ .

١١٨ - الشهيد عبد القادر عودة : **الإسلام بين جهل أبنائه ، وعجز علمائه** - المختار الإسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

١١٩ - عدنان على رضا النحوى : **الشورى ، لا الديمقراطية** - الطبعة الأولى - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١٢٠ - عدنان على رضا النحوى : **لقاء المؤمنين - الجزء الثانى** - الطبعة الأولى - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١٢١ - ــــــــ : **ملامح الشورى فى الدعوة الإسلامية** - الطبعة الثانية - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١٢٢ - الدكتور عماد الدين خليل : **التفسير الإسلامى للتاريخ** - الطبعة الأولى - دار العلم للملايين - بيروت - كانون الثانى (يناير) ١٩٧٥ .

١٢٣ - ــــــــ : **حول اعادة تشكيل العقل المسلم** - كتاب الأمة - سلسلة فصلية ، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية فى دولة قطر - الطبعة الثانية - رمضان ١٤٠٣هـ .

١٢٤ - ــــــــ : « فى التفسير الإسلامى للتاريخ : المسالة الحضارية » - **المسلم المعاصر** - مجلة فصلية ، تعالج شؤون الحياة المعاصرة ، فى ضوء الشريعة الإسلامية - العدد التاسع (المحرم - صفر - ربيع الأول ١٣٩٧هـ - يناير - فبراير - مارس ١٩٧٧م) .

١٢٥ - ــــــــ : «القرآن والمسالة الاجتماعية (خطوط عريضة» - **المسلم المعاصر** - العدد العاشر - أبريل - مايو - يونيو ١٩٧٧ .

١٢٦ - الدكتور فهمى جدعان : **أسس التقدم عند مفكرى الإسلام فى العالم العربى الحديث** - الطبعة الأولى - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - كانون الثانى (يناير) ١٩٧٩ .

١٢٧ - القشيرى : **الرسالة القشيرية** ، للإمام أبى القاسم عبد الكريم القشيرى - تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، والدكتور محمود بن الشريف - دار الكتب الحديثة - القاهرة - ١٩٧٢ (تقديم المحققين) .

١٢٨ - مالك بن نبى : **المسلم فى عالم الاقتصاد** - دار الشروق - القاهرة - ١٩٧٢ .

١٢٩ - الإمام محمد أبو زهرة : **تنظيم الإسلام للمجتمع** - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٧٥ .

١٣٠ - ــــــــ : **محاضرات فى النصرانية (تبحث الأدوار التى مرت بها عقائد النصارى ، وفى كتبهم ومجامعهم المقدسة**

وفرقهم) - الطبعة الرابعة - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

١٣١ - محمد أسد : **منهاج الحكم فى الإسلام** - نقله الى العربية منصور محمد ماضى - الطبعة الثانية - دار العلم للملايين - بيروت - كانون الثانى ١٩٦٤ .

١٣٢ - الدكتور محمد البهى : **الإسلام فى حياة المسلم** - الطبعة الخامسة - مكتبة وهبة - القاهرة - رجب ١٣٩٧هـ - يونية ١٩٧٧م .

١٣٣ - محمد الحسنى : **الإسلام الممتحن** - تقديم المفكر الإسلامى الكبير ، أبو الحسن الندوى - الطبعة الأولى - المختار الإسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

١٣٤ - الدكتور محمد حسين هيكل : **الحكومة الإسلامية** - دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٧٧ .

١٣٥ - محمد قطب : **التطور والثبات فى حياة البشر** - دار الشروق - بيروت - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

١٣٦ - ــــــــ : **قبسات من الرسول** - الطبعة الثانية - دار الشروق - القاهرة (بدون تاريخ) .

١٣٧ - ــــــــ : **واقعنا المعاصر** - الطبعة الأولى - مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر - جدة - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

١٣٨ - محمد متولى الشعراوى : **الأعمال الكاملة لفضيلة الشيخ الإمام محمد متولى الشعراوى - الجزء الثانى (من فيض الرحمن ، فى تربية الانسان)** - اعداد منير عامر - الكتاب الذهبى - كتاب دورى ، يصدر شهريا عن مؤسسة روز اليوسف - القاهرة - ١٩٨١ .

١٣٩ - ــــــــ : **القضاء والقدر ، معجزات الرسول ، اعجاز القرآن ، مكانة المرأة فى الإسلام** - اعداد وتقديم أحمد فراج - الطبعة الثانية - دار الشروق - القاهرة - سبتمبر ١٩٧٥ .

١٤٠ - محمد مظهر الدين صديقى : **ما هو الإسلام** - رقم (٣) من سلسلة (نحو وعى اسلامى) - المختار الإسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

١٤١ - د. محمود أبو السعود : « المذهبية الإسلامية » - **المسلم المعاصر** - فصلية فكرية ، تعالج شؤون الحيـاة المعـاصرة ، فى ضوء الشريعة الإسلامية - العدد التاسع - يناير / مارس ١٩٧٧ .

١٤٢ - الدكتور محمود حب الله : « موقف الإسلام من المعرفة والتقدم الفكرى » - **الثقافة الإسـلامية والحيـاة المعـاصرة** - مجموعة البحوث التى قدمت لمؤتمر برنستون للثقافة الإسـلامية - جمع ومراجعـة وتقديم محمد خلف الله - مكتبة النهضـة المصرية - القاهرة (بدون تاريخ) .

١٤٣ - الدكتور مصطفى السباعى : **اشتراكية الإسلام** - دار ومطـابع الشعب - القاهرة - ١٩٦٢ .

١٤٤ - مصطفى محمود : **الماركسية والإسلام** - دار المعـارف بمصر - القاهرة - ١٩٧٥ .

١٤٥ - ميرزا محمد حسين : **الإسلام وتوازن المجتمع** - ترجمـة فتحى عثمان - رقم (٣٥) من (سلسلة الثقـافة الإسـلامية) - دار الثقـافة العربية للطبـاعة - بيروت - ذو القعدة ١٣٨١هـ - مـايو ١٩٦٢م .

١٤٦ - وحيد الدين خان : **الإسلام يتحدى ، مدخل علمى الى الايمان**- ترجمة ظفر الإسلام خان - مراجعة وتقديم دكتور عبد الصبور شاهين - الطبعة الخامسة - المختـار الإسـلامى - القاهرة - ١٩٧٤ .

١٤٧ - ———— : **المسلمون بين المـاضى والحـاضر والمسـتقبل** - ترجمة ظفر الإسلام خان - مراجعـة د. عبد الحليم عويس - الطبعة العربية الأولى - المختـار الإسـلامى للطبـاعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٧٨ .

١٤٨ - الدكتور يوسف القرضاوى : **الإيمان والحياة** - الطبعة الثانية - مكتبة وهبة - القاهرة - ١٩٧٣ .

١٤٩ - ———— : **الخصائص العامة للإسـلام** - الطبعـة الأولى - مكتبة وهبة - القاهرة - رمضان ١٣٩٧هـ - أغسطس ١٩٧٧م .

خامسا : دراسات فى التاريخ والحضارة والاقتصاد والتربية وعلم النفس :

١٥٠ - أ. أليكسييف : **القانون الاقتصادى للرأسمالية الحديثة** - ترجمة اسماعيل عبد الرحمن - دار الفكر - القاهرة - ١٩٥٨ .

١٥١ - أ. ت. فلاندر : « **التدريب المهنى : هل تكون له نظم ، أم يظل (تروسا) فى الادارة الاقتصادية** » - ترجمة أحمد خاكى - **مستقبل التربية** - تصدر عن مجلة رسالة اليونسكو ومركز مطبوعات اليونسكو - العدد السابع - السنة الثانية - يوليو ١٩٧٤ - عدد خاص عن (التعليم الثانوى والتدريب والعمالة) .

١٥٢ - دكتور ابراهيم امام : **الإعلام والاتصال بالجماهير** - الطبعة الأولى - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٩ .

١٥٣ - الدكتور ابراهيم وجيه محمود : **التعلم** - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٧ .

١٥٤ - ابن عمار الصغير : **التفكير العلمى عند ابن خلدون** - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر (بدون تاريخ) .

١٥٥ - أبو الأعلى المودودى : **دور الطلبة فى بناء مستقبل العالم الإسلامى** - دار الأنصار بالقاهرة - ١٩٧٧ .

١٥٦ - أحمد أمين : **ضحى الإسلام** - الجزء الثانى - الطبعة الأولى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٣٥ .

١٥٧ - ———— : **ظهر الإسلام** - الجزء الأول - الطبعة الثانية - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٤٦ .

١٥٨ - ———— : **كتاب الأخلاق** - الطبعة الثانية - دار الكتاب العربى - بيروت - ١٩٦٩ .

١٥٩ - ———— : « الوحدة والتعدد » - **فيض الخاطر** - الجزء الثانى - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٤٠ .

١٦٠ - دكتور أحمد حسن عبيد : **فلسفة النظام التعليمى ، وبنية السياسة التربوية (دراسة مقارنة)** - الطبعة الأولى - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٦ .

١٦١ - الدكتور أحمد سويلم العمرى : **بحوث فى المجتمع العربى (دراسات سياسية)** - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٠ .

١٦٢ - الدكتور أحمد شلبى : **تاريخ التربية الإسلامية** - دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع - بيروت - ١٩٥٤ .

١٦٣ - الدكتور أحمد عزت راجح : **أصول علم النفس** - الطبعة الخامسة - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٣ .

١٦٤ - أحمد عطية : القاموس السياسى - الطبعة الثالثة - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٦٨ .

١٦٥ - الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى : **التربية فى الإسلام** - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٧٥ .

١٦٦ - آدم كيرل : **استراتيجية التعليم فى المجتمعات النامية ، دراسة العوامل التربوية والاجتماعيه ، وعلاقتها بالنمو الاقتصادى** - ترجمة سامى الجمال - مراجعة د. عبد العزيز القوصى - الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار - القاهرة (بدون تاريخ) .

١٦٧ - ادوارد ر. بوشامب : **التربية فى اليابان المعاصرة** - قام بالترجمة والتعليق الدكتور محمد عبد العليم مرسى - مكتب التربية العربى لدول الخليج - الرياض - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .

١٦٨ - أسماء حسن فهمى : **مبادىء التربية الاسلامية** - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٤٧ .

١٦٩ - اسماعيل محمود القبانى : **دراسات فى تنظيم التعليم بمصر** - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٥٨ .

١٧٠ - أسوالد اشبنغلر : **تدهور الحضارة الغربية** - الجزء الثالث - ترجمة أحمد الشيبانى - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٤ .

١٧١ - الدكتور اكرم ضياء العمرى : **التراث والمعاصرة** - كتاب الأمة ، سلسلة كتب فصلية ، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية فى دولة قطر - شعبان ١٤٠٥هـ .

١٧٢ - ألدو مييلى : **العلم عند العرب ، وأثره فى تطور العلم العالمى** - نقله الى العربية الدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور محمد يوسف موسى - قام بمراجعته على الأصل الفرنسى الدكتور حسين فوزى - جامعة الدول العربية - الإدارة الثقافية - الطبعة الأولى - دار القلم - القاهرة - ١٩٦٢ .

١٧٣ - د٠ أنطونيوس كرم : **العرب أمام تحديات التكنولوجيا** - رقم (٥٩) من (عالم المعرفة) - سلسلة كتب ثقافية شهرية ، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت - محرم / صفر ١٤٠٣هـ - نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٨٢م ٠

١٧٤ - ايدجار فور وآخرون : **تعلم لتكون** - ترجمه د٠ حنفى بن عيسى - الطبعة الثالثة - اليونسكو / الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - ١٩٧٩ ٠

١٧٥ - ب٠ ج٠ وودز : **التعاون الاقتصادى وأساليبه** - الكتاب الثانى من سلسلة (كتب الناقوس) - مراجعة وتقديم عباس محمود العقاد - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة (بدون تاريخ) ٠

١٧٦ - ب٠ ف٠ سكينر : **تكنولوجيا السلوك الإنسانى** - ترجمة د٠ عبد القادر يوسف - مراجعة د٠ محمد رجا الدرينى - رقم (٢٢) من سلسلة (عالم المعرفة) - سلسلة كتب ثقافية شهرية ، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت - رمضان ١٤٠٠هـ - أغسطس (آب) ١٩٨٠م ٠

١٧٧ - برتراند رسل : **نحو عالم أفضل** - ترجمة ومراجعة درينى خشبة ، وعبد الكريم أحمد - رقم (٦٨) من مشروع (الألف كتاب) - العالمية للطبع والنشر - القاهرة (بدون تاريخ) ٠

١٧٨ - ــــــــ : **النظرة العلمية** - تعريب عثمان نويه - مراجعة الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن - الجامعة العربية - الادارة الثقافية - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة (بدون تاريخ) ٠

١٧٩ - توماس مالثس وآخران : **مشكلة السكان** - ترجمة محمد خزبك - مراجعة حسين الحوت - العدد (١٠) من (من الشرق والغرب) - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة (بدون تاريخ) ٠

١٨٠ - ثيا وريتشارد برجير : **من الحجارة الى ناطحات السحاب (قصة العمارة)** - ترجمة المهندس محمد توفيق محمود - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٦٢ ٠

١٨١ - ج٠ ر٠ كيد : **كيف يتعلم الكبار ؟** - ترجمة أحمد خاكى - مراجعة د٠ عبد العزيز القوصى - تقديم د٠ محيى الدين صابر - الطبعة الثانية - الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار - بغداد - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ٠

١٨٢ - ج. سنجلتون : **المدرسة اليابانية** - ترجمة الدكتور محمد قدرى لطفى وآخرين - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٢ .

١٨٣ - الدكتور جابر عبد الحميد جابر : **سيكولوجية التعلم** - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٧٢ .

١٨٤ - جان جاك سرفان شرايبر : **التحدى الأمريكى** - ترجمة فكتور سحاب - مكتبة النهضة - بغداد (بدون تاريخ) .

١٨٥ - جروف ساموبل داو : **كتاب المجتمع ومشاكله (مقدمة لمبادىء علم الاجتماع)** - ترجمة ابراهيم رمزى - المطبعة الأميرية ببولاق - القاهرة - ١٩٣٨ .

١٨٦ - جورج كاونتس : **التعليم فى الاتحاد السوفيتى** - ترجمة محمد بدران - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة (بدون تاريخ) .

١٨٧ - جوزيف شومبيتر : **الرأسمالية والاشتراكية والديموقراطية** - تعريب وتعليق خيرى حماد - الجزء الأول - العدد (١٨١) من (اخترنا لك) - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة (بدون تاريخ) .

١٨٨ - جون ديوى : **الطبيعة البشرية والسلوك الإنسانى** - ترجمة وتقديم الدكتور محمد لبيب النجيحى - مؤسسة الخانجى بالقاهرة - ١٩٦٣ .

١٨٩ - جيمس ج. جالجر : **الطفل الموهوب فى المدرسة الابتدائية** - ترجمة سعاد نصر فريد - مراجعة الدكتور ابراهيم حافظ - اشراف وتقديم محمد على حافظ - رقم (٢) من (بحوث تربوية فى خدمة المعلم) - دار القلم بالقاهرة - يناير ١٩٦٣ .

١٩٠ - دكتور حامد عبد السلام زهران : **علم النفس الاجتماعى** - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٢ .

١٩١ - ——— : **علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)** - الطبعة الثانية - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٢ .

١٩٢ - الدكتور حامد عمار : **فى اقتصاديات التعليم** - الطبعة الثانية - دار المعرفة - القاهرة - ١٩٦٨ .

١٩٣ - الدكتور حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى** - الجزء الثالث - الطبعة السابعة - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٦٥ .

١٩٤ ـ الأستاذ حسن اسماعيل الهضيبى : **دعاة لا قضاة (أبحاث فى العقيدة الإسلامية ، ومنهج الدعوة الى الله)** ـ رقم (١) من (كتاب الدعوة) ـ دار الطباعة والنشر الإسلامية ـ القاهرة ـ ١٩٧٧ ٠

١٩٥ ـ حسن عبد العال : **التربية الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى** ـ الكتاب الأول من سلسلة (مكتبة التربية الإسلامية) ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٧٨ ٠

١٩٦ ـ خطاب على عطية : **التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول**ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٤٧ ٠

١٩٧ ـ د٠ آدمز : **التعليم والتنمية القومية** ـ ترجمة الدكتور محمد منير مرسى ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ ٠

١٩٨ ـ د٠ جوسلين : **المدرسة والمجتمع العصرى** ـ ترجمة الدكتور محمد قدرى لطفى وآخرين ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ ٠

١٩٩ ـ دانيل كاتز : « أثر الجماعة فى الاتجاهات والسلوك الاجتماعى » ـ ترجمة الدكتور مختار حمزة ـ الفصل الثامن من : **ميادين علم النفس ، النظرية والتطبيقية** ـ بإشراف ج٠ ب٠ جيلفورد ـ والترجمة بإشراف الدكتور يوسف مراد ـ المجلد الأول ـ الميادين النظرية ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ ١٩٥٥ ٠

٢٠٠ ـ ديل كارنيجى : **دع القلق ، وابدأ الحياة** ـ تعريب عبد المنعم محمد الزيادى ـ الطبعة الخامسة ـ مؤسسة الخانجى بمصر ـ القاهرة (بدون تاريخ) ٠

٢٠١ ـ ذوقان عبيدات وآخران : **البحث العلمى ، مفهومه ، أدواته ، أساليبه** ـ دار مجدلاوى للنشر والتوزيع ـ عمان (الأردن) ـ ١٩٨٣ ٠

٢٠٢ ـ رالف لنتون : **دراسة الانسان** ـ ترجمة عبد الملك الناشف ـ منشورات المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـ ١٩٦٤ ٠

٢٠٣ ـ دكتور رؤوف سلامة موسى : **فى أزمة العلم والجامعات** ـ دار ومطابع المستقبل ـ القاهرة (بدون تاريخ) ٠

٢٠٤ ـ رينيه دوبو : **انسانية الانسان ، نقد علمى للحضارة المادية** ـ تعريب الدكتور نبيل صبحى الطويل ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ٠

٢٠٥ – ز. ماليكوفا : **التعليم** – رقم (٥) من سلسلة (الاتحاد السوفيتى اليوم وغدا) – وكالة أنباء نوفوستى – موسكو – ١٩٧٨ .

٢٠٦ – دكتور سعد ماهر حمزة : **المقدمة فى اقتصاديات التبعية والتنمية ، تجارب افريقية وعربية** – دار المعارف بمصر – القاهرة – ١٩٦٧ .

٢٠٧ – دكتور سعد مرسى أحمد : **التربية والتقدم** – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٧٠ .

٢٠٨ – ——— : **تطور الفكر التربوى** – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٧٠ .

٢٠٩ – دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور : **المدنية الإسلامية ، واثرها فى الحضارة الأوربية** – الطبعة الأولى – دار النهضة العربية – القاهرة – ١٩٦٣ .

٢١٠ – **السكان والسياسات الدولية** – اشراف فيليب هوسر – ترجمة الدكتور خليل حسن خليل – مراجعة وتقديم الدكتور سعيد النجار – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٦٣ .

٢١١ – سهير جابر : **التربية الإسلامية فى العبادات** – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية التربية جامعة أسيوط (مصر) – ١٩٨٥ .

٢١٢ – سيد أحمد طهطاوى : **القيم التربوية فى القصص القرآنى** – رسالة ماجستير غير منشورة – كلية التربية جامعة أسيوط (مصر) – ١٩٨٥ .

٢١٣ – دكتور سيد محمد غنيم :**سيكولوجية الشخصية : محدداتها قياسها ، نظرياتها** – الطبعة الأولى – دار النهضة العربية – القاهرة – ١٩٧٣ .

٢١٤ – صالح عبد العزيز ، وعبد العزيز عبد المجيد : **التربية وطرق التدريس** – الجزء الأول – الطبعة الخامسة – دار المعارف بمصر – القاهرة – ١٩٥٦ .

٢١٥ – دكتور صلاح مخيمر ، وعبده ميخائيل رزق : **سيكولوجية الشخصية ، دراسة الشخصية وفهمها** – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٦٨ .

٢١٦ ـ عباس محمود العقاد : **الشيخ الرئيس ابن سينا** ـ رقم (٦) من سلسلة (اقرأ) ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ يونية ١٩٦٧ ٠

٢١٧ ـ ــــــــــ : **عبقرية محمد** ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ ٠

٢١٨ ـ عبد الجواد السيد بكر : **فلسفة التربية الإسلامية فى الحديث الشريف** ـ الكتاب الخامس من سلسلة (مكتبة التربية الإسلامية) ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٨٠ ٠

٢١٩ ـ دكتور عبد الرحمن يسرى أحمد : **التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الإسلام** ـ مؤسسة شباب الجامعة ـ الاسكندرية ـ رمضان ١٤٠١هـ ـ يوليو ١٩٨١م ٠

٢٢٠ ـ الدكتور عبد العزيز القوصى : **أسس الصحة النفسية** ـ الطبعة الرابعة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م ٠

٢٢١ ـ دكتور عبد الغنى عبود : **الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة** ـ الطبعة الثالثة ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٨٠ ٠

٢٢٢ ـ ــــــــــ : **التربية الإسلامية والقرن الخامس عشر الهجرى** ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٨٢ ٠

٢٢٣ ـ ــــــــــ : **التربية ومشكلات المجتمع** ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٨٠ ٠

٢٢٤ ـ ــــــــــ : **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٧٨ ٠

٢٢٥ ـ ــــــــــ : **الفكر التربوى عند الغزالى ، كما يبدو من رسالته (أيها الولد)** ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٨٢ ٠

٢٢٦ ـ ــــــــــ : **فى التربية الإسلامية** ـ الطبعة الثانية ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٨٥ ٠

٢٢٧ ـ عبد الفتاح الديدى : **فلسفة هيجل** ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ ٠

٢٢٨ - الدكتور عبد الله عبد الدائم : **التخطيط التربوى ، أصوله وأساليبه الفنية ، وتطبيقاته فى البلاد العربية** - الطبعة الأولى - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٦٦ ·

٢٢٩ - ———— : « التربية فى مرحلة التعليم الإلزامى وما قبلها ، ودورها فى تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية » - **التربية من أجل التنمية** - المؤتمر التربوى لتطوير التعليم ما قبل الجامعى ، المنعقد بدمشق فى ٣ - ٨ آب ١٩٧٤ - الجمهورية العربية السورية - وزارة التربية ·

٢٣٠ - عبد الله علوان : **تربية الأولاد فى الإسلام** - الجزء الأول - الطبعة الثالثة - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ·

٢٣١ - الدكتور عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الإمامية ، وأسلافهم من الشيعة ، بين عهدى الصادق والطوسى** - مطبعة أسعد - بغداد - ١٩٧٢ ·

٢٣٢ - **عصر الأيدولوجية** - مجموعة من المقالات الفلسفية ، قدم لها : هنرى د· أيكن - ترجمة الدكتور فؤاد زكريا - مراجعة الدكتور عبد الرحمن بدوى - رقم (٤٨٩) من (الألف كتاب) - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٣ ·

٢٣٣ - دكتور على أحمد مدكور : **منهج التربية الإسلامية ، أصوله وتطبيقاته** - الطبعة الأولى - مكتبة الفلاح - الكويت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ·

٢٣٤ - دكتور على خليل مصطفى أبو العينين : **التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامى ، الركائز والمضامين التربوية** - رقم (١) من (بحوث فى التربية الإسلامية) - الطبعة الأولى - مكتبة ابراهيم الحلبى - المدينة المنورة - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ·

٢٣٥ - ———— : « عمر بن الخطاب واهتماماته التربوية » - **من أعلام التربية العربية الإسلامية** - المجلد الأول - مكتب التربية العربى لدول الخليج - الرياض - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ·

٢٣٦ - ———— : **فلسفة التربية الإسلامية فى القرآن الكريم** - الكتاب الثانى من سلسلة (مكتبة التربية الإسلامية) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٨٠ ·

٢٣٧ - د . علی خليل مصطفى أبو العينين : **القيم الاسلامية ، دراسة فى وطبيعة القيم ومصادرها ، ودور التربية الإسلامية فى تكوينها وتنميتها** - الطبعة الأولى - مكتبة ابراهيم الحلبى - المدينة المنورة - ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٢٣٨ - على سالم النباهين : **نظام التربية الإسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر** - الكتاب الثالث من سلسلة (مكتبة التربية الإسلامية) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٨١ .

٢٣٩ - الدكتور على عبد العليم محجوب : « القيادة الإدارية ، ودورها فى الإصلاح الإدارى من أجل التنمية » - **مجلة تنمية المجتمع** - يصدرها مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى - المجلد الرابع عشر - ١٩٦٧ - العددان الأول والثانى .

٢٤٠ - عمر فروخ : **تجديد التاريخ فى تعليله وتدوينه (اعادة النظر فى التاريخ)** - الطبعة الأولى - دار الباحث للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م .

٢٤١ - ف. ك. ر. راو : « التعليم كاستثمار) - ترجمة الدكتور عبد الغنى عبود - المقولة الثالثة من : **فى التربية المعاصرة** - تاليف الدكتور ابراهيم عصمت مطاوع والدكتور عبد الغنى عبود - الطبعة الثانية - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٨٥ / ١٩٨٦ .

٢٤٢ - ف. كومبز : **أزمة التعليم ، فى عالمنا المعاصر** - ترجمة الدكتور أحمد خيرى كاظم والدكتور جابر عبد الحميد جابر - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٧١ .

٢٤٣ - فتحية حسن سليمان : **التربية عند اليونان والرومان** - مكتبة نهضة مصر - القاهرة (بدون تاريخ) .

٢٤٤ - فرد ب. ميليت : **أستاذ الجامعة** : ترجمة الدكتور جابر عبد الحميد جابر - مراجعة وتقديم الدكتور محمد حسان - رقم (٢) من (ماذا يعملون) - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٦٥ .

٢٤٥ - فردريك هاربيسون ، وتشارلز أ. : **التعليم والقوى البشرية والنمو الاقتصادى ، استراتيجيات تنمية الموارد البشرية** -

ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ - مراجعة محمد على حافظ - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٦٦ (طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم) .

٢٤٦ - الدكتور فؤاد البهى السيد : **الأسس النفسية للنمو ، من الطفولة الى الشيخوخة** - الطبعة الرابعة - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٧٥ .

٢٤٧ - د. فوزية دياب : **نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة** - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٧٨ .

٢٤٨ - فيليب هـ. فينكس : **التربية والصالح العام** - ترجمة السيد محمد العزاوى ، والدكتور يوسف خليل - مراجعة محمد سليمان شعلان - تقديم السيد يوسف - وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة - القاهرة - ١٩٦٥ .

٢٤٩ - ـــــــــ : **فلسفة التربية** - ترجمة وتقديم الدكتور محمد لبيب النجيحى - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٦٥ .

٢٥٠ - كلارك كير : **نظرات فى التعليم الجامعى** - ترجمة محمد كامل سليمان - مطبعة المعرفة - القاهرة (بدون تاريخ) .

٢٥١ - كلنتون هارتلي جراتان : **البحث عن المعرفة ، بحث تاريخى فى تعلم الراشدين** - ترجمة عثمان نويه - تقديم صلاح دسوقى - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٢ .

٢٥٢ - كولن ويلسون : **ما بعد اللامنتمى « فلسفة المستقبل »** - نقلها الى العربية يوسف شرورو ، وعمر يمق - الطبعة الأولى - منشورات دار الآداب - بيروت - نيسان (أبريل) ١٩٦٥ .

٢٥٣ - ل. ا. ليونتيف : **الموجز فى الاقتصاد السياسى** - ترجمة أبو بكر يوسف - مراجعة ماهر عسل - من سلسلة (من الفكر السياسى والاشتراكى) - دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٧ .

٢٥٤ - ليد فورد ج. بيكسوف : **علم نفس الكبار** - ترجمة دحام الكيال ، وعايف حبيب - مراجعة د. عبد الرحمن القيسى - الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار - بغداد - ١٩٨٤ .

٢٥٥ - ماركس وانجلس : **بيان الحزب الشيوعى** - دار التقدم - موسكو - ١٩٦٧ .

٢٥٦ - ماركس وانجلس : **بيان الحزب الشيوعى** - دار التقدم - موسكو - ١٩٦٨ .

٢٥٧ - ماكوتو آسو ، وايكوو آماتو : **التعليم ، ودخول اليابان العصر الحديث** - سفارة اليابان بجمهورية مصر العربية - القاهرة - ١٩٧٦ .

٢٥٨ - دكتور محمد أحمد سلامة : **علم النفس الاجتماعى** - الجزء الأول (حول النظرية) - مؤسسة سعيد للطبعة بطنطا (مصر) - ١٩٧٩ .

٢٥٩ - د. محمد جابر الانصارى : **تحولات الفكر والسياسة فى الشرق العربى (١٩٣٠ - ١٩٧٠)** - رقم (٣٥) من سلسلة (عالم المعرفة) - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت - ذو الحجة ١٤٠٠هـ / المحرم ١٤٠١هـ - نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٨٠م .

٢٦٠ - الدكتور محمد جميل محمد يوسف منصور ، والدكتور فاروق سيد عبد السلام : **النمو ، من الطفولة آلى المراهقة** - رقم (٣) من سلسلة (الكتاب الجامعى) - الطبعة الثالثة - تهامة - جدة - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٢٦١ - دكتور محمد زيان عمر : **البحث العلمى ، مناهجه وتقنياته** - دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة - جدة - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٢٦٢ - محمد شديد : **منهج القرآن فى التربية** - مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز - القاهرة (بدون تاريخ) .

٢٦٣ - دكتور محمد عبد الحميد عيسى : **تاريخ التعليم فى الأندلس** - الكتاب الرابع من سلسلة (مكتبة التربية الاسلامية) - الطبعة الأولى - دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٨٢ .

٢٦٤ - د. محمد عبد العليم مرسى : **التعليم العالى ومسئولياته فى تنمية دول الخليج العربى (دراسة تحليلية تربوية لأعمال الندوة الفكرية الأولى لرؤساء ومديرى الجامعات الخليجية ،** ٩ - ١٢ ربيع الأول ١٤٠١هـ/٤-٧ يناير ١٩٨٢م - البحرين) - مكتب التربية العربى لدول الخليج - الرياض - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٢٦٥ - د. محمد عبد العليم مرسى : **هجرة العلماء من العالم الإسلامى** - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - مركز البحوث - الرياض - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٥م .

٢٦٦ - محمد عطية الأبراشى : **التربية فى الإسلام** - رقم (٢) من سلسلة (دراسات فى الإسلام) - يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف - القاهرة - ١٥ رمضان ١٣٨٠هـ - ٢ مارس ١٩٦١م .

٢٦٧ - مولاى محمد على : **الإسلام والنظام العالمى الجديد** - ترجمة أحمد جودة السحار - الطبعة الثانية - لجنة النشر للجامعيين - مكتبة مصر - القاهرة (بدون تاريخ) .

٢٦٨ - الدكتور محمد على الخولى : **قاموس التربية ، انكليزى / عربى** - الطبعة الأولى - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٨١ .

٢٦٩ - الدكتور محمد فاضل الجمالى : **آفاق التربية الحديثة فى البلاد النامية** - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٦٨ .

٢٧٠ - محمد قطب : **منهج التربية الإسلامية** - الطبعة الثانية - دار الشروق - بيروت (بدون تاريخ) .

٢٧١ - الدكتور محمد لبيب النجيحى : **التربية وبناء المجتمع العربى** - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧١ .

٢٧٢ - ———— : **فى الفكر التربوى** - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٠ .

٢٧٣ - ———— : **مقدمة فى فلسفة التربية** - الطبعة الثالثة - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٧ .

٢٧٤ - الدكتور محمد منير مرسى ، والدكتور عبد الغنى النورى : **تخطيط التعليم واقتصادياته** - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٧٧ .

٢٧٥ - دكتور محمد الهادى عفيفى : **فى أصول التربية** - الطبعة الأولى - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٠ .

٢٧٦ - **الموسوعة السياسية** - اشراف د. عبد الوهاب الكيالى ، وكامل زهيرى - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٧٤ .

٢٧٧ ـ مصطفى أمين : **تاريخ التربية** ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر ـ القاهرة ـ ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥م ٠

٢٧٨ ـ مصطفى صادق الرافعي : **وحي القلم** ـ الجزء الثاني ـ الطبعة السابعة ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة (بدون تاريخ) ٠

٢٧٩ ـ دكتور مصطفى فهمي : **سيكولوجية التعلم** ـ الطبعة الثانية ـ لجنة النشر للجامعيين ـ مكتبة مصر ـ القاهرة ـ ١٩٥٣ ٠

٢٨٠ ـ هـ٠ ا٠ ر٠ جب وآخرون : **وجهة الإسلام ، نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي** ـ أشرف على تحريره الأستاذ (جب) ـ ونقله عن الإنجليزية محمد عبد الهادي أبو ريدة ـ المطبعة الإسلامية ـ القاهرة ـ ١٩٣٤ ٠

٢٨١ ـ هيرمان كان وآخرون : **العالم بعد مائتي عام ، الثورة العلمية والتكنولوجية خلال القرنين القادمين** ـ رقم (٥٥) من (عالم المعرفة) ـ سلسلة كتب ثقافية شهرية ، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ رمضان / شوال ١٤٠٢هـ ـ يوليو (تموز) ١٩٨٢م ٠

٢٨٢ ـ هيوسيتون واطسون : **ثورة العصر ، بحث في فلسفة السياسة والاجتماع** ـ الكتاب الأول من سلسلة (كتب الناقوس) ـ ترجمة محمد رفعت ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة (بدون تاريخ) ٠

٢٨٣ ـ و٠ جلاسر : **مدارس بلا فشل** ـ ترجمة الدكتور محمد منير مرسي ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ ٠

٢٨٤ ـ ول ديورانت : **قصة الحضارة** ـ الجزء الأول (نشأة الحضارة) ـ ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ـ الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٤٩ ٠

٢٨٥ ـ ــــــــــ : **قصة الحضارة** ـ الجزء الثاني من المجلد الأول (الشرق الأدنى) ـ ترجمة محمد بدران ـ الطبعة الثانية ـ الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٥٦ ٠

٢٨٦ – ول ديورانت : **قصة الحضارة** – الجزء الثالث (الهند وجيرانها) – ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود – الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ١٩٥٠ ٠

٢٨٧ – ―――― : **قصة الحضارة** – الجزء الثالث من المجلد الثالث (١١) (قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية) – ترجمة محمد بدران – الإدارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ١٩٥٥ ٠

٢٨٨ – وليم كلباتريك : **المدنية المتغيرة والتربية** – ترجمة عبد الحميد السيد وآخرين – الطبعة الرابعة – مكتبة مصر – القاهرة – ١٩٥٨ ٠

٢٨٩ – الدكتور وهيب ابراهيم سمعان : **الثقافة والتربية فى العصور الوسطى ، دراسة تاريخية مقارنة** – من سلسلة (دراسات فى التربية) – دار المعارف بمصر – القاهرة – ١٩٦٢ ٠

٢٩٠ – ―――― : « دراسة مقارنة للإدارة المدرسية » – **اتجاهات جديدة ، فى الإدارة المدرسية** – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٦٠ ٠

٢٩١ – ―――― : **دراسات فى التربية المقارنة** – الطبعة الأولى – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٥٨ ٠

٢٩٢ – ويلارد أولسون : **تطور نمو الأطفال** – ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ وآخرين – مراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصى – عالم الكتب – القاهرة – ١٩٦٢ ٠

٢٩٣ – اليونسكو : **تاريخ البشرية ، المجلد السادس (القرن العشرون) ، التطور العلمى والثقافى ، الجزء الثانى ، ٣ (التعبير)** – اعداد اللجنة الدولية ، بإشراف منظمة اليونسكو – الترجمة والمراجعة : عثمان نويه وآخران – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٧٢ ٠

سادسا : المراجع الأجنبية :

294 — Afanasyev, A. : **Marxist Philosophy, A Popular Outline** ; Third Edition, Progress Publishers, Moscow, 1968.

295 — Ali, Abdullah Yusuf : **The Holy Quran, Text, Translation and Commentary,** Volume One ; Hafner Publishing Company, New York, 1946.

296 — ———————— : **The Holy Quran, Text, Translation and Commentary,** Volume Two ; Hafner Publishing Company, New York, 1946.

297 — Altbach, Philip G. : "Servitude of the Mind? Education, Dependency, and Neocolonialism", Chapter 24 from : **Comparative Education,** Edited by Philip G. Altbach and Others ; Macmillan Publishing Co., Inc., New York, 1982.

298 — Badawi, A. Zaki : **A Dictionary of the Social Sciences, English-French-Arabic ; Libraire du Liban, Beirut, 1978.**

299 — Best, John W. : **Research in Education** : Second Edition ; **Prentice-Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey, 1970.**

300 — Borg, Walter R. and Meredith D. Gall : **Educational Research, An Introduction** ; Fourth Edition, Longman, New York & London, 1983.

301 — Bowen, Howard R. : **Toward Social Economy** ; Second Edition, Huntley Book Store, The Claremont Colleges, **California**, 1973.

302 — Bush, Vannevar : **Science, The Endless Frontier, A Report to the President, July 1945** ; United States Printing Office, Washington, D.C., 1945.

303 — Butts, R. Freeman : **A Cultural History of Western Education, Its Social and Intellectual Foundations** ; Second Edition, McGraw-Hill Company, New York, 1955.

304 — Chase, Francis S. : **Education Faces New Demands, Horace Mann Lecture, 1956** ; **University of Pittsburg Press, 1956.**

305 — Chkhirvadze, V.M. : **The Soviet Forum of Popular Government** ; Progress Publishers, Moscow, 1972.

306 — Coombs, Philip H. : **The World Crisis in Education, The View from the Eighties** ; Oxford University Press, Oxford, 1985.

307 — Cooper, Dan H. : **The Administration of Schools for Better Living, Proceedings of the Co-operative Conference for Ad ministrative Officers of Public and Private Schools** ; North-western University, University of Chicago, 1948, Vol. XI, The University of Chicago Press, Chicago, llinois.

308 — Crossland, John R. (Edited by) : **Marvels in Science and Industry,** Collins Clear-type Press, Glasgo, 1952.

309 — Curtis, Jack H. : **Social Psychology** ; McGraw-Hill Book Company, Inc., New York, 1960.

310 — Dearden, R.F. : "Instruction and Learning By Discovery", **The Concept of Education,** Edited by R.S. Peters ; Fifth Impression, Routledge & Kegan Paul, London, 1973.

311 — Dewey, John : **Democracy and Education, An Introduction to the Philosophy of Education** ; The Macmillan Company, New York, 1916.

312 — ———— : **Education To-day** : G.P. Putman's Sons, New York, 1940.

313 — Dressel, Paul L. : "The Meaning and Significance of Integration", **The Integration of Educational Experiences,** The Fifty-seventh Yearbook of the National Society for the Study of Education, Chicago, Illinois, 1958.

314 — Dubin, Robert : **Human Relations in Administration, With Readings** ; Third Edition, Prentice-Hall of India, Private Limited, New Delhi, 1970.

315 — Elbing, Alvar : **Behavioral Decisions in Organization** ; Second Edition, Scott, Foresman and Company, Glenview, Illinois, 1978.

316 — **Everyman's Encyclopaedia,** Volume Four ; Fourth Edition, J.M. Dent & Sons, Ltd., 1958.

317 — Faber, Charles F. and Gilbert F. Shearron : **Elementary School Administration, Theory and Practice** ; Holt, Rinehart and Winston, Inc., New York, 1970.

318 — Fagerlind, Ingemar and Lawrence J. Saha : **Education and National Development : A Comparative Perspective** ; Pergamon Press, Oxford, 1983.

319 — Fowler, H.W. and F.G. Fowler (Edited by) : **The Concise Oxford Dictionary of Current English, based on The Oxford Dictionary** ; Fourth Edition, Revised by E. McIntosh, Oxford, at the Clarendon Press, 1959.

320 — Friedman, Milton & Rose : **Free to Choose, A Personal Statement** ; Harcourt Prace Jovanovich, New York, 1980.

321 — Gibb, H.A.R. and J.H. Kramers : **Shorter Encyclopaedia** of **Islam** ; E.J. Brill, Leiden, 1953.

322 — Goodsell, Willystine : **A History of the Familly as a Social and Educational Institution** ; The Macmillan Company, New York, 1923.

323 — Hand, Samuel E. and Jane B. Sellen : "Program Coordination, Cooperation and Interorganizational Systems at the Community Level", Chapter Five from : **Managing Adult and Continuing Education Programs and Staff** ; Edited by Philip D. Langerman and Douglas H. Smith ; National Association for Public Continuing and Adult Education, Washington, D.C., 1979.

324 — Hans, Nicholas : **Comparative Education, A Study of Educational Factors and Traditions** ; Routledge and Kegan Paul, Limited, London, 1958.

325 — Harbison, Frederick : "The Prime Movers of Innovation", Chapter 11 from : **Education and Economic Development**, Edited by C. Arnold Anderson and Mary Jean Bowman ; Third Edition, Adline Publishing Company, Chicago, 1971.

326 — Harbison, Frederick and Charles A. Myers : **Education, Manpower and Economic Growth, Strategies of Human Resource Development** ; McGraw-Hill Book Company, New York, 1964.

327 — Hardiman, Margaret and James Midgley : **The Social Dimensions of Development, Social Policy and Planning in the Third World** ; John Wiley & Sons Limited, New York, 1982.

328 — Haswell, Harold A. : **Higher Education in the United States** ; Unesco, Educational Studies and Documents, No. 47, 1963.

329 — Hawkins, Layton S. and Others : **Development of Vocational Education** ; American Technical Society, Chicago, 1951.

330 — Hirst, Paut H. : **"Liberal Education and the Nature of Knowledge", The Philosophy of Education,** Edited by R.S. Peters, Oxford University Press, London, 1973.

331 — Holmes, Brian : **Comparative Education, Some Considerations of Method** ; George Allen & Unwin Ltd., London, 1981.

332 — Hudson, William Henry : **The Story of the Renaissance** ; George G. Harrap & Company Ltd., London, 1928.

333 — Ilichov, L.F. and Others : **Frederick Engels, A Biography** ; Progress Publishers, Moscow, 1974.

334 — Johns, Roe L. and Edgar L. Morphet : **The Economics and Financing of Education, A Systems Approach** : Third Edution, Prentice-Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey, 1975.

335 — Kandel, I.L. : **American Education in the Twentieth Century;** Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1957.

336 — Kast, Fremont E. and James E. Rosenzweig : **Organization and Management, A Systems and Contingency Approach** ; Fourth Edition, McGraw-Hill Book Company, New York, 1985.

337 — Kerlinger, Fred N. : **Behavioral Research, A Conceptual Approach ; Holt, Rinehart and Winston, New York, 1979.**

338 — Kroeber, A.L. : **Anthropology (Race, Language, Culture, Psychology, Prehistory)** ; Revised Edition, Harcourt, Brace and Company, Inc., 1948.

339 — Leibenstein, Harvey : "Shortages and Surpluses in Education in Underdeveloped Countries : A Theoretical Foray", Chapter 3 from : **Education and Economic Development,** Edited by C. Arnold Anderson and Mary Jean Bowman ; Third Edition, Adline Publishing Company, Chicago, 1971.

340 — Lengrand, Paul : **An Introduction to Lifelong Education** ; Unesco, International Education Year, 1970.

341 — Lloyd, Christopher : **Democracy and Its Rivals, An Introduction to Modern Political Theories** ; Longman, Green and Co., London, 1940.

342 — Fred, M. & Grace Hechinger : **Growing up in America** ; McGraw-Hill Book Company, New York, 1975.

343 — Meger, Barbara : "Knowledge and Culture in the Middle East: Some Critical Reflection", Chapter Nine from: **Dependence and Interdependence in Education, International Perspectives** ; Croom Helm, London, 1984.

344 — Monroe, Paul : **A Cyclopedia of Education** ; Volume Two ; The Macmillan Company, New York, 1911.

345 — Mukherjee, L. : **Comparative Education** ; Third Edition, Allied Publishers, India, 1975.

346 — Mukerjee, Radhakamal : "Role of Education in Economic Development", **Education as Investment,** Edited by Baljit Singh ; Meenakshi Prakashan, Meerut, India, 1967.

347 — Nayar, D.P. : "Education as Investment", **Education as Investment,** Edited by Baljit Singh ; Meenakshi Prakashan, Meerut, India, 1967.

348 — Organ, Troy : "The Philosophical Bases of Integration", **The Integration of Educational Experiences,** The Fifty-seventh Yearbook of the National Society for the Study of Education; Chicago, Illinois, 1985.

349 — Patai, Raphael : **The Arab Mind** ; Charles Scribner's Sons, New York, 1973.

350 — Peters, R.S. : "What is an Educational Process?" **The Concept of Education,** Edited by R.S. Peters ; Fifth Impression, Routledge & Kegan Paul, London, 1973.

351 — Quattlebaum, Charles A. : "Federal Policies and Practices in Higher Education", **The Federal Government and Higher Education,** The American Assembly, Columbia University ; Englewood Cliffs, Prentice-Hall, Inc., New Jersey, 1960.

352 — Rao, V.K.R. : "Education as Investment", **Education as Investment,** Edited by Baljit Singh ; Meenakshi Prakashan, Meerut, India, 1967.

353 — Saegh, Abdul-Rahman Ahmad : **Higher Education and Modernization in Saudi Arabia : An Inquiry into the Societal Values of Saudi Colleges and Universities, and Their Role in the Economic and Non-economic Development of the Kingdom;** Unpublished Ph.D. Dissertation, Claremont Graduate Faculty of Education, 1983.

354 — Scheffler, Israel : "Philosophical Models of Teaching", **The Concept of Education,** Edited by R.S. Peters ; Fifth Impression, Routledge & Kegan Paul, London, 1973.

355 — Slote, Walter H. : "Case Analysis of a Revolutionary", **A Strategy for Research on Social Policy,** Edited by Frank Bonilla and Jose A. Silva Michelena; The M.I.T. Press, Massachusetts, 1967.

356 — Spencer F.H. : **Industry and Society, How We Work, and How We Are Governed ;** University of London Press, Ltd., London, 1935.

357 — Solow, Robert M. : "Science and Ideology in Economics", No. 4 from : **The Economic Approach to Public Policy, Selected Readings,** Edited by Rayan C. Amacher, Robert D. Tollison, and Thomas D. Willett ; Cornell University Press, Ithaca and London, 1976.

358 — Sukhomlinsky, V. : **On Education** ; Progress Publishers, Moscow, 1977.

359 — Ulich, Robert : **The Education of Natons, A Comparison in Historical Perspective** ; Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1961.

360 — Unesco : **Technical and Vocational Education and Training, Recommendations by UNESCO and the International Labour Organization** ; UNESCO, ILO, 1962.

361 — Watson, Keith : "Colonialism and Educational Development", Chapter One from : **Education in the Third World,** Edited by Keith Watson ; Croom Helm, London & Camberra, 1982.

362 — ——————— : "Educational Neocolonialism - The Continuing Colonial Legacy", Chapter Ten from : **Education in the Third World,** Edited by Keith Watson ; Croom Helm, London & Camberra, 1982.

363 — **Webster's Ninth New Collegiate Dictionary,** A Merriam-Webster, Merriam-Webster Inc., Springfield, Massachusetts, 1986.

364 — West, Michael Philip and James Gareth Endicott : **The New Method English Dictionary** ; Twenty-fourth Impression, with Illustrations, Longman Group, Ltd, London, 1967.

365 — Wykstra, Ronald A. : **Introductory Economics** ; Harper & Row, Publishers, New York, 1971.

للمـؤلف

أولا : من كتب التربية ـ تأليفا مستقلا

١ ـ **الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة** ـ دار الفكر العربى بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٧٨ ، والطبعة الثالثة ١٩٨٠ ، والطبعة الرابعة ١٩٩٠ .

٢ ـ **تاريخ التربية** ـ رقم (٤٥) من (السلسلة العمالية) ـ المؤسسة الثقافية العمالية بالقاهرة ـ ١٩٧٦ .

٣ ـ **فى التربية الاسلامية** ـ الجزء الأول ـ دار الفكر العربى بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، والطبعة الثانية ١٩٨٥ .

٤ ـ **فى التربية الاسلامية** ـ الجزء الثانى ـ دار الفكر العربى بالقاهرة ـ ١٩٩٢ .

٥ ـ **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** ـ دار الفكر العربى بالقاهرة ـ ١٩٧٨ .

٦ ـ **ادارة التربية وتطبيقاتها المعاصرة** ـ دار الفكر العربى بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٧٨ ، والطبعة الثانية ١٩٨٢ ، والطبعة الثالثة ١٩٩٠ ، والطبعة الرابعة ١٩٩٢ .

٧ ـ **البحث فى التربية** ـ دار الفكر العربى بالقاهرة ـ ١٩٧٩ .

٨ ـ **التربية ومشكلات المجتمع** ـ دار الفكر العربى بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٨٠ ، والطبعة الثانية ١٩٩٢ .

٩ ـ **الفكر التربوى عند الغزالى ، كما يبدو من رسالته (أيها الولد)** ـ دار الفكر العربى بالقاهرة ـ ١٩٨٢ .

١٠ ـ **التربية الاسلامية ، والقرن الخامس عشر الهجرى** ـ دار الفكر العربى بالقاهرة ـ ١٩٨٢ .

١١ ـ **فى التربية المستمرة ، ومحو الأمية ، وتعليم الكبار** ـ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ ١٩٩٢ .

١٢ ـ **التربية الاقتصادية فى الاسلام** ـ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ ١٩٩٢ .

ثانيا : من كتب التربية - تأليفا مشتركا

١ - **فى التربية المقارنة** - عالم الكتب بالقاهرة - ١٩٧٤ (مع الدكتورة نازلى صالح) .

٢ - **نحو فلسفة عربية للتربية** - دار الفكر العربى بالقاهرة (مع الدكتور عبد الغنى النورى) - الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٧٩ .

٣ - **فى التربية المعاصرة** - دار الفكر العربى بالقاهرة (مع الدكتور ابراهيم عصمت مطاوع) - الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، والطبعة الثانية ١٩٨٥ .

٤ - **فلسفة التعليم الابتدائى وتطبيقاته** (مع الدكاترة حسن عبد العال ، وعلى خليل ، وشوقى ضيف) - دار الفكر العربى بالقاهرة - ١٩٨٢ .

٥ - **التربية المقارنة ، منهج وتطبيقه** (مع الدكتورين أحمد حجى ، وبيومى ضحاوى) - مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة - ١٩٨٩ .

٦ - **التربية الاسلامية وتحديات العصر** (مع الدكتور حسن عبد العال) - دار الفكر العربى بالقاهرة - ١٩٩٠ .

٧ - **ادارة المدرسة الابتدائية** (مع الدكاترة أحمد حجى ، ومحمد الصغير ، وأحمد غانم ، والسيد البهواشى) - مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة - ١٩٩٢ .

ثالثا : كتب سلسلة (الاسلام وتحديات العصر)
(وتصدرها كلها : دار الفكر العربى بالقاهرة)

١ ـ **العقيدة الاسلامية والأيديولوجيات المعاصرة** ـ الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٨٠ .

٢ ـ **الله والانسان المعاصر** ـ الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، والطبعة الثانية ١٩٨١ .

٣ ـ **الاسلام والكون** ـ الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، والطبعة الثانية ١٩٨١ .

٤ ـ **الانسان فى الاسلام ، والانسان المعاصر** ـ يناير ١٩٧٨ .

٥ ـ **اليوم الآخر ، والحياة المعاصرة** ـ يونية ١٩٧٨ .

٦ ـ **أنبياء الله ، والحياة المعاصرة** ـ سبتمبر ١٩٧٨ .

٧ ـ **قضية الحرية ، وقضايا أخرى** ـ يونية ١٩٧٩ .

٨ ـ **الأسرة المسلمة ، والأسرة المعاصرة** ـ يونية ١٩٧٩ .

٩ ـ **الملامح العامة ، للمجتمع الاسلامى** ـ فبراير ١٩٨٠ .

١٠ ـ **ديناميات المجتمع الاسلامى** ـ يونية ١٩٨٠ .

١١ ـ الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة ـ فبراير ١٩٨١ .

١٢ ـ **الدولة الإسلامية ، والدولة المعاصرة** ـ يونية ١٩٨١ .

١٣ ـ **اليهود ، واليهودية ، والاسلام** ـ يونية ١٩٨٢ .

١٤ ـ **المسيح والمسيحية والإسلام** ـ يناير ١٩٨٤ .

١٥ ـ **المسلمون وتحديات العصر** ـ مايو ١٩٨٥ .

رابعا : كتب يقدم لها المؤلف
(سلسلة مكتبة التربية الاسلامية)
(وتصدرها : دار الفكر العربى بالقاهرة)

١ - **التربية الاسلامية ، فى القرن الرابع الهجرى** ، تاليف الدكتور حسن عبد العال - ١٩٧٨ .

٢ - **فلسفة التربية الاسلامية ، فى القرآن الكريم** ، تاليف الدكتور على خليل - الطبعة الأولى ١٩٨٠ ، والطبعة الثانية ١٩٨٥ .

٣ - **نظام التربية الاسلامية ، فى عصر دولة المماليك فى مصر** ، تاليف الدكتور على سالم النباهين - ١٩٨١ .

٤ - **تاريخ التعليم فى الأندلس** ، تاليف الدكتور محمد عبدالحميد عيسى - ١٩٨١ .

٥ - فلسفة التربية الاسلامية ، فى الحديث الشريف ، تاليف الدكتور عبد الجواد السيد بكر - الطبعة الأولى ١٩٨٣ ، والطبعة الثانية ١٩٩٠ .